مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة المجامع الأزهر
ت : ٤٢٦١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في القاهرة
عباية مصطفى البابي الحلبي
وشركاه
بدل الاشتراك ٤٠

الجزء الثامن — شوال سنة ١٣٨٠ هـ — يناير ١٩٦١م — المجلد الثاني والثلاثون

لسكان القدس العربية

من الفتوة الإسلامية
بمناسبة ذكرى صلاح الدين

بقلم : أحمد حسن الزيات

روعت أوربا وأخذها المقيم المقعد حين علمت أن صلاح الدين قد استرد مدينة القدس وقوض مملكة اللاتين في فلسطين وسوريا، وورد على انجلترا وفرنسا من قوة الجيش المصري وقدرة العامل الأيوبي ما أقلقهما على حاضر الإقطاع الصليبي في الشام ومستقبل الاستعمار الأوربي في الشرق. فألبتا عليهما الفروسية المسيحية بقساوتها وضراوتها وتعصبها وحقدها وغدرها لتقلم أظفار الجيش الظافر، وتحبس عنان القائد الطموح. ولكن موقف فيليب وريكاردوس من صلاح الدين هو موقف حفيديهما جي مولييه وإيفن من عبد الناصر. والسبب الأول للموقفين واحد، هو خطر الجيش المصري القوي على الغزو الصليبي الذي بدأ في آخر القرن الحادي عشر واستمر حتى منتصف القرن العشرين !.

أقبلت جيوش الغزوة الصليبية الثالثة إلى الشام سنة ١١٨٩ م بقودها سبعة وعشرون

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة المجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في القطر
عبا بن محمود العقاد
سكرتير التحرير
محمود الشرقاوي
بدل الاشتراك ٤٠

الجزء الثامن — شعبان سنة ١٣٨٠ هـ — يناير ١٩٦١ م — المجلد الثاني والثلاثون

لسكان العالم الإسلامي

من الفتوة الإسلامية

بمناسبة ذكرى صلاح الدين

بقلم : أحمد حسن الزيات

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

روعت أوربا وأخذها المقيم المقعد حين علمت أن صلاح الدين قد استرد مدينة القدس وقوض مملكة اللاتين في فلسطين وسورية، وورد على انجلترا وفرنسا من قوة الجيش المصري وقدرة العاهل الأيوبي ما أقلقهما على حاضر الإقطاع الصليبي في الشام ومستقبل الاستعمار الأوربي في الشرق. فألبتا عليهما الفروسية المسيحية بقساوتها وضراوتها وتعصبها وحقدها وغدرها لتقلم أظفار الجيش الظافر، وتحبس عنان القائد الطموح. وكان موقف فيليب وريكاردوس من صلاح الدين هو موقف حفيديهما جي موليه وإيدن من عبد الناصر. والسبب الأول للموقفين واحد، هو خطر الجيش المصري القوي على الغزو الصليبي الذي بدأ في آخر القرن الحادي عشر واستمر حتى منتصف القرن العشرين !.

وأقبلت جيوش الغزوة الصليبية الثالثة إلى الشام سنة ١١٨٩ م يقودها سبعة وعشرون

ملكا وأميراً يتقدمهم فيليب أغسطس ملك فرنسا، وريكاردوس قلب الأسد ملك بريطانيا، وفريدريك بار بروس ملك بروسيا، فبدأت بحصار عكا، ثم انتهت بعد ثلاث سنوات بهدنة الرملة. وحسبي من حديث هذه الغزوة أن أجلو لك من صفحاتها صفحة الفتوة أو الفروسية التي تجلت في شجاعة صلاح الدين وشهامته ونبله:

طلب إليه الملوك الصليبيون قبل القتال أن يجتمع بهم ليسمع منهم ويسمعوا منه. فسار إليهم في كتيبة من أقوياء جنده وسألهم ماذا يريدون. فقالوا له: إن أوربا رمتك بما لا قبل لك به من ملوك وجيوش وقادة. وإن من الخير لك ولقومك أن تجلو عن بيت المقدس وإلا ذقت وبال أمرك.

فقال صلاح الدين: إنكم تعتزون بكثرة العدد ونحن نعتز بقوة الإيمان، وإنكم تحبون الدنيا وتتعلقون بها، ونحن نحب الآخرة ونعمل لها. ولن ينتصر من أحب الحياة، ولن ينهزم من طلب الموت.

فنهض ملك انجلترا من بين الملوك وقال للترجمان: قل لصلاح الدين: إني أنا قلب الأسد والقوة عندنا هي كل شيء. وسأريه البرهان. ثم دعا بقضيب من الحديد قطره ثلاثة سنتيمترات ووضع طرفه على منضدة وطرفه الآخر على منضدة، ثم سل سيفه وأهوى به على القضيب فاخترطه نصفين. ثم عاد إلى مكانه بين تصفيق الحضور ولغده منفوخ وأنفه شامخ. فضحك صلاح الدين ضحكة المستهزئ وقال لريكاردوس: ليست الحرب صلابة سيف وقوة ساعد. وإنما هي مضاء حد وسداد يد. ثم أخرج من منطقته منديلا من الحرير الرقيق وقذف به إلى أعلى ثم تلقاه بسيفه فشطره. ثم تناول شطري المنديل بشباة سيفه وألقاهما في حجر قلب الأسد وهو يقول: بمثل هذا السيف سنلقاكم غداً! وانصرف وترك الملوك والفرسان مبهوتين مشدوهين ينظر بعضهم إلى بعض وقد استولى عليهم صمت عميق. ثم انفجروا معجبين بصلاح الدين حين حاول ريكاردوس أن يقطع المنديل بإمراره على حد سيفه فلم ينقطع!.

* * *

قال العماد الأصفهاني كاتب صلاح الدين في كتابه (الفتح القدسي): «وصلت في مركب ثلثمائة امرأة إفرنجية مستحسنة متزينة، قد اجتمعن من الجزائر، وانتدبن للجزائر، واغتربن لإسعاف الغرباء. وقصدن بخروجهن تسبيل أنفسهن للأشقياء، وأنهن لا يمتنعن من العزبان، ورأين أنهن لا يتقربن بأفضل من هذا القربان. وزعمن أن هذه قربة مافوقها قربة. ولا سيما فيمن اجتمعت فيه

غربة وعزبة . وتسامع أهل عسكرنا بهذه القضية . فعجبوا كيف تعبدوا بترك النخوة والحمية . . ومضى العماد يذكر ماذا كان يفعل أولئك النسوة فى استغواء الأغرار واسراق الأخبار واستلاب الأنفس . وتكتيب الغوانى فى جيوش الاستعمار سياسة سنتها فرنسا ونهجتها انجلترا ، وصادفت هوى فى نفوس الصهيونيين فطبقوها على نطاق واسع فى السياسة والتجارة والحرب ، ولا يزال إخواننا الفلسطينيون يذكرون سوء عقباها فى التمهيد لقيام إسرائيل !

* * *

كان من بين هؤلاء الحسان المجندات فتاة استخلصها الملك ريكاردوس لنفسه فكانت تقوم على خدمته فى خيمته ، وتعنى براحته مع أخته وزوجته ، وكانت الفتاة على حظ عظيم من جمال الوجه ورقة القلب وخفة الروح ، فأحبها قلب الأسد كل الحب ، وأخلصت هى له كل الإخلاص ، فكانت عينه على أقرانه وأذنه بين قواده ، فعلمت من طريقها الخاص أن فريقا من القادة قد ضاقوا بحدة طبعه وشراسة خلقه فائتمروا به ليقتلوه . فأخبرته بما علمت . فاتهم الخبر وأبى أن يصدق أن أحداً من خلق الله يجرؤ على مواجهته بالسيف . وكان من عادة ريكاردوس أن يطوف بالليل على قواده وأجناده ليتعرف حالهم ويطمئن بالهم . فافتقدته الفتاة فى خيمته ذات ساعة من الليل فلم تجده . فخرجت تبحث عنه فضلت الطريق ودخلت فى معسكر المسلمين ، فظنها الحراس جاسوسا فرماها أحدهم بسهم فسقطت على الأرض تتلوى وتئن . واتفق حينئذ أن مر صلاح الدين فى طوافه بهذا المكان فسمع الأنين فاقترب من مصدره فإذا الفتاة مضرجة بالدم فاقدة الوعى ، فاحتملها على ذراعيه إلى أول خيمة فى المعسكر . ودعا لها بطبيب أخرج النصل من فخذها وتعهدها بالعلاج حتى برئت . وكان صلاح الدين يسأل عنها الحين بعد الحين . فلما مثلت بين يديه بعد البرء راعه ما رأى من جمالها فأضمر حبها فى قلبه ، وأنزلها على الرحب من عطفه .

وفى إحدى الأماسى عرض قواده عليه بعض كبار الأسرى وهو فى خيمته فعرفت الفتاة من بينهم قائداً من خواص قلب الأسد فاستأذنت السلطان أن تتحدث إليه فأذن فلما سألته عن مولاه أخبرها أنه سمع اليوم أثناء المعركة أن خصومه من الفرنسيين والانجليز قد قرروا اغتياله فى هذه الليلة ولولا أنه وقع فى الأسر لذهب إليه يحذره ، فجزعت الفتاة على ملكها ، ولم تملك سوابق دمعها ، فاسترسلت فى البكاء . فسألها صلاح الدين عما بها ، وعما قاله الأسير لها ، فأفضت اليه بجلية الأمر .

لو لم يكن صلاح الدين مطبوعا بحكم نشأته وعقيدته على خلال الفتوة الإسلامية لاغتبط بهذه المؤامرة التي ستكفيه شر عدوه وهو عماد الحرب الصليبية وفارسها الأول، ولكنه قبل ما نشر في آفاق الغرب فضله، وخلد على وجه الزمان ذكره! أرسل إلى مكان المؤامرة الذي عينه الأسير سرية من أشجع فرسانه لينقذوا ريكاردوس من كيد خصومه.

وكان قلب الأسد قد خرج على عادته بعد المعركة يتفقد أحوال جنده. وكان قد خرج في هذه الليلة وحده. لأن القواد الثلاثة الذين كانوا يرافقونه في جولاته أسر أحدهم وقتل الآخران في اليوم نفسه. أخذ يمشي في ساحة القتال ساهما حزينا يتوسم الوجوه ويتسمع الأنات فيترحم على القتلى ويتألم للجرحى، ويحنو على من يعرفه منهم فيودعه بالرحمة أو يشجعه بالأمل. حتى رأى قائداً ملقى على وجهه، فجثا على ركبتيه يقلبه فعرف فيه قائدا فرنسيا كان يقدمه ويكرمه، فاشتد حزنه عليه وأطال وقوفه عنده. فلما أدار ظهره إليه لينصرف نهض من رقدته ونفخ في بوق صغير فإذا رجال يقومون من بين القتلى ويحدقون بريكاردوس وقد شهروا السيوف! فدهش الملك من المفاجأة أول الأمر ثم تذكر سيفه فأعمله فيهم وكاد يأتي عليهم لولا أن احتوشوه في الظلام وطوقوه بالكثرة فأيقن أنه هالك. وفي هذه اللحظة الحرجة جاءته نجدة صلاح الدين فصرعتهم من حوله. ثم طلبوا إليه أن يصحبهم إلى السلطان فسار معهم مطمئن القلب لاعتقاده بأن الملك الذي ينقذ عدوه من القتل، يستحيل عليه أن يسلم ضيفه إلى الأسر.

وكان لقاء السلطان الملك لقاء جميلا نبيلا كأنهما لم يقتتلا طوال اليوم، ولن يقتتلا طوال الغد! وبالغ صلاح الدين في إكرام ضيفه فدعا بحبيبته إليه. فلما رآها تخرج من خيمة السلطان خالجه فيها الشك وساوره عليها الغضب، ولكن بطل الإسلام ورمز الفتوة أخبره بما كان منها وبما حدث لها فضمها الملك مسرورا إلى صدره، وخرج بها مخفورا إلى معسكره.

* * *

كان صلاح الدين قد أحب الفتاة كما قلت. وكان في مقدوره ومن حقه أن يتخذها سبية حرب، ولكنه حين علم منها أن الملك يحبها وأنها تحبه لم ينس أنه صلاح الدين. فمحا صورتها من ذهنه، وغلب في أمرها وفاءه على حبه، كما غلب في أمر ملكها مروءته على بغضه!.

أحمد حسن الزيات

بيان للمسلمين

من الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت

إخوانى وأبنائى المسلمين :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ؛ وبعد :

فإن الاستعمار الغاشم الذى طبع دائما على سلب الناس حرياتهم وأمنهم، وعلى زعزعة مبادئهم ومعتقداتهم تمكينا له فى كل بلد ينزل إليه . ليمتص خيراته ، ويستغل إمكانياته ، ويحرم أصحاب الحقوق من حقوقهم ، بل يشردهم عن أراضيهم، هذا الاستعمار يوم أن ازداد وعى الناس وقوى إيمانهم بحقهم فى الحياة، ورأى سلطانه يتقلص ، وسيطرته تتكمش اتخذ لنفسه مخالب تحقق أهواءه ونزواته ، وسيطرته واستعباده فكان أن أقام عصابة مانت فيها المثل والقيم ، وضاعت فيها معانى الإنسانية ، تلكم هى إسرائيل التى سرعان ما اغتصبت حق الناس فى الحياة فاستولت على أراضيهم وشردت الآمنين من أوطانهم ، واستباحت لنفسها كل عبث ، لم تعرف خلقا ولم يتحرك فيها ضمير . وفى كل يوم من أيام حياتها المجرمة نرى اعتداءاتها المتكررة على كل صقع من أصقاع الأرض ، ومن ورائها الاستعمار الذى لا يقف طمعه عند حد ، يحركها كيفما شاء وأينما أراد ، وما يوم الاعتداء الآثم على بور سعيد عنا ببعيد ، بعد أن كان لهم فى فلسطين وشهدائها ولاجئيها ما سطره التاريخ خزيا وعارا عليها وعلى أولئك الذين يزعمون أنهم رعاة حقوق الإنسان ، وبناة مبادئه ، مع أنهم لا يرعون فى الله إلا ولا ذمة لأنهم لا يؤمنون ولكنهم يرهم يجحدون كما أنهم لا يحسون بالإنسانية ولا يقيمون لها وزنا . وهذه فرنسا إحدى دعائم الاستعمار التى زعمت أنها وضعت حقوق الإنسان لتكفل له حريته ، وتحقق له العدالة فى مجتمعه ، والمساواة بين أفراده . فأين هذه الحقوق وهى لا تزال تستولى على الجزائر المسالمة وعلى حريتها التى فطرها الله عليها ؟ . بل وأين ذلك من اعتدائها على الإنسانية جمعاء فى تفجيرها القنبلة الذرية فى وسط أناس لهم حق الحرية والأمن والحياة غير مبالية بما يترتب على ذلك من إضاعة لحياة الآمنين من أبناء البشرية . وبلجيكا أيضا التى تعيث فى أرض الكونغو الفساد فتفرق بين أبناء الأمة الواحدة لتسود هى ولتبقى تمتص من دمائهم ، وتأكل من خيراتهم وتحرم أهلها حق الحياة ، وبريطانيا فى الجنوب العربى وفى كل مكان تستطيع يدها أن تمتد إليه .

فالاستعمار هو هو لم يتغير ولم يتبدل ، بالنسبة للمعتقدات ويتجلى ذلك فى قالة بعضهم يرفعها إلى ساداته ، أنه لا بقاء لنا فى أرض يوجد فيها القرآن ، ولقد تكشفت نوايا إسرائيل الخبيثة وقصدها السيء على دينكم فى طبعها القرآن الكريم ، كتاب الله العظيم فى صورة محرفة ، قامت بتوزيعها فى إفريقيا وآسيا ، تريد بذلك القضاء على دينكم ومعتقداتكم وذلك حينما فشلت فى أن تهدم بنيان المسلمين وكيانهم عن طريق السياسة والاستعمار ، ذلكم لأن السيطرة على القلب وعلى العقل هى المعول الهادم الذى يقوض بناء الأفراد والأمم .

« من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع ، وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا فى الدين » .

« ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين ، لم يأتوك يحرفون الكلم من بعض مواضعه ، يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه ، وإن لم تؤتوه فاحذروا ، ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً ، أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم ، لهم فى الدنيا خزى ، ولهم فى الآخرة عذاب ألبم » .

فإلى كل مسلم فى أنحاء المعمورة ، له من دينه وإيمانه غيرة على مصدر هـذا الدين وعلى المصباح الذى يضيء لنا الطريق ، وعلى كتاب الله الذى أنزله هدى ونوراً للعالمين ، يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » ..

فإلى كل مسلم أوجه حديثى هذا توجيها مبعثه الإيمان بالله والغيرة على ديننا . وإن هؤلاء لأصحاب عداوات قديمة منذ كان محمد صلى الله عليه وسلم يرفع راية الإسلام وينزل عليه الوحى . فكان من مهمتهم أن يحرفوا كتاب الله ، ليضلوا الناس عن طريقهم المستقيم وليكبتوا الدعوة الإسلامية ، فهم اليوم يمارسون ما كان يفعله آباؤهم . فاحذروهم ، أجمعوا كلمتكم واجعلوها سيوفا باترة قاطعة لأطماع هذه الفئة الضالة الباغية ، واعملوا جميعا على قلب رجل واحد ، لتحفظوا مصدر سعادة البشرية ، كتاب الله العظيم . فإنه لا خير للمسلمين إلا به ولا سعادة لهم إلا عن طريقه ، وأن ترفضوا هذه الطبعة التى حرفتها إسرائيل ولا تقبلوها .

وإن الأزهر اليوم ، وجميع الهيئات الإسلامية فى الجمهورية العربية المتحدة لتناشد دينكم وضمائركم الحية فى أن تقفوا جميعا لوقف هذا العمل الإجرامى الذى يراد به طعن دينكم طعنة تقضى عليكم وعلى كيانكم .

والأزهر الذى قام على حفظ كتاب الله وسنة رسوله كفيل بأن يمدكم بما تحتاجون إليه من كتاب الله إمداداً صحيحا ، إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » . « يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » .

حقق الله القصد وأبان المسلمين جميعا فى مشارق الأرض ومغاربها على حفظ كتاب الله .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

محمود شلتوت

شيخ الجامع الأزهر

الحروف العربية "أصلح الحروف لكتابة اللغات"

للأستاذ عباس محمود العقاد

إن الأمم التى تعتمد على الحروف العربية فى كتابتها أكثر عدداً من كل مجموعة عالمية تعتمد فى الكتابة على الحروف الأبجدية ، ماعدا مجموعة واحدة ، وهى مجموعة الأمم التى تعتمد فى كتابتها على الحروف اللاتينية .

لأن الحروف العربية تستخدم لكتابة اللغة العربية ، واللغة الفارسية ، واللغة الأوردية ، واللغة التركية ، واللغة الملاوية ، وبعض اللغات التى تتصل بها فى الجزر المتفرقة بين القارات الثلاث : إفريقية وآسيا واستراليا .

ونسبة الكاتبين بين هذه الأمم أقل فى هذا العصر من نسبة الكاتبين بين أبناء الأمم التى تعتمد على الحروف اللاتينية .

ولكن الأمر فى صلاح الحروف للكتابة لا يعود إلى كثرة الأفراد الذين يكتبونها ، بل إلى أنواع اللغات التى تؤدى ألفاظها وأصواتها .

وعلى هذا الاعتبار تكون الحروف العربية أصلح من الحروف اللاتينية أضعافا مضاعفة لكتابة الألفاظ والأصوات ؛ لأنها تؤدى من أنواع الكتابة ما لم يعهد من قبل فى لغة من لغات الحضارة .

فالحروف اللاتينية تستخدم للكتابة فى عائلة واحدة من العائلات اللغوية الكبرى ؛ وهى العائلة « الهندية الجرمانية » .

وهذه العائلة الهندية الجرمانية هى العائلة التى يقوم فيها تصريف الكلمات على « النحت » أو على إضافة المقاطع إلى أول الكلمة أو آخرها ، وتسمى من أجل ذلك باللغات « الغروية » من الغراء اللاصق فى أدوات البناء والنجارة .

أما الحروف العربية فهى تقوم بأداء الكتابة بهذه اللغات وبكثير غيرها فهى تستخدم لكتابة الفارسية والأوردية وهما من لغات النحت ، أو من عائلة اللغات الغروية .

وتستخدم لكتابة التركية وهى من العائلة الطورانية ويرجعون فى تصريف ألفاظها إلى النحت تارة وإلى الاشتقاق تارة أخرى ، فهى وسط بين اللغة الفارسية واللغة العربية .

وتستخدم الحروف العربية بطبيعة الحال لكتابة لغة الضاد المميزة بمخارجها الواضحة، الدقيقة، بين جميع اللغات، وهي أعظم لغات الاشتقاق التي اشتهرت باسم العائلة السامية.

وتكتب بالحروف العربية لهجات ملاوية تتفرع على لغات المقاطع القصيرة والنبرات الصوتية المنغومة، ويختلفون في نسبتها إلى إحدى العائلات الثلاث حتى اليوم؛ لأنها مستقلة بكثير من الخصائص وقواعد التعريف، ولعلها عائلة مستقلة من العائلات اللغوية الكبرى تشعبت فروعها لتفرق الناطقين بها بين الجزر المنعزلة.

وقد استطاعت هذه الأمم جميعاً أن تؤدي كتابتها بالحروف العربية دون أن تدخل عليها تعديلا في تركيبها ولا أشكالها المنفردة، ولم تتصرف فيها بغير زيادة العلامات والنقط على بعض الحروف، وهي زيادة موافقة لبنية الحروف العربية وليست بالغريبة عنها؛ لأن العرب أنفسهم أضافوا النقط والشكل عند الحاجة إليها، وليست زيادة شرطه على الكاف بأغرب من زيادة النقط على الحروف، مفردة أو مثناة وفوق الحرف أو تحته. للتمييز بين الأشكال المتشابهة أو المتقاربة.

وعلى كثرة اللغات، والعائلات اللغوية، التي تؤديها حروف العربية لم يزل ضبطها للألفاظ أدق وأدل من ضبط الحروف اللاتينية التي تستخدم لكتابة عائلة لغوية واحدة، وهي العائلة الهندية الجرمانية.

فالأسباني يقرأ الانجليزية على حسب قواعد لغته فيحرفها كثيراً ويبلغ من تحريفها مبلغا لا نعهده في نطق الفارسي الذي يقرأ الأوردية أو التركية أو العربية، ولا نعهده في نطق العربي الذي يقرأ الفارسية بحروفها ولو لم يكن على علم بمعانيها، ولكنه إذا عرف معناها لم يقع في خطأ من أخطاء [illegible] ولم يكن هنالك خلاف بينه وبين أبناء الفارسية في كتابتها وقراءتها.

هذه حقيقة لا جدال فيها، ينبغي أن نحضرها أمامنا لنعرف مدى التهويل المفرط في شكوى الشاكين من صعوبات الكتابة العربية المزعومة؛ فإن حروفنا إذا قيست بغيرها لم نجد لها نظيراً بين حروف الأبجديات على تعددها وكثرة التحسينات التي أدخلت عليها.

وينبغي أن نحضر هذه الحقيقة في أيامنا هذه بصفة خاصة؛ لأنها غابت عن أذهان بعض الباحثين في مشكلة الكتابة عند طوائف من الأمم الشرقية الإسلامية يميل بعضها إلى اختيار الحروف اللاتينية، لكتابة ألفاظه ومترجماته المنقولة إليها.

فقد أخذت طائفة من قبائل الصحراء الإفريقية فى كتابة سجلاتها التجارية ومراسلاتها المتداولة بينها وبين سكان الشواطئ بالحروف الفرنسية . وأخذت فئة من الملاويين فى كتابة أمثال هذه السجلات والمراسلات بالحروف الهولندية أو الحروف الانجليزية ، وظهر بين كتابها من يستخدم هـذه الحروف فى الموضوعات الأدبية والفكرية .

فمن الواجب أن نذكر هنا أن عوامل السياسة والاقتصاد هى التى جنحت بتلك الطوائف إلى اختيار الحروف اللاتينية ولم يكن سبب هذا الاختيار نقصا عسير العلاج فى أصول الكتابة العربية ، ولولا عوامل السياسة أو الاقتصاد لما اختار فريق من الملاويين حروف الانجليزية واختار فريق آخر حروف الهولندية ، على حسب العلاقات بين البلد الملاوى وبين إحدى هاتين الدولتين .

ومن المعلوم أن صعوبات النطق بين الألفاظ الانجليزية والألفاظ الهولندية تتجسم فى بعض الحروف كالجيم والياء كما تتجسم فى حروف العلة عند مواضع الإمالة والإشمام على نحو يسهل تداركه فيما يكتب بالحروف العربية .

فلا ذنب لحروفنا العربية ولا الأبجدية العربية بجملتها فى هـذا التحول من هذه الحروف إلى ما عداها ، ولا يحسب على الكتابة العربية عيب واحد يصعب استدراكه على الكاتب العربى ويتيسر استدراكه على الكاتبين بالحروف اللاتينية ، حتى حركات الإمالة التى يبالغون فيها وهى عندنا أهون خطبا من نظائرها عند الأوربيين ... فإن حرف الألف (A) وحرف الياء (I) يمالان على غير قاعدة مطردة بين الانجليزية والفرنسية والهولندية . وقد استطاع حفاظ القرآن الكريم أن يضبطوا مواضع الإمالة والإشمام فى القراءات المختلفة ضبطا لا يعسر تعميمه بعلاماته عند الحاجة إليه فى سائر الموضوعات .

وعلينا أن نسقط من حسابنا تهويل المهولين باختلاف نطق الحروف على حسب اللهجات الفصحى أو العامية ، فإن الملايين من أبناء العربية يكتبون الجيم بشكلها الأبجدى المعروف وينطقها ابن القاهرة وابن الصعيد وابن دمشق كل منهم على حسب منطقه الذى نشأ عليه . . وليس فى شىء من ذلك ما يدعو إلى تغيير شكل الحرف ولا إلى تغيير قواعد الكتابة ، وإنما هى عادات تعرف ويحسب حسابها بغير مشقة ولا كلفة كما نرى ونسمع كل يوم منذ أجيال ، وكما هو معهود ومتواتر فى كل لغة من لغات الحضارة بين المكتوب والملفوظ وبين الملفوظ فى إقليم والملفوظ فى إقليم آخر ،

(البقية على الصفحة التالية)

الدولة التي صنعها الإنسان والأمة التي خلقها الله

للأستاذ الدكتور محمد البهي

— ٢ —

الأمة التي خلقها الله :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » تلك هي الأمة التي خلقها الله وذلك هو المجتمع الذي كونته الإرادة الإلهية . وهي الأمة التي عرفت المعروف والمنكر ، وأمرت بالمعروف ونهت عن المنكر ، وآمنت قبل ذلك بالله . فهي أمة لها رشد إنساني ، ولها سلوك أخلاقي . هي أمة أدركت وتهذبت : أدركت ما يجب أن يفعل وما يجب أن يترك ، وأدركت الحقيقة الأولى الكبرى : وهي الحقيقة الإلهية . وتهذبت : ففعلت ما يجب أن يفعل . وتجنبت ما يجب أن يترك ، هي أمة لها إرادة ولها اختيار . تفصل فصلا واضحا بين أنواع السلوك الإنساني وتتخذ منه أحسنه وأقربه إلى تمثيل الإنسانية وإلى تحقيق خصائصها.

هي أمة إنسانية ، تسلك سبيل الرشد الإنساني . ولكنها لا تسير في ضوء تحديد الإنسان للحياة ، وإنما تسير في ضوء هداية الله . هي لا تتعثر في سلوكها الطريق ، لأنها لا تتبع الإنسان المحدود : الإنسان الذي يخطئ ويصيب : الإنسان الذي إن حاول أن يتجرد مما يؤثر عليه في حكمه لا يتجرد وإنما يقع تحت التأثر بمؤثر ما ، لأنه وليد بيئة معينة ، ووراثة خاصة ، وتوجيه حزبي أو طائفي ، أو مذهبي .

ولو كان كل من الإقليمين منسوبا إلى وطن واحد ودولة واحدة ، ومن راقب ذلك في اختلاف النطق الأمريكي والنطق الانجليزي أو في اختلاف نطق العاصمة ونطق الريف أو استخدام الصحافة واستخدام الإذاعة لم يكترث لذلك التهويل الذي لج فيه الشاكون من صعوبات اللغة العربية وهي عند القياس أهون الصعوبات وعند البحث الرصين المنصف تشهد للأبجدية العربية بأنها أصلح من سواها لكتابة جميع اللغات ؟

عباس محمود العقاد

أفرادها لا يساقون إلى اتباع المعروف وتجنب المنكر ، وإنما يسيرون مختارين فى طواعيتهم لهـــذا أو لذاك ، أمة أفرادها يدفعون إلى العمل وإلى الحركة بدافع ذاتى هو دافع الضمير القائم على الإيمان بالله والخشية منه ، والله الذى يؤمن به الأفراد ويخشونه هو مركز القيم العليا كلها. ومركز الكمالات التى يتقرب إليها الأفراد بالتوجه نحوها وبتمثلها فى تصرفاتهم وأعمالهم .

ومجتمع هذه الأمة إذن هو مجتمع ليست فيه « رقابة » ، وليس فيه « جهاز تتبع » ، وليس فيه « قهر وجبر » . ولذا لا يحتاج إلى سلطة تنفيذية كقاعدة أساسية ، على نحو تلك التى يحكيها نظام الدولة . وإن وجدت فيه سلطة التنفيذ ـ وجوداً ضرورياً أيضاً ـ فهى لدفع الشذوذ ، ولدفع الانحراف الذى لا يخلو منه مجتمع ما . ولكن اعتماد الأمن والطمأنينة فى هذا المجتمع فى العلاقات بين الأفراد يقوم أولا وبالذات على الضمير ، وعلى إدراك القيم ، وعلى إدراك الفرق بين المعروف والمنكر ، وليس على تلك السلطة الخارجة عن ذوات الأفراد .

فهى أمة لها غاية خلقية إنسانية ، ومن أول قيامها تحددت أهدافها وغاياتها فى الحياة: وهى الإنسانية ، والتهذيب .

وأفراد هذه الأمة فى الوقت الذى نيط سلوكهم الخلقى والإنسانى بضميرهم وبما لهم من قوة ذاتية تدفع نحو العمل داخل أنفسهم ـ حملوا مسئولية الرعاية ، بحيث أن كل فرد فيها راع لنفسه ، أو لنفسه ولغيره : (كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، فالرجل راع وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئوله عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده وهو مسئول عن رعيته) أى فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . وبمسئولية الرعاية هذه التى يحملها كل فرد فى هذه الأمة توافرت عناصر الحرية الفردية ، كما توافرت عناصر الترابط المشترك بين الأفراد جميعا . إذ نطاق الحريه الفردية عندئذ ضمير الفرد وشعوره بمسئولية التصرف الذى يأتى به . أما عناصر الترابط المشترك فهى منبثقة من « الرعاية » التى أضيفت لكل فرد فى محيطه الخاص ، أو فى محيط آخر ليشمله ويشمل غيره وهو إذ يرعى نفسه فى محيطه الخاص يوفر لغيره حرمات الوجود المشترك . إذ رعاية الفرد لنفسه هى فى أن يعرف حدود نفسه سواء بحسب إمكانياته ، أو بحسب نطاق الحياة التى يعيش فيها .

وكما ذكرنا ـ أن اعتماد مجتمع هذه الأمة على الضمير القائم على الإيمان بالله والخشية منه اعتمادا أوليا ، فهو فى حاجة مع ذلك إلى السلطة التنفيذية ، ولكن ـ كما ذكرنا أيضاً ـ

لا تلعب هنا هذه السلطة الدور الذى لها فى أهميته وأصالته فى نظام الدولة فى المجتمع الحديث .

فالإسلام الذى تحدد منه معالم الأمة التى خلقها الله ـ أعطى الوالى حق إقامة « الحدود » على مرتكبى الجرائم فى المجتمع ، وهى الجرائم التى تمثل اعتداء على الحرمات الفردية من نفس ، ومال ، وعرض . ووكل إليه تنفيذ هذه الحدود بالنظام الذى يراه كفيلا بتحقيق الغاية المرجوة من إقامتها . وهى توفير الاطمئنان لأفراد المجتمع على حياتهم ، وأموالهم ، وأعراضهم .

وهذا الذى أعطاه الإسلام للوالى من حق إقامة الحدود ، هو « حق التنفيذ » الذى هو ركن من أركان نظام الدولة فى المجتمع الحديث . ولكن الإسلام مع ذلك ركز اهتمامه الأول فى الاعتماد على الضمير . تلك القوة الذاتية الدافعة للفرد عن طريق الإيمان بالله ، عند ما كلف الوالى أيضا فى الوقت نفسه درء الحدود بالشبهات إذ يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « ادرءوا الحدود بالشبهات » . ومعنى درء الحدود بالشبهات الرغبة فى عدم تنفيذ العقوبات الخاصة بالجرائم التى أسماها بالحدود ، إلا عندما يتوفر اليقين على ارتكابها من فاعليها وفى ذلك إفساح « للضمير » فى أن يأخذ مكانه فى العمل على استقرار العلاقات بين أفراد المجتمع . وكذلك استبعد الإسلام أن تقع هذه الجرائم ـ عند ما تقع ـ من مؤمن بالله ، أى من فرد يكون عنده « الضمير » القائم على الإيمان بالله والخشية منه . فيقول الرسول عليه السلام : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن » .

وإذن ركن السلطة التنفيذية ، الذى هو أحد أركان نظام الدولة فى المجتمع الحديث ـ يوجد أيضا فى مجتمع الأمة التى خلقها الله . ولكن مع العناية بالضمير وشغل القلب بالإيمان بالله . والإيمان بالله هو الطريق الموصل الإيمان بالإنسانية وبالأخوة فيها ، وبما يترتب على ذلك من تعاون فى سبيل الخير ، ومحبة الفرد للفرد بحيث يجعل غيره فى مستوى نفسه ، فى حق التمتع بالحياة . وإذن ما فقده نظام الدولة من ضمير لدى الأفراد ، معتمداً اعتماداً كلياً على السلطة التنفيذية وحدها ، توافر هنا بجانب السلطة التنفيذية نفسها ، وأيضاً مع توافر الكرامة الإنسانية للفرد ، التى تتمثل فى الحرية الفردية : الاختيار فى الحكم أو فى العمل . وبذلك يعد مجتمع الأمة التى خلقها الله عن أن يكون مجتمعاً يساق ويدفع من خارج

أفراده ، ويكون أشبه بمجتمع الكائنات الأخرى التى تسير الإنسان بحكم طبيعته أن يسودها ، وأصبح معبراً عن المجتمع الإنسانى الذى تسوده خصائص الطبيعة الإنسانية .

وكذلك إن وجد « حق التنفيذ » فى مجتمع الدولة التى أرادها الله — على نحو ما شرحنا — فإنه يوجد فيه أيضا « حق القضاء والفصل بين الناس فى الخصومات التى تنشأ بينهم » . ويراعى فيه العدل كما هو مفروض أن يراعى أيضا فى السلطة القضائية التى هى الركن الثالث فى نظام الدولة فى المجتمع الحديث . فالقرآن الكريم يقول : « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل . إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا » ويقول أيضا : « وإذا قلتم فاعدلوا ، ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون » . فهو يطلب أن يكون الأمر عدلا بين المؤمنين فى الحكم والقول ويتشدد فى طلب ذلك بحيث لا يتأثر العدل فى الحكم والقول بمحسوبية ولا هوى ، كما يطلب أيضا العدل إذا كان الحكم لغير المؤمنين ، فيقول : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا . اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون » . ولكن وجود « حق القضاء » فى مجتمع الأمة التى خلقها الله يختلف عن وجود « السلطة القضائية » فى نظام الدولة فى المجتمع الحديث . وهذا الاختلاف ينبع عنه لمصلحة الدولة وبالتالى لاستقرار العلاقات بين أفراد المجتمع .

فالإسلام إذ يطلب العدل فى الحكم والقول بين المؤمنين وبين غير المؤمنين ، ويؤكد هذا الطلب فى كل آية طلب فيها العدل بأن يراعى الله وبأن يكون القاضى أو العامل على ذكر منه عندما يقضى أو عندما يقول . ولذا نراه يعقب بقوله : « إن الله نعما يعظكم به » « وبعهد الله أوفوا » ، « ذلك وصاكم به » . « واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون » فهو يذكر بالله ، ليجنب الإنسان فى قضائه ، وفى حكمه ، وفى قوله ، الهوى والميل . وهذا يرده إلى ضميره فيحتكم إليه قبل أن ينطق بحكمه وبقوله . وهنا اعتمد « حق القضاء » على الضمير ، كما يعتمد طبعا على الفقه ، ومعرفة ما حلله الله وما حرمه ، وما شرعه للناس جملة .

بينما السلطة القضائية ، فى نظام الدولة فى المجتمع الحديث . تعتمد أيضاً على الفقه وعلى الضمير ، ولكنه فقه الإنسان وضمير الإنسان ، وليس شرع الله ، وليس الضمير القائم على الخشية من الله ، والفرق بين شرع الله ، وفقه الإنسان ، هو الفرق بين

المطلق والمحدد ، والفرق بين ما يتأثر وما لا يخضع للتأثير ، والفرق بين ضمير الإنسان والضمير القائم على الخشية من الله ، هو الفرق بين قوة تتحدد بعوامل البيئة وبالوراثة ، وبنفوذ السلطة التنفيذية ، وبين قوة تعلو عن هـــذا التحديد ، وتستوحى توجيهها من الله وحده .

وعنصر الفقه ، وعنصر الضمير فى القضاء أمران ضروريان فى تحقيق العدالة . ولكن نوع الفقه ، ونوع الضمير أشد ضرورة فى تحقيق العدالة نفسها ، بل ربما يتوقف عليه وحده وقوع العدل أو عدم وقوعه .

ولتقدير الضمير الذى هو قائم على الإيمان بالله والخشية منه فى قيمة العدالة ، وتحقيق العدل ، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام للمتخاصمين عنده : (إنما أنا بشر . وقد يكون بعضكم ألحن بحجته من بعض فأقضى له فمن قضيت له بشئ من مال أخيه ، فإنما أقطع له قطعة من النار) .

وبجانب « حق التنفيذ » ، و « حق القضاء » فى مجتمع الأمة التى خلقها الله يوجد أيضاً « حق التشريع » مما يقابل السلطة التشريعية فى نظام الدولة فى المجتمع الحديث ، و « حق التشريع » ليس موكولا هنا لطائفة تتكون عن طريق الاقتراع الشعبى ، أو عن طريق اختيار السلطة التنفيذية لرجالها . وإنما هو موكول إلى جماعة تتكون عن طريق انتخاب الطبيعة ، أى عن طريق الانتخاب الذاتى الذى تبرز فيه الكفايات الفردية ، وتكون هذه الكفايات وحدها الأمارة على الانتخاب والتميز ، وهذه الجماعة هى « أولو الأمر » فى قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول ، وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » . أولو الأمر هم الذين تفوقوا ، باجتهادهم فى فهم ما أنزل الله ، وتفقهوا فى كتاب الله وتميزوا فى استنباط الأحكام للوقائع والأحداث التى لم تقع بأشخاصها على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، قياسا على وقائع وأحداث أخرى تسرى على أحكامها ، وعرف الأمر فيها بحلها أو بحرمتها ، هؤلاء هم المجتهدون ولذا كان اجتهادهم إن أجمعوا عليه ، حجة تتبع . وتجب طاعتهم ، لأنها من طاعة الله ورسوله .

وعندئذ ربط الإسلام طاعة الفقه الذى يستنبطه الفقهاء المجتهدون ، بطاعة الله وطاعة رسوله . وهنا تكون الطاعة للتشريع طاعة قائمة على إقناع وإيمان معا . وبذلك يقل الانحراف والشذوذ عنها ، لأنها لم تفرض من الخارج ،

ولم تكن محددة ومقننة من بشر لأنهم بشر فحسب . وإنما لأنهم بشر حكموا الله فيما تفقهوا ، وفيما أتوا به من أحكام .

* * *

وهنا نخرج من هذه الموازنة بين الدولة التى صنعها الإنسان والأمة التى خلقها الله ، بأن نظام الحكم ، أو أن نظام توجيه الأفراد فى المجتمع الذى يعتمد على الأسس التى لا بد من رعايتها فى المجتمع ـ وهى أسس التنفيذ والقضاء ، والتشريع ـ وهى موجودة فى كلا المجتمعين ، لأن ذلك ضرورة تقتضيها سياسة المجتمع فى أية صورة من صوره . وبعد وجود هذا النظام للحكم فى المجتمع الحديث لحقت به عيوب ، تجعله غير كفيل بتحقيق أهداف المجتمع من الاستقرار بين الأفراد ، وإتاحة الفرص المتكافئة للجميع . وفى الوقت نفسه يجعل من أفراد المجتمع مجموعة من الأفراد تساق دون أن تصان لها الحرية الفردية ، والكرامة الإنسانية بمعناها الأولى وهى تلك الصلة التى تجعل الإنسان ذا اختيار وذا سيادة وذا اقتناع .

وقد سبق أن وضحنا هذه العيوب التى لحقت بنظام الدولة فى المجتمع الحديث ، وقد تلافاها نظام الحكم فى مجتمع الأمة التى خلقها الله . وأهم ما يتميز به مجتمع هذه الأمة ، رعاية الضمير الإنسانى ورعاية الإيمان بالله . وعن هذين المبدأين تتوفر الحرية الفردية وكرامة الأفراد كبشر ، فى الوقت الذى تكون فيه العلاقات النفسية بين الأفراد قائمة على التعاون والمحبة ، والأخوة . وذلك أقصى ما يطلبه المجتمع البشرى ، وأقصى ما تحققه قيادة إنسانية لمجتمع بشرى .

وليست الأمة التى خلقها الله هى أمة إلهية ولا مجتمعها مجتمعا له قداسة ، ولا القائمون على الأمر فيه ، تعصمهم نسبتهم إلى كتاب الله عن الخطأ . وإنما هى أمة أفرادها بشر ، ومجتمعها مجتمع بشرى ، والقائمون على الأمر فيها أناسى يجوز عليهم الخطأ والصواب .

وليست الحكومة التى تقوم فى مجتمع الأمة التى خلقها الله حكومة إلهية ، تجب طاعتها دون أن تسأل ، ويستمع لها دون أن تناقش إنما هى حكومة تخضع للشورة ، وتبقى طالما تصيب ، فى الحكم وفى رعاية علاقة الأفراد بعضهم ببعض .

والإنسان فى مجتمع الأمة التى خلقها الله . هو إنسان عليه أن يباشر ملكاته وطاقته ، وعليه أن يسعى ، وعليه أن يفكر ، وهو يصيب مرة ، ويخطئ أخرى .

وفقط الفرق بينه وبين إنسان المجتمع الحديث أنه لا يغتر بإنسانيته ولا يخدع باستقلال عقله . بل عليه ـ بجانب استخدام عقله وملكاته البشرية ـ أن يستوحى كتاب

الله . وليس كتاب الله إلا تخطيطا عاما لصالح البشرية . فإن وجد تحديد لكتاب الله ووجدت إساءة فى هذا التحديد ، فتلك صنعة الإنسان لا تمت لكتاب الله بصلة .

وفى مجتمعنا الشرقى الإسلامى ، لم يستطع الإنسان المسلم حتى هذه اللحظة أن يدرك إدراكا واضحاً أن الثنائية التى قامت فى أوربا بين الكنيسة والدولة ، لا تتصل بالإسلام ولا بنظامه .

الإسلام ليس كنيسة ، ورجال الفقه وعلماؤه ليسوا كهانا . بل المسلمون جميعا سواء ، هم مسلمون ، ثم بعد ذلك أصحاب حرفة أو أصحاب مهنة . ليست فى الإسلام جماعة تمارس سلطة باسم الإله ، ولا هيئة تحدد منطقة نفوذ لها فى الإنسان إما فى روحه وإما فى جسده . وإنما هم جميعاً أبناء أمة واحدة . هى تلك التى أشار اليها القرآن الكريم فى قوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » .

والإسلام بعد ذلك ، ليس مسئولا عن تحريف الإنسان إياه ، ولا عن إساءة فهمه له . ومسئولية الإسلام فى قرآنه فقط : « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ، إن الله شديد العقاب » .

إن نظام الدولة فى المجتمع الحديث اتخذ مجاله جسم الإنسان دون روحه . ولعله عنى بذلك ليترك « الروح » للكنيسة ، كمنطقة نفوذ لها ، تطبيقا للوضع الذى تم عليه الأمر بين الكنيسة والدولة منذ الثورة الفرنسية .

أما نظام المجتمع فى الأمة التى خلقها الله ، فقد جعل الإنسان كله ـ جسمه وروحه ـ مجال عنايته . وبذلك عنى بجسمه كما عنى بالروح ، واتخذ من الإنسان وحدة واحدة ، يتبع قيادة واحدة . وحمله حملا معنويا ـ عن طريق الضمير ـ إلى أن يكون دافعه نحو الحركة ، ونحو توثيق العلاقات بينه وبين غيره ، ونحو الاطمئنان والاستقرار ، من نفسه لا من غيره .

ولعل شر ما ابتلى به نظام الدولة فى المجتمع الحديث هو « الثنائية » بين الدين والدولة ، بين سلطة الكنيسة كسلطة دينية ، وبين سلطة الدولة كسلطة مدنية .

أما الأمة التى خلقها الله ، فمجتمعها غير موزع بين سلطتين ، وإنما نظامه قيادة واحدة ، وتوجيه واحد .

« صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » .

الدكتور محمد البهى
المدير العام للثقافة الإسلامية

الله
فى القرآن الكريم

للأستاذ محمد محمد المدنى

— ٢ —

١ — بعض الناقدين للإسلام يقولون : إن الإسلام يصور الإله بصورة رهيبة فهو الجبار المنتقم القهار . . . إلخ ... فأين هذا من المسيحيين الذين يسمون الإله باسم « الأب » الدال على معانى الرحمة والحب لأبنائه ؟ .

٢ — والواقع أن هؤلاء النقاد إما غافلون أو متغافلون عما وصف به الإسلام رب العالمين .

فإن الله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز : « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون » .

وقبل أن ندخل فى بيان ما توحى به هذه الآية نسارع فنقول : إن الله تعالى سمى نفسه « رب العالمين » وكلمة رب هذه تدل على معنى التربية والتعهد وتنطبق على ما لله تعالى من فضل على جميع العوالم ، بإعدادها وإمدادها فمن تأمل كيف أنعم الله بالتهيئة والإمداد فى كل عالم : من عالم النبات إلى عالم الحيوان إلى عالم الجماد ، إلى عالم الكواكب إلى غير ذلك من العوالم ، فإنه يرى آثار الرحمة الإلهية واضحة ويكفى أن تنظر إلى ذلك مثلا فى خلق الجنين وتكوينه ورزقه وحفظه فى رحم أمه وولادته وإرضاعه إلخ .. لترى أن الله يغمره بالرحمة والتربية غمرا ، وأنه بعد ذلك يتعهده فى كل خطوات حياته إلى أن ينتهى ، بألوان من التعهد والعناية لا تذكر بجانبها عناية الأب بابنه ، لأن الأب محدود وقدرته وعلمه محدودان .

وإذن فوصف الله تعالى بأنه رب العالمين هو أبلغ وأقوى فى إفادة معانى الرحمة والعناية والتعهد من وصفه عند المسيحيين بالأب ، هذا إلى ما فى لفظ الأب من الإيحاء بعلاقة لا يستحبها الإسلام ، بل يجب تنزيه الله عنها ، « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد » .

٣ — وإذا نظرنا بعد ذلك إلى ما توحى به الآية الكريمة وهى قوله تعالى : « ولله الأسماء

الحسنى، فإننا نستطيع أن ندرك كيف حرص القرآن الكريم على أن يصف لنا الإله بمجموعة من الأسماء أو الصفات التى نستطيع أن نقول : إنها ينابيع الخير والعدل والحق والجمال والجلال ، فهو لا يريد أن نرى من الإله جانبا واحدا فيكون إدراكنا لعظمته جانبيا ، أى مرتبطا بجانب ، ولكنه يريد أن نرى من الإله كل الجوانب ؛ لأن من رأى جانبا واحدا ، أو بعض الجوانب ، لم يكن مدركا للعظمة من جميع نواحيها ، وبعبارة أخرى يعلمنا الإسلام أن ننظر الى صفات الله كلها كمجموعة ولا نكتفى بالنظر الى جانب واحد منها ، وإلا كنا قاصرين عن إدراك كمال الله تعالى أو مقصرين فيه .

يروى أن بعض المتصوفة كان من شأنه أن يتأمل فى صفات الله واحدة بعد واحدة ، فربما استغرق بضع سنين لا ينظر إلا فى صفة « الرحمن » أو « الرحيم » فيتأمل فى آثار الرحمة الإلهية تأملا عميقا ، ويقف عند كل أثر من هذه الآثار وقفة الخاشع المعجب ، ويستمر على ذلك لا يشغل نفسه بتأمل صفة أخرى من صفات الله لمدة أعوام حتى إذا امتلأ بهذه الصفة قلبه ، وعمق الإيمان بها فى أعماق نفسه ، انتقل إلى صفة أخرى كصفة « العزيز » مثلا . فجعل يتأمل مظاهر هذه العزة فى الكون وفى الناس مدة أخرى وهكذا ...

هذا المسلك الصوفى مسلك حسن من غير شك ، ولكنه فى نظرى ليس أحسن المسالك وإنما يجتلى المؤمن عظمة ربه كاملة إذا شغل نفسه بمظاهر صفات الله كلها وتقلب بفكره فيها فيتأمل مظاهر الرحمة والنعمة ، ويتأمل مظاهر البأس والنقمة ، ويتأمل مظاهر العلم ومظاهر الحكمة ، ويتأمل مظاهر العدل ومظاهر الجبروت ، وهكذا .

وقد يدلنا على هذا المعنى أن القرآن الكريم حين يذكر صفات الله تعالى يذكرها غالبا متتابعة دون عطف بحرف ، فيقول : « إن الله عزيز حكيم » . « إن الله غفور رحيم » ، « والله عليم حكيم » . وأظهر مثال لذلك هو ماجاء فى آخر سورة الحشر حيث يذكر الله تعالى مجموعة من أسمائه الحسنى متتابعة مترادفة دون تفريق بين سابق منها ولاحق فيقول : « هو الله الذى لا إله إلا هو ، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون . هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى . يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » .

٤ — فأخذ الأمور على وجه من الجانبية هو الذى جعل هؤلاء الناقدين ينظرون إلى أن الإسلام يصف الإله بالأوصاف المخيفة ويغفلون أو يتغافلون عن الأوصاف الأخرى أو الأسماء الأخرى . ومن واجبهم أن يعلموا

أن الكمال المطلق يقتضى أن يتصف الكامل بجميع الصفات الحسنى وإلا لكان ناقصا فى جانب كاملا فى جانب . فنحن إذا علمنا أن فلانا من الناس شجاع ولم نعلم بغير هذه الصفة فيه ، فإننا ربما تصورناه مهيباً مفزعا مخيفاً ، ولكن إذا علمنا أن هذا الشجاع يتصف بأوصاف أخرى مثل : الجود والرحمة والعلم والحكمة فإن قيمته تزداد فى نظرنا . ونطمئن إلى أن شجاعته ليست من النوع الخطر ، على معنى التهور مثلا ، وكذلك لو علمنا أن فلانا من الناس رحيم القلب . ولم نعلم بغير ذلك من صفاته فربما تصورناه لشدة رحمته متراخيا أو ضعيفا عن غيره ، أو طمعنا فى رحمته فلم نخف من سطوته . ولكننا لو علمناه مع الرحمة قويا شديد البأس فى موضع البأس ، ازداد تقديرنا له ، وازددنا علما بجوانبه وإدراكا لمجموعة صفاته التى بها يتميز عن غيره .

وإذا أردنا أن نعبر عن هذا المعنى بعبارة أخرى ، فإننا نقول : قد يوجد مزيج من الدواء هو مجموعة من مقادير مختلفة من أنواع وعناصر مختلفة . فإذا عرفناه على هذا التركيب باسم معين ، فلا يمكن أن نطلق هذا الاسم على آخر فقد بعض عناصره ، أو فقد نسبة المقادير التى ركب على حسابها .

ولله المثل الأعلى ، فمن نظر إلى صفة واحدة من صفاته فإنه لا يستطيع أن يزعم أنه أدرك الله فى كماله وجلاله .

٥ ـ وفى الحديث الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أن لله تسعة وتسعين اسما ـ مائة إلا واحداً ـ من أحصاها دخل الجنة » .

والمفسرون يوردون هذا الحديث وما فى معناه حين يتكلمون عن تفسير قوله تعالى: « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها » ، ولكنهم مع ذلك يوردون أحاديث أخرى تدل على أن لله تعالى أكثر من هذا العدد من الأسماء الحسنى ، ومن أشهر الأحاديث التى تدل على ذلك ما رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود وفيه (أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته فى كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك . أو استأثرت به فى علم الغيب عندك) ولذلك يحاولون التوفيق بين هذه الأحاديث ، بأن الحديث الأول غير حاصر للأسماء فى هذا العدد ، وإنما يذكر هذا العدد فقط ، وبعضهم يستخلص هذا العدد من القرآن فإذا رأى العدد زاد عن تسعة وتسعين حاول إرجاع بعض الصفات إلى بعض وأنها فى معنى واحد باعتبار الأصل ، مثل (الغافر والغفار والغفور) و (الشاكر والشكور) ونحو ذلك .

ولى رأى فى هذه المسألة أبديه فى إيجاز :

وهو ان الآية الكريمة « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها » لا تقصد إلى تحديد أسماء معينة أو صفات معينة تشير إليها بذلك ولا تقصد إلى معنى الاسم الذى هو لفظ يطلق على الذات لتعريفها ، كما نسمى إنسانا من الناس محمداً مثلا ، وإنما تقصد الآية - والله أعلم - إلى تقرير أن الله تعالى هو مصدر كل المعانى الكاملة المعبر عنها بالأسماء الحسنى فما من معنى من معانى الخير والحق والجمال والجلال إلا وهو لله أصلا ومن الله مبدأ ومصدرا .

والتعبير بالأسماء هنا شبيه أو قريب من التعبير بالأسماء فى قصة آدم حيث يقول الله عز وجل : « وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين » فليس المراد هناك ما تبادر إلى أذهان كثير من المفسرين من أنه علمه اسم كل شىء حتى القصعة وكذا وكذا .. ، ولكن المراد - والله أعلم - أنه علم آدم ، أى علم الإنسان وركز فى طبعه ومواهبه وسائل التعرف للحقائق واكتناه الأشياء والمعارف والخواص ، وهذا ما ميزه به على الملائكة الذين لم يهبهم هذه الموهبة ، ولم يطبعهم على ما طبع عليه الإنسان منها ، وقوله تعالى : « وعلم آدم » معناه : وكان علم آدم ، أى طبعه وفطره على طبع وفطرة تجعله عالما بالأسماء كلها . ولا يصح أن نفهم أنه علمه الأسماء أى ألقاب الأشياء بعد مناقشة الملائكة ؛ لأنه حينئذ بمثابة أن يعترض عليك أحد فى تفضيل فلان عليه فتريد ان تبرهن له على أن فلانا هذا خير منه ، فتعلمه بشىء لا تعلمه المعترض ، فإن له ولكل عاقل أن يقول لك : أنت علمته ولم تعلمنى ، ولو علمتنى مثله لكنت مثله أو يقول : إننى وإياه متساويان ولكنك منحته علما لم تمنحنى إياه ، وجددت له هذا العلم حين سألتك عن سر تفضيله ، وهذا لا يعطيه مزية وأفضلية من دونى .

هذه خلاصة الفكرة عن الأسماء فى قصة آدم ، وهى تقرب من الأسماء بمعنى المعانى فالله وصف نفسه بأن له الأسماء الحسنى ، أى جميع المعانى الفاضلة الخيرة ، التى لا يرقى إليها من سواه ؛ لأن الحسنى مؤنث الأحسن ، فكأنه قال ما من صفة من الصفات الحسنة إلا وهى فى الله تعالى ، وصادرة منه وهو ينبوعها الأول ، وهى فيه جل شأنه على الوجه الأكمل والأحسن لا يشاركه فى ذلك مشارك .

وبهذا التفسير نعلم أن الأحاديث ليس لها غرض فى الحصر والعدد وإنما تريد بيان الكثرة على حد « سبعين مرة » أو « سبعة وسبعين » إلى غير ذلك مما جاء على

مألوف العرب فى إفادة الكثير بالسبعين والتسعين ... إلخ .

٦ ــ وإذن فالأسماء الحسنى التى تذكر فى القرآن والحديث ما هى إلا عبارات عن هذه المعانى التى تصور الكمال المطلق فى الله فى كل جانب .

ولهذه الأسماء إيحاءات إلى الكمال ؛ فإن الإنسان واله إلى الآله أى منجذب إليه متخلق بأخلاقه ، والإيمان يزيد هذه الطبيعة فى الإنسان ، فهو يتأثر مولاه ويتتبعه ، فإذا علمت أن الله رحيم ، فقد علمت أن الرحمة كمال يجب أن ينشد . وإذا علمت أن الله عليم ، فقد علمت أن العلم كمال يجب أن ينشد . وهكذا . حتى صفات الانتقام والأخذ الشديد هى أيضا مثل تحتذى ، على أن توضع فى مواضعها كما يضعها الله تعالى فى مواضعها ، فإذا كان أحد من الناس يحسن أخذ الظالم المستحق للأخذ ، ويحسن كيف يشتد فى أخذه انتقاما من شدة ظلمه ، فإن هذا يعد وصفا حسنا فيه إذا وضعه فى موضعه .

وقصارى القول أن للأسماء الحسنى التى يتسم بها الله جل جلاله إيحاء بعظمة الله وجلاله ، كما أن لها إيحاء بأخلاق الجمال والكمال .

٧ ــ بعد هذا نعود إلى الذين ينقدون الإسلام بأنه يصف الإله بأوصاف تخيف ويوازن بين الإسلام والمسيحية التى وصفت الإله بأنه الأب ، وهو لفظ مفيد لمعنى الحنو والرحمة .

نعود إلى هؤلاء كرة أخرى فنقول لهم :

بأى حق تتحدثون عن تنزيه الله ، وأنتم الذين نسبتم إليه ما ينافى التنزيه فى كتبكم ؟ .

ــ لقد ذكرت التوراة فى الإصحاحين : الثانى والثالث من سفر التكوين قصة آدم وحواء وخروجهما من الجنة ، وذكرت أن الله أجاز لآدم أن يأكل من جميع الأثمار إلا ثمرة شجرة معرفة الخير والشر وقال له : لأنك يوم تأكل منها موتا تموت ، ثم خلق الله من آدم زوجته حواء ، وكانا عاريين فى الجنة ؛ لأنهما لا يدركان الحسن والقبح ، وجاءت الحية ودلتهما على الشجرة وحرضتهما على الأكل من ثمرها ، وقالت : إنكما لا تموتان ، بل إن الله عالم أنكما يوم تأكلان منه تتفتح أعينكما وتعرفان الحسن والقبح ، فلما أكلا من ثمر الشجرة انفتحت أعينهما ، وعرفا أنهما عاريان ، فصنعا لأنفسهما مئزرا ، فرآهما الرب وهو يتمشى فى الجنة ، فاختبأ آدم وحواء منه ، فنادى الله آدم أين أنت ؟ فقال آدم : سمعت صوتك فاختبأت لأنى عريان ، فقال الله من أعلمك بأنك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة ؟ . ثم إن الله بعد ما ظهر له أكل آدم من الشجرة قال : هو ذا آدم صار كواحد منا عارف

بالحسن والقبيح ، والآن يمد يده فيأكل من شجرة الحياة ، ويعيش إلى الأبد ، فأخرجه الله من الجنة ، وجعل على شرفتيها مايحرس طريق الشجرة . وذكر فى العدد التاسع من الإصحاح الثانى عشر : أن الحية القديمة هو المدعو إبليس والشيطان الذى يضل العالم كله .

انظر كيف تنسب كتبهم إلى الله أنه كذب على آدم وخادعه فى أمر الشجرة ، ثم خاف من حياته وخشى معارضته إياه فى استقلال مملكته فأخرجه من الجنة ، وأن الله جسم يتمشى فى الجنة ، وأنه جاهل بمكان آدم حين اختفى عنه ، وأن الشيطان المضل نصح آدم ، وأخرجه من ظلمة الجهل إلى المعرفة وإدراك الحسن والقبح (ص ٣٦ من كتاب البيان فى تفسير القرآن) .

وإننا لنجد هذا اللون كثيراً فى كتب العهدين القديم والجديد ، ونرى كيف يصفون الأنبياء ، فابراهيم كذب على فرعون ، وعرفه أن سارة أخته بينما كانت زوجته ، فاتخذها فرعون زوجة له ، وآتى ابراهيم أموالا من غنم وبقر وحمير وعبيد إلخ ، ولما علم فيما بعد أنها زوجة ابراهيم ، ردها له وعاتبه فى أنه لم يعرفه بهذه الحقيقة .

وإذن فابراهيم فى نظر هؤلاء متصف بصفة الكذب ، وبصفة السكوت على انتزاع زوجته منه .

وفى قصة لوط يذكرون أنه زنى بابنتيه بعد أن سقتاه خمراً ، وأنه أحبلهما ولدين : أحدهما (موآب) أبو الموآبيين ، والثانى (بن عمى) وهو أبو (بنى عمون) .

وفى قصة اسحاق أنه أراد أن يعطى بركته أحد أبنائه وهو عيسو ، فخادعه يعقوب ، وأوهمه أنه عيسو وسقاه خمرا ، فأعطاه هو البركة ، ولم يعطها لعيسو ، ولما راجعه عيسو فى ذلك ، قال له ما معناه : لقد انتهى الأمر .

وفى ذلك معنى أن الأنبياء يزنون ويسكرون ويخدعون ، وأن بركة الرب تعطى جزافا ، والنبوة تؤخذ عن خديعة ... وهكذا .

فمن أين لهم هذا الهراء وهذا التخريف .

وكيف مع هذا يعيبون على الإسلام ما وصف به الإله الحق ؟ ؟ .

محمد محمد المدنى
عميد كلية الشريعة

نفحات القرآن

الغضب مجلبة لسوء الظن والندم
والإكراه معذرة في الخطأ
والاستغفار طهرة من الذنوب

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

(ا) « ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا ، قال بئسما خلفتمونى من بعدى ! ! أعجلتم أمر ربكم ؟ وألقى الألواح ، وأخذ برأس أخيه يجره إليه.
(ب) قال : ابن أم ! ! إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلونى فلا تشمت بى الأعداء ، ولا تجعلنى مع القوم الظالمين .
(ج) قال : رب اغفر لى ولأخى ، وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين » .

حياة موسى عليه السلام كانت مرحلة زمنية حافلة بالأحداث والعجب ، وفى كل جانب منها فصول تلقتها الإنسانية فى مصابرة ، وعرفت منها الدنيا مالم تكن رأت فى أحقابها الأولى .

فإذا تجاوزنا الحديث عن طوره الأول - فى عهد فرعون وما أحاط به من مخاوف - إلى الحديث عنه رسولا إلى بنى إسرائيل . وما كان من شئونهم مع موسى وجدنا متسعا للقول ، وأحداثا يستغرق ذكرها أو قاتا ، ويثير الحيرة فى أمر هؤلاء اليهود .

نعم ! ! تاريخ اليهود حافل بالعجب ، وقضاياهم بارزة فى صفحة هذا الوجود .

فإن يكن لهذه الطائفة بين سائر الشعوب نشاط فى الدنيا ، وجولات فى المجال الاقتصادى فكأن الله خلقهم على نمط خاص بهم فى التفكير ونسج لهم تاريخا من مناهجهم فى الحياة ، ومن شئونهم فى الدين ، ومواقفهم أمام رسالات الأنبياء .

وإنك لتجد الكتب زاخرة بالقول فيهم ، وتجد القرآن يتناولهم بالشىء الكثير ، حتى لتشعر - صادقا فى شعورك - أنهم رموز حية لشياطين الإنس . وأن جانبهم لا يؤمن ، وإن غلبت عليهم المودة والزلفى ، وتلمس فى غير ريبة أن عهدهم وإن وثقوه عهد منقوض وفى سياستهم مع موسى عليه السلام أمثلة تنبيك عن طبائعهم واتجاهاتهم فى دنيانا فضلا عما كان لهم مع غير موسى من الأنبياء ، وماضيهم لا يختلف عن حاضرهم ، وهم فيما سلف أشبه بما نراه منهم اليوم ، وربما كانوا فى غدهم شرا مما عرفنا عنهم .

ولكن الله لن يرفع لهم راية ، ولن يعلى لهم شأنا كما سجل عليهم غضبه ، وهددهم بشر وعيده فى القرآن ، ولن يخلف الله وعيده معهم.

حينما اجتاز موسى بهم البحر ، وتجلت فيهم المعجزة بإغراق فرعون وجنوده ، ونجاة موسى وأتباعه من طغيان الفراعنة : ما كادت أقدام اليهود تستقر على أرض سيناء حتى اقترحوا على موسى أن يتخذ لهم أصناما يعبدونها كما رأوا هناك جهلة كفاراً يعبدون الأصنام « يا موسى ! اجعل لنا إلها كما لهم آلهة . . . » .

فنهاهم موسى عن ذلك التقليد ، وذكرهم نعمة الله عليهم بالنجاة من فرعون ، وكانوا فى ضنك من حكمه عليهم بمصر ، وفى شقاء من مطاردته لهم وتقتيل أولادهم واستحياء نسائهم . . ولكن طبائع الشر كامنة فيهم ، فما انصرفوا عن طلبهم ذاك إلا تحينا للفرصة وانتهازاً للوسيلة ، وذلك دأب النفوس المتمردة الخبيثة .

وحينما استقر بهم موسى حيث استقروا فى سيناء ، وعـــد الله موسى أن ينزل عليه كتابا يتلقاه بالوادى المقدس - وهو المعروف بطوى - بجبل الطور فى تلك الصحراء .

وفى الموعدة التى وعد الله موسى أخذ معه سبعين رجلا من خيارهم ليصحبوه إلى الميقات ويحضروا معه ما يتلقاه من ربه ، وترك هارون مع القوم ينتظرون .

وفى طريقهم إلى الوادى المقدس تعجل موسى فى سيره ليسبق ، ووعد أصحابه اللقاء عند الميقات .

وفى هذا سؤال الله تعالى « وما أعجلك عن قومك يا موسى ؟ » وفيه جواب موسى « قال : هم أولاء على أثرى وعجلت إليك رب لترضى » .

مكث موسى وأصحابه ثلاثين ليلة ، ثم عشرة أخرى ، أراد الله زيادتها فى الموعد ولم يكن هارون ومن معه يعلمون بتلك العشر الليالى فراب القوم غيابه ، وأخذوا ينتقضون عليه ويتحللون من دينهم ، ويسارعون فى الكفر كما كانوا يشتهون من قبل ، وبعد تلقى موسى للتوراة ، وقبل انصرافه إلى أكثرية القوم فى مقرهم الأول مع أخيه هارون وزيره . أخبره الله أن القوم غمرتهم الفتنة فى غيابه ، وأن موسى السامرى أحد أتباعه ، دبر لهم فتنة الكفر التى ارتكسوا فيها .

ومع أن موسى كليم الله ، وصاحب الحظوة بالحديث إلى ربه لم يستفسر عن تفصيل الفتنة ، لأنه يعهد فى الكثير من يهوده ذبذبة الفكرة ، ووهن العقيدة ، فشغله الهم لذلك وقفل راجعا ليتدارك القوم فى محنتهم .

(١) عاد فأبصر أكثر قومه حول تمثال

من الذهب لعجل من البقر يعبدونه .

فكانت ظاهرة الغضب فى أمور ثلاثة :

١ ـــ أنكر على قومه فى شدة ، قال : بئسما خلفتمونى من بعدى !! أعجلتم أمر ربكم ؟ ، يريد بئس العمل الذى عملتموه فى غيابى عنكم وهل استبطأتم حضورى فتعجلتم أمر ربكم ، ولم تنتظروا عودتى بما آتيكم به من عند الله .

٢ ـــ « وألقى الألواح » وضع التوراة حيث وضعها ، فى شىء من التسرع والانفعال لما رأى عليه قومه ، وكان المفروض أن يتهادى ويتئد فى وضعها ، ولكن الغضب قد بلغ منه مبلغه .

وهنا توسع أناس ، وعلقوا على هذا الإلقاء بأن التوراة تحطمت ألواح منها وذهب جانب كبير من أصولها الأولى ، ولكنها روايات لا ينبنى عليها علم صحيح .

٣ ـــ الأمر الثالث « وأخذ برأس أخيه يجره إليه » لما ظنه موسى بأخيه أنه تسامح مع القوم فلم يزجرهم عن عبادة العجل ، ولم يقم فيهم بالإرشاد كما أوصاه موسى .

وطبيعى أن يساء الظن بمن كان معهوداً إليه فى أمر ثم لا يفى به على الوجه المطلوب .

(ب) ولكن هارون أبدى معذرته لموسى وأقنعه بقوله : « ابن أم !! إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى ، فلا تشمت بى الأعداء ، ولا تجعلنى مع القوم الظالمين » .

طابت نفس موسى وسكت عنه الغضب ، إذ أصبح على بينة من الأمر . واقتنع بأن أخاه هارون لم يتسامح ، بل نصح وقاوم حتى كادوا يقتلونه ، وأن موسى السامرى ومن انتقضوا معه قد تغلبوا ، وصنعوا العجل من الذهب ، وأخذوا يعبدونه كما كانوا يتهافتون على الشرك سابقا .

(ج) وإذا كان موسى ظانا بأخيه غير الواقع ، وكان هارون معذوراً فى شأنهم فلم يسع موسى إلا أن يبادر إلى الله بطلب العفو عنه وعن أخيه مما كان من غضبه وسوء ظنه بهارون ، ومما يكون من تخلف هارون عن الذهاب إلى موسى وإخباره كما عتب عليه ذلك فى قوله « يا هارون !! ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعنى » فمع وضوح المعذرة لموسى ولهارون فى موقفه أناب موسى إلى الله بالدعاء ، قال : رب اغفر لى ، ولأخى . وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين » . وكذلك شأن الأتقياء يطلبون المغفرة ولو لم يكن ذنبا . ويطلبون الرحمة لهم وللناس فى كل حين ؛ لأن النفوس الخيرة تشعر دائما أنها دون الكمال فى القيام بحق الله ولو كانت كاملة وتطلب المزيد من رحمته تفضلا منه تعالى : لا استحقاقا على الله ، بخلاف الجهلاء الذين يحفزهم الخيال والحمق على الاعتزاز بأنفسهم ، فيقول المرء منهم عند النعمة : ربى أكرمنى ـ

لاستحقاق ذلك الإكرام ويقول عند النقمة ربي أهانني . وأنا لا أستحق الإهانة وكان من هذا القبيل أن يستهين الكفار بالإيمان، ويقولوا عن المؤمنين «لو كان خيرا ما سبقونا إليه» فهذا شموخ الحمق الذين يعيبون الإيمان . «وإذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم» . وفيما تقدم توجيه لنا إلى ناحية الغضب والإكراه

فالغضب نزعة بشرية طبيعية في الإنسان ، وهي لا تنقص شأن الأنبياء ؛ لأنهم أناس كغيرهم ولكنا نختلف في هذه النزعة شدة ، وهوادة ، وهذا فرق ما بين الحليم والغضوب وما كانت هذه النزعة لتأخذ على نبي من الأنبياء حلمه المفروض ، إلا أنهم يغارون على دين الله ويغضبون لله ، وكذلك كان موسى ، بل كان أكثر الأنبياء انفعالا كما يقول بعض المفسرين .

وواضح أن لموسى عذره في مزيد استيائه لأنه بعث في قوم ليسوا جهلاء فقط وإنما هم خبثاء ماكرون ، وجبناء مستذلون لا يحترمون لأنفسهم شخصية ، وكأن مقامهم في حكم فرعون أورثهم المهانة ، وعلمهم الخداع ، فضلا عن أنهم لا يوفون بعهد ، ولا يشكرون نعمة ، ولا يتخلفون عن رذيلة ولا يأمرون بمعروف ، ولا يتناهون عن منكر ... وتلك أوصافهم التي يحكيها عنهم الله الذي خلقهم وابتلاهم بتلك النقائص .

فالانفعال من موسى إزاء هؤلاء غير معيب منه ، ولا كثير عليه لما يحتاجون من زجر وتقويم ...

وربما كان الغضب في كثير من الأحيان أجدى من الحلم في علاج أمثال اليهود ...

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا

مضر كوضع السيف في موضع الندى

وقد أوضح العلماء أن الغضب في حقيقته جمرة نفسية تتوقد في الصدر ، ولذلك كان علاجه في هدى الرسول صلى الله عليه وسلم أن من غضب فليضطجع ، فإن لم يذهب غضبه اغتسل . ومما ورد في ذلك: (إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع) وقوله صلى الله عليه وسلم كذلك: (إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ) وهكذا مما نصح به الرسول في مقاومة الغضب بالجلوس من قيام ، وبالاضطجاع ، وبالوضوء ، وبالاغتسال ، ومهما يكن للغضب من أسبابه ومبرراته ففضل الحلم مشهود به ، وثواب الاحتمال مضمون في قول الله سبحانه مدحا في المتقين: «والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس» ومن قبيل هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (الحلم سيد الأخلاق) .

وقد تعرض الفقهاء للغضبان إذا طلق زوجته في غضبه ، فكثير منهم لا يعتبر

الغضب مانعاً من وقوع الطلاق . وفريق يرى الغضب مانعاً من وقوع الطلاق فى حالة شدة الغضب ، لأن المرء لا يكون مدركا لما قال بل أخبره غيره بما حصل منه ، ففى تلك الحالة فقط يعتبر كالمجنون فلا يؤاخذ ، والإكراه كذلك له أثره فى محاسبة المرء على عمله .

ومن قضية هارون عليه السلام أنه لم يكن متسامحا مع قومه فى تعهدهم ، وهو نبى ووزير لأخيه موسى فى رسالته فلم تكن عليه تبعة فى انحرافهم وما ارتكبوا من خطأ جسيم لأنه مكره ، إذ هددوه بالقتل ، فتحاشاهم لأنه لو تمادى وقتلوه ، لكان ملقيا بنفسه إلى التهلكة دون ثمرة لهذا .

وكذلك تشريع الله للناس يعفيهم من تبعة الإكراه على المخالفة إذا نفذت الحيلة وعجزت المحاولة ، والله لا يكلف نفسا إلا وسعها والمكره عاجز ولا شك وفى ذلك يقول النبى صلوات الله عليه وسلامه : (عفى لأمتى عن الخطأ - غير المقصود والنسيان ، وما استكرهوا عليه) .

بل القرآن نفسه يتحدث عن الإكراه على الكفر بالقتل مثلا ، إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ،

فتلك حالة صادفت فسحة فى الدين ، وعفوا من جانب الله .

ولكن يراعى فى الإكراه المعفى من التبعة ألا يجد الإنسان منفذا منه ، فالمكره فى دينه مطالب بالهجرة إلى وطن آمن سوى وطنه إذا عجز عن الجهاد والقيام بواجبه .

والمدافع عن ماله أو عرضه إذا اقتضاه الأمر أن يقتل المعتدى عليه فله قتله والتخلص من عدوانه ، لأنه يعتبر مكرها على فعله هذا من جانب المعتدى نفسه ، ومهما يكن من تجاوزنا فباب التوبة مفتوح لمن ينيب إلى ربه بالتوبة والله يعفو عن السيئات ، ويهدينا إلى صراطه المستقيم ؟ .

عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء

فقير وغنى

مررت بالفقير فقال لى : أبحث عن طعام لمعدتى
ومررت بالغنى فقال : أبحث عن معدة لطعامى !

كيف نصل إلى تطوير الفقه الإسلامي

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

فى هذه الأيام المباركة ، وفى هذا العهد الطيب الذى لا يعرف رجاله الوقوف والجمود، بل هم دائما فى حركة مطردة ومسير دائب إلى الأمام ، نرى أن على رجال الفقه والقانون واجبات ثقالا يجب أن يقوموا بها ، وأن يعملوا لتحقيقها جادين ومستهينين بما يقوم فى سبيلهم من صعاب وعقبات .

ولعل أهم هذه الواجبات وأجلها خطراً ، هو أن يكون بعضهم ليعض معيناً وظهيراً على إقالة الفقه الإسلامى من عثرته والنهضة به وعلى تطويره ؛ ليكون حقاً صالحا لهذا العصر الذى نعيش فيه ، وبذلك يكون الأساس الأسمى الأول لكل ما نحتاج إليه من نظم وقوانين .

إن شعارنا اليوم هو « القومية العربية » ، وبهذا نستمسك ونفخر ونعتز ؛ فإن العرب هم — كما يقول ابن المقفع — الذين أدبتهم نفوسهم ، ورفعتهم هممهم ، وأعلتهم قلوبهم ، وألسنتهم ، حتى دفع الله لهم الفخر ، وبلغ بهم أشرف الذكر ، وختم لهم بملكهم الدنيا على الدهر ، وافتتح دينه وخلافته بهم إلى الحشر على الخير فيهم ولهم ، فقال فيهم سبحانه : « إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » .

* * *

ولكن العرب صاروا إلى ما صاروا إليه من كرامة وعز ومجد ، وعلا سلطانهم على كل سلطان ، بفضل الإسلام الذى جاءهم بالعقيدة الحقة بعد أن كان الناس منها فى أمر مريج ، وبالشريعة العادلة الصالحة لكل جيل وعصر إذا فهمت على أصولها ، وعمل رجالها على تطويرها فى حدود كتاب الله وسنة رسوله لتكون حقا صالحة لكل زمان ومكان .

وهكذا كان يعمل رجالنا الأولون من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم وهكذا كان يعمل فقهاؤنا الخالدون أئمة المذاهب المعروفة ، وهكذا كان يعمل تلاميذ أولئك الفقهاء والأعلام الذين نهجوا نهج أئمتهم واتبعوا طريقتهم . وفى تلك العصور المجيدة كانت شريعة الله ورسوله هى القانون الذى يزل الناس جميعا على أحكامه ، وكان فقهاء كل عصر يتفهمون مسائله ومشاكله ويعملون

على إيجاد حلول وأحكام لها تتفق والقرآن والسنة .

ثم مرت القرون ، وضعفت الهمم ، وران على قلوبنا وعقولنا حب التقليد بل الكلف به فإذا بالفقه الإسلامى يجمد على ما تراه فى بطون الكتب وإذا به ينزوى عن الحياة ، وإذا بنا نهرع للفقه الغربى نأخذ منه ونجعل القوانين التى اتخذت منه ، هى الفيصل فى شئوننا وننسى ذلك التراث المجيد الذى ورثناه عن أسلافنا الأمجاد وهو تراث صلحت الإنسانية به قرونا طوالا ، ولا يزال ما فيه من تشريعات صالحا لقيادة الإنسانية أكبر الدهر لو جد رجالا ! .

* * *

هذه كلمة تبين لنا أنه آن لنا أن نتحرك ونعمل وأن نبذل كل ما نستطيع من جهد لتطوير الفقه طبقا لأصوله ، وبذلك لا يجد أحد من رجال القانون والتشريع حاجة إلى الأخذ عن قوانين الغرب ، هذه القوانين التى قد يقوم عليها أمر من وضعت لهم ، ولكنها لا يمكن أن تصلح لنا ، وذلك لاختلاف ما بيننا وبينهم فى العقيدة والتقاليد .

وإننا بهذا الذى نطلبه جاهدين منذ سنوات ، لا نريد بدعاً من الأمر ، فقد سبقنا الفقهاء الأصلاء فى العصور المختلفة ، إلى استبدال كثير من الأحكام التشريعية بأخرى كانت ثابتة مستقرة قبلها ، وذلك أخذا بأصول الفقه ، ومنها العرف والاستحسان والمصالح المرسلة ؛ وبهذا تطور الفقه حقاً فى هذه الأحكام . وكان هذا خيراً كثير .

ونذكر من هذه الأحكام ، على سبيل التمثيل لا الحصر ، إجازتهم أن يأخذ معلم القرآن أجرا على عمله ، وكذلك إمام المسجد وخطيبه ، مع أن مثل هذه الأعمال ما كان يجوز أخذ أجر على القيام بها ؛ لأنها من الأعمال الدينية التى يفرض القيام بها على القادر عليها قربة لله تعالى .

ومن هذا القبيل أيضا ، ما كان من إجماع الصحابة رضى الله عنهم أيام سيدنا أبى بكر الصديق على جمع القرآن وكتابته ، رعاية للمصلحة العامة للإسلام والأمة ، بعد أن توقف الصديق أول الأمر عن الإقدام على هذا العمل ، وكان يقول : كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ولكن عمر ظل به يراجعه حتى شرح الله صدره له .

ثم جاء سيدنا عثمان رضى الله عنه . ورأى اختلاف المسلمين وقد تناءت بهم الديار فى البلاد المختلفة ، فأمر بجمعه فى مصحف واحد فرق منه نسخا فى البلدان . ثم أمر بحرق ماسواه من الصحف ذوات القراءات المخالفة .

ومن ذلك أيضا إجازة الإمام مالك سجن المتهم وإجازة أصحابه ضربه أيضا ، ليكون ذلك عاملا لإقراره وظهور الحقيقة ، مع أن الأصل هو أن المتهم برىء حتى تثبت إدانته . وإذن يجب أن يكون بمنجاة من الأذى قبل أن تثبت جنايته .

هذا ، والعمل الجليل الذى ندعو إليه يقتضى بلا ريب منهجا مرسوما مدروسا ، وأول خطوة من خطوات هذا المنهج هى اقتفاء أثر فقهاء الصحابة والتابعين رضى الله عنهم ، وإن الذى ينظر فى فقه هؤلاء الفقهاء الأعلام نظرة فاحصة عميقة يتبين له بوضوح - كما أشرنا إليه فى الكلمتين السابقتين - طريقتهم فى معرفة أحكام ما كان يحدث من نوازل ووقائع . كما يتبين النتائج التى وصلوا إليها ، ونذكر الآن القليل من هذه وتلك :

١ — أنهم كانوا لا يلجئون إلى الاجتهاد بالرأى إلا إذا لم يجدوا فى نصوص الكتاب المحكم والسنة الصحيحة حكم الواقعة التى يبحثون عن حكم الله فيها ، ومن ثم كان تحرجهم فى الفتوى بالرأى فى كثير من هذه الحالات .

٢ — أنهم أيقنوا أن الله لم يشرع الأحكام عبثا . بل لعلة اقتضتها ومقاصد تتحقق بها . ومصالح حقيقية تعود على الفرد أو المجتمع منها ، ومن ثم ، نراهم لا يقفون جامدين أمام النصوص التشريعية ، بل رأوا أن الأحكام التى تؤخذ منها قد تتغير مع الزمان وذلك لتغير عللها التى أدت إليها ، أو لأن المقاصد التى كانت تراد بها أصبحت لا تتحقق إلا بأحكام أخرى رأوا من الواجب استحداثها .

ومن مثل ذلك جعل عمر الطلاق الثلاث بلفظ واحد طلاقا ثلاثا تبين به الزوجة بينونة كبرى ، وإسقاطه سهم المؤلفة قلوبهم ، والحكم الذى صار إليه على وعثمان بجواز التقاط ضالة الإبل ، وما صار إليه كثير من التابعين من ضمان المودع بلا تغير منه .

٣ — تركهم العمل فى كثير من الحالات بالنصوص العامة أو المطلقة حين يظهر أن العمل بها ينافى المصلحة الحقيقية ، فكان أن عمد كبار التابعين إلى تقييد النص أو تخصيصه أو ترك ظاهره . ومن هذا القبيل إجازة التسعير ، ورد شهادة القريب لقريبه وأحد الزوجين للآخر .

وهذه الطريقة الحكيمة التى سار عليها أولئك الفقهاء الأعلام من الصحابة والتابعين ، والتى أدت إلى النتائج الطيبة التى أشرنا إلى بعضها ، هى - كما قلنا فى كتابنا . فقه الصحابة والتابعين ، الذى ظهر منذ ست سنوات - الطريقة المثلى التى تجعل من الفقه الإسلامى كائنا حيا على مدى الزمان ، وتجعله نظاما

خالداً يصلح به العالم فى الحاضر والمستقبل كما صلح به فى الماضى البعيد .

ونقول اليوم : إنها الخطوة الأولى التى يجب أن نخطوها لنصل إلى ما نريد من تطوير هذا الفقـــه الخصب الزاخر بمقومات الحياة أبد الدهر .

* * *

والخطوة الثانيـة تقتضى من رجال الفقه والقانون جهداً كبيراً أيضا ، وتعاونا مشتركا من الجانبين ، وبهذا وذاك نصل بفضل الله إلى ما نريد لقوميتنا وشريعتنا من الخـير الكثير .

إن كتب الفقـه المنشورة تكاد تكون « مغلقة » أمام كثير من رجال الفقه ورجال القانون ، وذلك لتعسر البحث فيها ، وصعوبة الوصـول إلى مواضع المسائل التى اشتملت عليها ، وكثير من هذه المسائل يجىء فى مواضع لا يكاد الباحث يظن وجودها فيها .

وهذا مما يفرض علينا وجـوب نشرها نشراً علميا صحيحا . وفهرستها فهرسة دقيقة ، حتى نيسر للباحثين الوصول إلى ما يريدون البحث عنه : وعلينا هنا ألا نقتصر على نشر كتب مذهب واحـد ، أو على المؤلفات فى المذاهب الأربعة المعروفـة ، بل يجب نشر أمهات كتب المذاهب الأخرى أيضا ، مثل مـذاهب الزيدية والإماميـة من الشيعة ، والمذهب الظاهرى . ففى هذه المذاهب ثروة فقهية ضخمة ، وفيها ما ينبغى أن نفيد منه فى نهضتنا التشريعية .

وفى ذلك يقول الأستاذ الجليل الدكتور السنهورى : « هذه الشريعة الإسـلامية ، لو وطئت أكنافها ، وعبدت سبلها ، لـكان لنا فى هـــذا التراث الجليل ما ينفخ روح الاستقلال فى فقهنا وفى قضائنا وفى تشريعنا ، ثم لأشرقنا نطالع العالم بهذا النور الجـديد فنضىء به جانبا من جوانب الثقافة العالميـة فى القانون (١) .

ومتى تم لنا معرفة الفقه الإسـلامى معرفة طيبة فى مذاهبه العديدة المختلفة كان علينا أن نقوم بدراسته دراسـة تاريخية مقارنة ، بين بعض هـذه المذاهب والبعض الآخر من ناحية ، وبينها مجتمعة وبين القوانين الحديثة والفقه الحديث من ناحية أخرى .

إن هذه الدراسة التاريخية المقارنة ، تجعلنا نؤمن بأن الله لم يخص بالحـــق فقيها معينا أو مـذهبا فقهيا معينا وحـده ، وتضع مادة خصبة للذين يقومون بوضع القوانين الحديثة فيفيدون منها ، وربما دفعهم هـذا إلى جعل الفقه الإسلامى هو المصدر الأول لما يضعون

(١) من الكلمة الافتتاحية لكتاب نظرية الالتزامات ، الجزء الأول فى نظرية العقد .

من تشريعات وقوانين تناسب العصر الذى نعيش فيه .

على أننا نرى بحمد الله تعالى غير قليل من رجال القانون عرفوا للفقه الإسلامى قيمته ، وأخذوا فى الكتابة فيه والإفادة منه ، وعلى رأسهم العلامة الدكتور السنهورى ، هذا الرجل العظيم الذى ظهر له حتى اليوم ستة أجزاء من كتاب واحد فى التشريع الإسلامى وهو كتاب « مصادر الحق فى الفقه الإسلامى » بحث فيه هذه الناحية بحثا علميا دقيقا مقارنا .

لقد أحس الأستاذ الكبير ما نحسه من وجوب تطوير الفقه الإسلامى حتى يكون منه قانون عام للبلاد العربية الإسلامية ، وقرر فى بعض ما كتبه — عن إيمان عميق — بأن الفقه الإسلامى لا يقل عن القانون الرومانى فى العراقة ودقة المنطق والصياغة والقبول للتطور . وأنه مثله صالح لأن يكون قانونا عالميا كما كان فى الماضى ، وأنه — إذا أحييت دراسته وانفتح فيه باب الاجتهاد — قمين أن ينبت قانونا حديثا لا يقل فى الجدة ومسايرة العصر عن القوانين اللاتينية والجرمانية .

ثم بعد أن قرر ذلك نجده يقول ما نصه : « والهدف الذى نرمى إليه هو تطوير الفقه الإسلامى وفقا لصناعته ، حتى نشتق منه قانونا حديثا يصلح للعصر الذى نحن فيه ... وليس القانون المصرى الجديد ، أو القانون العراقى الجديد ، إلا قانونا مناسبا للوقت الحاضر لمصر أو العراق . والقانون النهائى الدائم لكل من مصر والعراق ، بل لكل البلاد العربية . إنما هو القانون المدنى الذى نشتقه من الشريعة الإسلامية بعد أن يتم تطورها .

وقد تكون البلاد العربية عند ظهور هذا القانون قد توحدت ، فيأتى القانون يدعم وحدتها ، وقد تكون فى طريقها إلى التوحيد فيأتى القانون عاملا من عوامل توحيدها ، ويبقى على كل حال رمزا لهذه الوحدة .(١)

والخطوة الثالثة ، وهى الأخيرة التى بها نصل إلى ما ندعو إليه ، هى فتح باب الاجتهاد للقادر عليه ، فإن سبب ما أصبنا به من جمود ووقوف عن مسايرة الزمن فى هذه الناحية ، هو إقفال باب الاجتهاد منذ قرون طويلة ثقيلة ، وبذلك تخلف فقهنا واضطررنا الأخذ من الفقه الغربى ولسنا بهذا ندعو إلى التنكر لتراث الماضين ، فإنه لا يفعل ذلك إلا جاهل أحمق ، بل ندعو إلى السير فى الطريق الذى ساروا فيه ، مع الإفادة مما خلفوه لنا من ثروة ضخمة لا يقادر قدرها . عسى أن نعرف حكم

---

(١) راجع : العالم العربى : مقالات وبحوث ، الكتاب الثانى ، بحث القانون المدنى العربى ص ٢٨ — ٢٩ : نشر الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية مطبعة مصر سنة ١٩٥٣ م .

الله ورسوله فيما جدت فى أيامنا من مسائل ومشاكل ومعاملات لم تعرض لهم فى عصورهم.

إن الزمن - كما قلنا فى كتاب سابق لنا - يتغير، والمعاملات تجد وتتطور، فكان أن وجد منها كثير لم يكن موجودا بالأمس، فليس لنا أن نمسك عن بيان حكم الفقه الإسلامى فى كل منها، معللين بأن الفقهاء الماضين لم يتكلموا عنها، وكيف كان لهم أن يتكلموا فيها وهى لم تعرض لهم! بل إن علينا أن نجتهد فى ذلك مستفيدين من جهود الماضين ومعتمدين قبل كل شىء على كتاب الله المحكم وسنة رسوله الصحيحة.

والسبيل الوحيد - فيما أرى - لتنظيم الاجتهاد ولتكون الأحكام التشريعية التى نصل إليها عن طريقه صالحة - هو إنشاء ما يمكن أن يسمى «مجمع الفقه الإسلامى»، ويختار أعضاؤه من صفوة الفقهاء من جميع بلدان العالم الإسلامى، ويكون معهم أعضاء آخرون من رجال القانون الذى عرفوا الفقه الإسلامى وآمنوا به؛ ويكون المركز الرئيسى لهذا المجمع بالقاهرة مثلا، كما تكون له مكاتب فى البلاد الأخرى.

ومتى تم تكوين المجمع على هذا النحو، جمع المركز الرئيسى المسائل والمشاكل التى يجب بحثها وبيان أحكامها الشرعية، ثم يرسل بها إلى جميع الأعضاء ليقوم كل منهم ببحثها حسب طاقته ويجتمع المجمع بكامل أعضائه كل عام مثلا للنظر فيما وصل إليه كل من الأعضاء متفرقين، وليقرروا أخيرا الأحكام التى ينتهون إليها، ويكون لهذه الأحكام الصفة التشريعية الاجتماعية، وتكون تشريعات واجبة الالتزام للمسلمين جميعا.

إنه بفضل هذا المجمع نصل إلى معرفة أحكام المعاملات التى جدت فى هذا العصر، مثل معاملات سوق العقود، ومعاملات البنوك، ومعاملات الشركات على اختلاف أنواعها وأعمالها، ومعاملات الجمعيات التعاونية ونحوها ...

وبعد: إننا بذلك نكون قد أدينا ما علينا لشريعة الله ورسوله، وما علينا للعصر الذى نعيش فيه، ونكون فقهاء أحياء حقا، لا فقهاء جامدين أو مقلدين بغير علم.

ومن الله العون والسداد، ولن يضيع سبحانه وتعالى أجر العاملين؟

الدكتور محمد يوسف موسى

جهالة وضلالة

للأستاذ محمود الشرقاوى

[لم أر ، غير الإسلام دينا ، حفظ أصله وخلط فيه أهله]

« الإمام محمد عبده » « * »

شهدتْ وشَهدَتْ القاهرة فى الشهر الماضى مشهداً عجيباً ، ينأى عنه الخلق ، ويأباه جد الحياة ، وينكره الدين . بل هو فى الدين جهالة جهلاء وضلالة عمياء .

شهدت آلافا كثيرة تركت عملها فى الحقل والمصنع والمتجر ، وتجمعت فى مسجد سيدنا الحسين تضج وتعج وتفور . ثم خرجت منه متتابعة فى صفوف ، يندس بينها من يعلم الله خلقه ودينه . وقد يكون غير بعيد عن التهمة والسجن والمخدرات .

كانت صفوف القوم متتابعة متزاحمة يختلط فيها النساء بالرجال فى زحمة منكرة غير مأمونة ولا مستساغة ولا مقبولة ، يحمل بعضهم الدفوف وبعضهم الطبول وبعضهم الرايات . ولدفوفهم وطبولهم دوى قوى منكر . ويلبس بعضهم الثياب البيض والأحزمة السمر والعمامات الحمر .

وهم يقفون أو يسيرون فى حركات عنيفة شاذة . وظل جمعهم هذا متوالا متتابعا من المسجد حتى امتد إلى منطقة كبيرة من الأحياء التى تحيط به . وتأذى الناس من ذلك وضاقت سبلهم الواسعة فترة طويلة كان خيرا لهم أن يفيدوا منها ، أو يستريحوا .

وقرأت بعد ذلك فى الصحف شكوى الناس من ذلك وتعجبهم ، وكان هذا المشهد لجماعة من رجال الطرق ، يحتفلون بمولد شيخهم . وشاركهم فى هذا المسير بعض ضباط الشرطة وجنودها .

ولكى ندرك تأصل هذه الآفة وعمق هذه الجهالة فى مجتمعنا ، نذكر صفحة عن ذلك سجلها شيخ من كبار المؤرخين فى القرن الثامن عشر . بل هو عمدة المؤرخين المصريين جميعا

(*) ابن رشد وفلسفته لفرح أنطون : ص ١٧٣ .

وهو الشيخ عبد الرحمن الجبرتي . وهي صفحة لا تسجل فقط ، بل هي تشير وتفصح وتنير ، وتبين للناس كيف اتخذ ويتخذ كثير من الأفاقين والعاطلين وأصحاب الحيلة ، كيف اتخذ هؤلاء ، وغيرهم مقامات الأولياء ومزاراتهم وسيلة رخيصة للعيش والإثراء وتحقيق مآرب أخرى .

« كان القاهريون وغيرهم ، يحتفلون ، كما يحتفلون الآن ، بمولد الحسين ، والسيدة زينب ، والإمام الشافعي ، والسيدة نفيسة ، وكثير غيرهم من الأولياء والصالحين ، كما يحتفلون جميعاً بمولد السيد البدوي في طنطا ، والسيد ابراهيم الدسوقي في دسوق .

ولنتخذ مولد الحسين مثلا لما كان يجري في غيره من الموالد .

فالجبرتي يتحدث في الجزء الرابع من كتابه عن نشأة الاحتفال بهذا المولد . فيقول : إن هذا المولد ابتدعه مباشر لوقف المسجد الحسيني كان يسمى السيد بدوي بن فتيح ، أصابه مرض ، فنذر ، إن شفاه الله ، أن يقيم هذا المولد ، وكان المولد أول الأمر ، هو إضاءة المسجد وقبته ، بالقناديل والشموع ، وترتيب فقهاء يقرءون القرآن نهاراً ، ويتدارسونه . وآخرون يقرءون ليلا ، دلائل الخيرات . ثم تغير الحال ، وانضم إلى الفقهاء كثير من الجهلة ، وأهل البدعة . فمنهم من يقيم حلقات الذكر ، ويردد اسم الله ، حرفاً ، وينشد له المنشدون القصائد والموالات . ومنهم من يقول أبياتاً من بردة البوصيري في مدح النبي عليه السلام ، ويجاوبهم آخرون مقابلون لهم بصيغة الصلاة على النبي ومنهم جماعة من المغاربة ، يجلسون صفين متقابلين ، وينطقون بلغتهم ، كلاما معوجا بنغم خاص ، وطريقة جروا عليها ، وبين أيديهم طبول ودفوف يضربون عليها ، على قدر النغم ، ضرباً شديداً ، مع ارتفاع أصواتهم.

وتقف جماعة أخرى مقابلة لضاربي الدفوف واضعين أكتافهم في أكتاف بعض ، لا يخرج واحد عن الآخر ، يتلوون وينتصبون ، ويرتفعون وينخفضون ، ويضربون الأرض بأرجلهم ، كل ذلك مع الحركة العنيفة ، والشدة الزائدة ، بحيث لا يستطيع ذلك إلا كل من عرف بالأيد والقوة ، وهذه الإيقاعات ، والحركات ، تجري على نمط الضرب بالدفوف ، فيقع بالمسجد ، من هذا كله ، ضجيج كبير ، ودوي عظيم ، وإلى جانب هؤلاء كثير من الفقراء ، والمنشدين ، كل له طريقته ، ونشيده . ثم يقول : (هذا مع من ينضم إلى ذلك من جمع العوام ، وتحلقهم بالمسجد ، للحديث والهذيان ، وكثرة اللغط والحكايات ، والأضاحيك ، والتلفت إلى حسان الغلمان ، الذين يحضرون للتفرج ، والسعي خلفهم ، والافتتان بهم ، ورمى قشور اللب ، والمكسرات ، والمأكولات في المسجد ،

وطواف الباعة بالمأكولات على الناس فيه، وسقاة الماء، فيصير المسجد، بما اجتمع فيه من هذه القاذورات، والعفوش، ملتحقاً بالأسواق الممتهنة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وكان يجتمع إلى هذه الموالد، العامة، والسوقة، وأهل الحرف السافلة، ومن لا يجد ما يأكله. يحملون القناديل، والشموع والطبول، والزمور. وينطقون بكلام محرف يظنون أنه ذكر، وتوسلات يثابون عليها. فإذا اعترضهم معترض، أو تصدى لهم لائم، رموه بالاعتزال والخروج والزندقة. ثم يمضون ليلتهم ساهرين فإذا أصبح الصبح، عجز كل عن أداء عمله.

ويقول الجبرتي: إن هذا المولد، استمر الاحتفال به عشر سنين. وناذره، السيد بدوي فتيح، لم يزدد إلا مرضاً ومقتاً. ثم بطلت إقامته عندما دخل الفرنسيون القاهرة. ولكنهم بعد ذلك، أمروا بإقامته. (لأن ذلك يوافق هوى العامة؛ لأن أكثرهم مطبوع على المجون والخلاعة، وتلك هي طبيعة الفرنساوية).

ومن الذين ترجم لهم الجبرتي من أصحاب الأضرحة والموالد، الشيخ على البكري ويعرفه سكان القاهرة. كما يعرفون مولده ومسجده بالقرب من جامع الرويعي. وكان السيد على البكري. كما يصفه الجبرتي، رجلا أبله، يمشي عريانا في الطريق، مكشوف الرأس والسوءتين غالبا، وكان له أخ صاحب دهاء وحيلة. وكان دائم المنازعة والخصومة لأخيه الشيخ، ثم بدا له فيه أمر. فقد وجد الناس، على عادة أهل مصر. يعتقدون في أخيه الولاية والكرامة، ويلتمسون منه البركة. فحجر عليه، ومنعه من مغادرة البيت، وألبسه ثيابا. وأظهر للناس أنه قد أذن للشيخ بلبس الثياب لأنه تولى قطباً. وتكاثر الناس، وخاصة النساء، يسعون إلى بيت الشيخ والتبرك به، والإصغاء إلى ألفاظه وتخليطاته وتأويلها بما يلائم رغبة نفوسهم. وتكاثرت مع هؤلاء المريدين والزائرين، الهدايا والنذور والأموال. وكان أخوه، صاحب الدهاء والحيلة، يذيع في الناس من كرامات الشيخ ومعرفته أسرار النفوس ما يشاء. وامتلأ بيت الشيخ وأخيه بالأموال والخيرات. وزاد جسم الشيخ، كما يقول الجبرتي، ضخامة. من كثرة الأكل والفراغ والراحة، حتى صار مثل «البو العظيم»! وظل هذا حال الأخوين حتى مات الشيخ سنة ١٢٠٧هـ فأقام له أخوه ضريحا ومقاماً، وزاد في ذكر كراماته وفيوضاته، وخصص له المقرئين والمنشدين والمداحين، يشيدون بولايته وقطبانيته، ويذكرون أوصافه في قصائدهم، وهم «يتواجدون ويتصارخون ويمرغون وجوههم على شباكه وأعتابه، ويغرفون بأيديهم من الهواء المحيط به، ويضعونه في جيوبهم وعبّهم»، وهذا الشيخ البكري هو

الذى قال فيه البدرى الحجازى قصيدته التى يقول فيها : ـ

ليتنا لم نعش إلى أن رأينا
كلّ ذى جنة ، لدى الناس ، قطبا

ولم يكن الشيخ من أسرة البكرى . بل جاءته هذه النسبة لأنه كان يسكن فى سويقة البكرى.

الشيخة أمونة :

وعندما كان الشيخ على البكرى يمشى فى الطرقات عريانا ، قبل أن يحجبه أخوه . تعلقت به امرأة تسمى الشيخة أمونة . وصارت تسير خلفه أينما سار . وهى تلبس إزارا . وأخذت هى الأخرى تخلط فى ألفاظها عندما تدخل معه إلى بيوت الناس . واعتقد الناس أيضا فى ولاية الشيخة أمونة ، وأسرعوا إلى مهاداتها بالمال والملابس . وقالوا : إن الشيخ لحظها وجذبها فصارت من الأولياء ، وزاد ذلك من تطرفها ، فنزعت ثياب النساء ولبست ملابس الرجال وصارت ظلا للشيخ ، لا تفارقه أبدا . وكلما سارا تبعهما الأطفال والعوام ، ومنهم من اقتدى بهما فنزع ثيابه ، وتخنجل ، فى مشيته . وكل من فعل ذلك قال الناس إن بركة الشيخ مسّته فجذبته . وزاد الحال . ونشأ أمر الشيخ والشيخة حتى كان يسير خلفهما جمع كبير من أوباش الناس والصغار . وصاروا ، عندما يمرون بالأسواق ، يخطفون ما يحلو لهم من شىء . ولهم فى سيرهم ضجة عظيمة . فإذا جلس الشيخ فى مكان ، اجتمع حوله خلق عظيم ، ووقفت أمونة على درج دكان ، أو مرتفع من الأرض تتكلم بفاحش القول ، بالعربى ، والتركى . والناس يصغون ، يقبلون يدها ويتبركون بها » (١) .

وهذه الجهالة والضلالة من الانحرافات التى تحتاج إلى تقويم وإلى شجاعة ، والتى يكثر نقد الناقدين لها من رجال الفكر الدينى ورجال الإصلاح الاجتماعى أيضا .

وكثيراً ما شكا المخلصون للدين والعقيدة من هذه الآفة المخربة للخلق وللمجتمع المنافية للدين . وكثيراً ما ألفت اللجان وصدرت القرارات تحاول أن تخفف بعض الشر الذى يقع فى الاجتماعات التى تقام فى هذه الأضرحة وحولها . وفى موالد الأولياء والمشايخ ، ولكن هذا الشر لا يحسم بتكوين اللجان وإصدار القرارات ، بل بتهذيب النفوس وتنوير العقول والإبانة الواعية الشجاعة عن دين الله . وهذه بعض مهمة الفكر الدينى للعقيدة وللناس وللمجتمع .

ولا نريد أن نطيل الحديث فى ذلك ، فهو أمر واضح يعرفه وينكره كل من اتصل بهذه الشئون وهذه البيئات . ولكن من الخير أن نورد إحصائية رسمية تبين مدى الخطر ، ومدى الشناعة التى ما تزال حقيقة واقعة فى حياتنا ومجتمعنا . وهذه فقرات من هذا التقرير .

---

(١) ص ١٣٣ ـ ١٣٥ من كتابنا : [دراسات فى تاريخ الجبرتى ، مصر فى القرن الثامن عشر] الجزء ١ ـ الطبعة الثانية .

« كل يوم يظهر فجأة شيخ جديد لا يعرف تاريخ حياته . . ويقام له ضريح . . ويجتمع حوله الأتباع والمريدون مثل جبريل والكلح والصديق والست أم زايد وركابى ودانش وشبيكة وأبو روح والشيخ عواض بن إسحق الطهلوشى وأبو اليزيد البسطامى الذى ادعى البعض أنه كان شقيقا للنبى فى الرضاعة » .

ثم يورد التقرير تعداداً للأضرحة التى تقام لأولياء خياليين أو مزعومين ، وعن الموالد التى تقام لهم ، واطراد الزيادة فى هذا العدد اطرادا غير طبيعى فيقول :

« فى عام ١٩٥١ كان عدد الأضرحة ١٩٢ وفى عام ١٩٥٩ أصبح عدد الأضرحة فى بعض المناطق فقط ٥٦٨ ضريحا بواقع ١١٠ أضرحة فى المنوفية و ٦٩ فى المنيا و ٥٥ فى الإسكندرية و ٩٠ فى بنى سويف و ٤٤ فى أسوان و ١١١ فى البحيرة و ٨٩ فى القاهرة .

ومع زيادة عدد الأضرحة زادت عدد الموالد التى تقام فى كل عام حتى وصل عددها إلى ٨٩٢ مولداً » .

وقد أصدرت هذه البيانات لجنة رسمية فى وزارة الشئون الاجتماعية هى لجنة « التقاليد والعادات » ثم علقت عليها بما يلى :

« إن اعتقاد الناس فى المشايخ لا يقف عند حد إيمانهم بأنهم شيوخ صالحون . . بل إن الاعتقاد يتمادى إلى حد اعتبارهم أصحاب سر إلهى وكرامات لا حدود لها ولا قيود ، فهناك من يقضى المطالب مهما كانت هذه المطالب . وهناك الذين يشفون من الأمراض ، وهناك من يرد الغائب ، ومن يزيل العقم ، ومن يرزق البنات بأولاد الحلال .

وصحيح أن عدداً من هذه الأضرحة لمشايخ صالحين مجتهدين فى الدين .

ولكن الباقى لشيوخ وهميين لا يعرف أحد تاريخهم أو ماضيهم .

وتصوير الدين بصورة الرهبانية هو عمل مشايخ هذه الأضرحة .

إنهم يحاولون إقناع السذج بأن الإسلام هو التوجه إلى الآخرة على ما هو شائع فى ديانات الهند والصين . . ولا بد من محاربة هذه البدعة وإلا فإنها مع مضى الزمن سوف تشيع بين الناس روح الكسل باعتبار أن ما هو كائن إنما هو كائن بالفعل عمل الإنسان أم لم يعمل .

وهناك من بين هؤلاء المشايخ من يزين للناس حب الفقر والرضا برثاث الثياب ، ثم أن هناك ما هو أخطر من هذا كله وهو انتشار الخرافات والخزعبلات والأساطير .

ثم يقول رئيس اللجنة التى وضعت هذا التقرير وجمعت هذه الإحصاءات ما يلى :

« إن التقارير والإحصائيات فى لجنة التخطيط تؤكد أن انتشار مثل هذه الخرافات أدى إلى وجود كثير من الطاقات المعطلة فى الميدان الاجتماعى . ولو استطعنا أن نستغل حب الناس للدين لتوجيههم وتثقيفهم ، لاستطعنا

أن نقضى على هذه الخرافات ونقضى معها على الطاقات المعطلة.(١).

ونعتقد أن ما أوردناه من تقارير وإحصاءات وتعليقات فيه كفاية لإدراك ما لهذا الانحراف وهذه الجهالة من الخطر، وإدراك ما يجب أن يعمله الفكر الدينى لتقويم هذا العوج ودفع هذا الشر المنكر الخطير عن العقيدة وعن المجتمع.

* * *

بعض رجال الفكر الدينى، وبعض المشتغلين بالشئون العامة والطرق الصوفية يرون مجاراة العامة فى هذه الأمور، على رغم إنكارهم لها.

وإلى هؤلاء أسوق هذه الكلمات، التى تصور موقفهم، وتتكفل بتفنيده:

[قال سبحانه «ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذن لمن الظالمين»(٢)

ونحن نقرأ هذا التشديد والوعيد ونسمعه من القارئين. ولا نزدجر عن اتباع أهواء الناس ومجاراتهم على بدعهم وضلالاتهم، حتى إنك ترى الذين يشكون من هذه البدع والأهواء، ويعترفون ببعدها عن الدين، يجارون أهلهم عليها، ويمازجونهم فيها. وإذا قيل لهم فى ذلك قالوا: ماذا نعمل...؟ ما فى اليد حيلة...! العامة عمى، آخر الزمان. وأمثال هذه الكلمات هى جيوش الباطل، تؤيده وتمكنه فى الأرض، حتى يحل بأهله البلاء ويكونوا من الهالكين.

وأعجب من هذا أنك ترى هؤلاء المعترفين بهذه البدع والأهواء ينكرون على منكرها، ويسفهون رأيه، ويعدونه عابثاً أو مجنوناً إذ يحاول مالا فائدة فيه عندهم. فهم يعرفون المنكر، وينكرون المعروف، ويدعون - مع ذلك - أنهم على شئ من العلم والدين.

وأعجب من هذا الأعجب أن منهم من يرى إزالة هذه المنكرات والبدع. ومقاومة هذه الأهواء والفتن: جناية على الدين...! ويحتج على هذا بأن العامة تحسبها من الدين، فإذا أنكرها العلماء عليهم تزول ثقتهم بالدين كله، لا بها خاصة..!! وبأنها لا تخلو من خير يقارنها، كالذكر الذى يكون فى المواسم والاحتفالات التى تسمى بالموالد، وكلها بدع ومنكرات حتى إن الذكر الذى يكون فيها ليس من المعروف فى الشرع](١). وهذه هى كلمة الحق الذى يجب أن يقولها المخلصون.

وقد قرأت وعلمت أن الحكومة منعت هذه المنكرات فى مولد السيدة زينب. فعسى أن تكون هذه بداية للقضاء عليها قضاءا تاما فى جميع الموالد والبلاد.

محمود الشرقاوى
سكرتير التحرير

---

(١) التقرير والإحصاءات والتعليق - التى وضعناها بين اقواس - نشرت فى جريدة الأهرام بتاريخ ٨ فبراير ١٩٦٠. (٢) ١٤٥ البقرة.

(١) الشيخ رشيد رضا: مجلة المنار، ص ١٢٧ من الجزء ٧.

آراء العلماء في الربا

لعالم باحث

انبعث في هذه الأيام جدل طويل في بعض المجلات الإسلامية بمناسبة فتوى أصدرها صاحب الفضيلة شيخ الأزهر . أباح فيها للفرد المضطر أن يتعامل بالربا ليسد حاجته الضرورية — أما ما تحتاج إليه الدولة من قروض لتستعين بها على صلاح شئونها ، فيرجع الأمر في تقدير الحاجة إلى أهل الرأي ، وما يرونه من المصلحة .

وكأن شيخ الأزهر قد أتى — بهذه الفتوى — أمرا إدا يفترى به على الإسلام ، أو أنه قد أحل للناس الحرام .

وقد بدا في جدل هؤلاء الذين اعترضوا على فتوى الشيخ أنهم قد أرسلوا كلامهم بغير تحقيق علمي . ولا إدراك للمصلحة : عامة كانت أو خاصة ، على حين أن الأمر في نفسه خطير يحتاج إلى طول البحث ، والأناة في الدرس ، على أن يتولى ذلك علماء محققون يعرفون ماذا يقولون ، ويدركون عاقبة ما يقررون !

ذلك بأن الذي يتصدى لهذا الأمر يجب عليه قبل كل شيء : أن يبين للناس ما هو الربا القطعي الذي جاء القرآن بتحريمه ، وما هو الربا الظني ؟ وهل الربا الذي يجري عليه التعامل بين الناس اليوم هو هو الربا القطعي الذي كان العرب في الجاهلية يتعاملون به ، بحيث يقع من يتعامل به تحت طائلة الوعيد الإلهي الفظيع للذين يأكلون الربا ؟ أو هو غيره ؟ وإذا كان هو : فماذا يصنع المسلمون الآن وقد قذفتهم تيارات النظم الاقتصادية العصرية في الوقوع في بليته حتى أصبحوا لا يستطيعون أن ينقذوا أنفسهم منها ؟ وما هو المخرج وبلادنا قد صارت بوضعها الاجتماعي كحلقة في سلسلة التعامل الاقتصادي العالمي لا يمكن لها أن تنفك منها ، وقد دفعها الاضطرار إلى مجاراة غيرها في نظمها ؟ وما هو موقف الإسلام تلقاء هذا الاضطرار الذي وقع فيه أهله ، وهو الذي يوافق مصالح الآخرين به في كل زمان ومكان ؟ وهل وضع قواعد وأحكاما تخرجهم مما يقعون فيه من الحرج في مثل هذا الأمر ؟ وهل تتغير الأحكام بتغير الزمان ؟ وما الحكم فيما إذا تعارض النص والمصلحة ؟ ثم هل روعي بعد ذلك كله نهضة بلادنا بعد الثورة : وحاجتها إلى

القروض لإصلاح شأنها. وأن هذه القروض لا يمكن الحصول عليها إلا بالفائدة أى بالربا ؟.

كل ذلك لم يعرض له الذين اعترضوا على فتوى شيخ الأزهر وإنما وقفوا جميعا عند نقطة واحدة وهى قولهم كما يقول العوام : إن الربا كله حرام! وأن ما أفتى به شيخ الأزهر يخالف أحكام الإسلام .

ولو أنهم درسوا هذا الأمر على نور ما ترمى إليه أغراض الدين ونظروا فيه إلى ما تقتضيه فى هذا العصر مصالح المسلمين ، لانتهوا إلى إقرار شيخ الأزهر على ما أفتى به .

إن أمر الربا قد درسته بعض الحكومات الإسلامية فى هذا العصر الدراسة الواجبة الصحيحة وقدرت الضرورة قدرها لكى تخرج أممها من العسر الذى وقعوا فيه ، فأباحوا لها التعامل بالربا ، وكذلك فعلت حكومتنا عند ما رأت أن الضرورة تقضى عليها بالاقتراض بالربا .

على أننا بعد ذلك كله نسائل الذين يقفون اليوم فى وجه فتوى شيخ الأزهر ، ومن على شاكلتهم عن رأيهم فى أمر هذه الحكومات التى قررت التعامل بالربا بعد أن رأت الضرورة ماسة إليه والحاجة الملحة تدعو إليه .

هل يقفون فى وجه هذه الأمم حتى ترجع عن أن تتعامل بالربا ؟ وهل يكفرونها إذا لم ترجع إلى رأيهم ؟ .

إنهم إذا كفروها بما تصف ألسنتهم بأن هذا حلال وهذا حرام فإن تكفيرهم إياها ، يمتد ولا ريب إلى حكومتنا ، لأنها تعقد القروض الضخمة كل يوم لإصلاح مرافقها - وإنشاء مصانعها ، وشراء القمح وغيره لغذاء أهلها وكل هذه القروض - كما هو معلوم - تأخذها بالفائدة (أى بالربا) فهى واقعة إذن لا محالة على قولهم فيمن تقع عليهم لعنة الله - والعياذ بالله .

* * *

وإنا نأتى هنا بنظرة فى الخطبة التى ألقاها الأستاذ العالم الشيخ عبد العزيز جاويش فى المؤتمر الذى عقد فى سنة ١٣٢٦ هـ بقاعة مدرسة عبد العزيز [1] لأن السياق يقتضيها :

ذلك أنه بعد أن ذكر ما قرره كبار العلماء من أن الربا القطعى المحرم لذاته هو (ربا النسيئة) قال :

إن أمامنا أمرين : الأول : أن نتابع جماعة المسلمين فى تحريم الربا القليل احتياطا أو تحرزا [2] كما حرمنا الكثير المضاعف

---

(١) ألقيت هذه الخطبة فى ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٢٦ هـ .

(٢) ذكر الشيخ جاويش فى هذه الخطبة أن الربا الذى ليس فيه مضاعفة - كأن يحصل القرض بفائدة قليلة ، لم يؤخذ تحريمه من الكتاب الكريم ، وإنما أخذ من القاعدة الأصولية القاضية بإعطاء القليل حكم الكثير سدا للذرائع وإغلاقا للباب ص ١٢ من كتاب ميزان الذهب .

بعبارة القرآن الكريم ، والمخرج إذن من هذه الشدة التي كادت تزهق النفوس أن نلجأ إلى المقارنة الشرعية ...

الثاني : أن نقتصر على تحريم ما حرم الله في كتابه — وهو ربا النسيئة المضاعف الذي نزل في القرآن ، وليس في العرب إذ ذاك ربا سواه . وهنا نخالف الجمهور بحكم العقل أو بحكم الضرورة ، فنتجاوز عما قل من الفائدة التي لا تماثل الدين قدراً ولا تؤدي إلى غبن المدين غبنا فاحشاً . كما فعلت الحكومتان الإسلاميتان العثمانية والفارسية. وأن القول بتكفير مستحل هذا النوع القليل ينبني عليه تكفير خلفاء المسلمين وفقهائهم وعلمائهم ؛ فإن قضاة الترك الشرعيين في البلاد العثمانية يقومون بتنفيذ الأحكام في البلاد التي تحت رياستهم ! فليتأمل المسلمون فيما عسى أن تكون عاقبتهم ، وليتدبروا ، فإن الخطر وراءهم محيط (١) .

وهذه كلمة صغيرة استخرت الله في كتابتها خدمة لديني ولبلدي وللمسلمين عامة أرجو أن تتفضل مجلة الأزهر بنشرها لعلها تجد آذانا صاغية وقلوبا واعية .

قال ابن كثير في تفسيره : باب الربا من أشكل الأبواب على كثير من أهل العلم .

وقال أحد العلماء الكبار : ليس في الشريعة الإسلامية مسألة مدنية وقع فيها الخلاف والاضطراب منذ العصر الأول ، وما زالت تزداد إشكالا وتعقيداً بكثرة بحث العلماء ، إلا مسألة الربا ـ أما ما جاء في النصوص القرآنية فيها فبين كالشمس لا مجال للشبهات فيه ، وأما السنة العملية القطعية فيها فهي تنفيذ لحكم الكتاب الإلهي ، وأما الأحاديث النبوية القولية فهي قسمان : —

الأول : نص صحيح الرواية قطعي الدلالة في حصر الربا فيما حرمه الله منه في كتابه وهو (ربا النسيئة) الذي لم تكن العرب تفهم منه غيره ؛ لأنه هو المعروف عندهم دون غيره وهو حديث أسامة المرفوع المتفق عليه «لا ربا إلا في النسيئة» هذا لفظ البخاري ولفظ مسلم (إنما الربا في النسيئة) .

الثاني : نهي النبي عن البيوع التي قد تؤدي إليه لسد الذريعة دون ارتكابه كنهيه صلى الله عليه وسلم عن خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية سداً لذريعة الزنا المحرم بنص كتاب الله تعالى وهو حديث عبادة (١) وغيره وهو الذي سموه ربا الفضل .

(١) ص ١٤ و ١٥ من نفس المصدر .

(١) حديث عبادة بن الصامت رواه الشيخان ونصه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، مثلا بمثل ، سواء بسواء ، يدا بيد ، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد » ، ورواه مسلم =

هـذا هو الربا بنوعيه كما بينه بعض العلما. المحققين - ولـــكن الذين أولعوا بتكثير الأحكام فى الحلال والحرام، وضعوا لأنفسهم قواعد للاستنباط ومناطات التشريع أدمجوا بمقتضاها الربا المحرم القطعى بالنص الإلهى - المتوعد عليه فيه بالوعيد الشديد لما فيه من الضرر الفظيع والظلم العظيم - فى البيع المنهى عنه لسد الذريعة، ومنهم من سوى بينهما - ولم يكتفوا بذلك بل وضعوا بآرائهم أحكاماً جديدة فى الربا ليس فيها نص من الشارع، قطعى ولا ظنى، ولا تتفق مع أصول الدين ولا حكم التشريع - وبذلك كثروا مسائل الربا وخرجوا بها عن محيط المعقول والمنقول معا، فجعلوها من التعبديات التى لا تثبت إلا بنص صريح قطعى من الشارع اهـ.

ربا الجاهلية المحرم بالقرآن :

ولا بد لنا هنا من أن نبين ما هو الربا الذى كان معروفا عند عرب الجاهلية وجاءت الآيات القرآنية بتحريمه تحريما قاطعا.

إن اللام فى الربا هى للعهد وأشير بها إلى ما هو المتعارف عند نزول القرآن بينهم أى ربا الجاهلية.

روى ابن جرير الطبرى عن مجاهد (١) أنه قال فى الربا الذى نهى الله عنه (٢).

كانوا فى الجاهلية يكون للرجل على الرجل الدين فيقول: لك كذا وكذا وتؤخر عنى فيؤخر عنه.

وقال ابن جرير: وإنما قيل للربى مرب لتضعيفه المال الذى كان على غريمه حالا، أو الزيادة عليه فيه لسبب الأجل الذى يؤخره إليه فيزيده إلى أجله الذى كان له قبل حل دينه عليه، ولذلك قال جل ثناؤه: «يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة».

وبمثل الذى قلنا، قال أهل التأويل.

وقال أيضا عند الكلام على قوله تعالى: «يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة، واتقوا الله لعلكم تفلحون» (ص ٥٥ ج ٤).

عن مجاهد فى قول الله عز وجل: «يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة» قال: (ربا الجاهلية) حدثنى يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: سمعت ابن زيد يقول فى قوله: «لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة»

= عن أبى سعيد الخدرى ولفظه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مثلا بيد، فمن زاد أو استزاد فقد أربى، الآخذ والمعطى فيه سواء.

(١) قال قتادة وخصيف: أعلمهم بالتفسير مجاهد وقال ابن جريج لأن أكون أسمع من مجاهد أحب إلى من أهلى ومالى، قال مجاهد: ربما أخذ لى ابن عمر بالركاب - أى بركابه.

(٢) فى تفسير قوله تعالى: «الذين يأكلون الربا» إلخ.

كان أبي يقول : إنما كان الربا في الجاهلية ، في التضعيف وفي السن : أن يكون للرجل فضل دين فيأتيه إذا حل الأجل فيقول له : تقضيني أو تزيدني ، فإن كان عنده شيء يقضيه قضى ، وإلا حوله إلى السن التي فوق ذلك ، فإن كانت ابنة مخاض [١] يجعلها ابنة لبون [٢] في السنة الثانية ثم حقة [٣] ثم جذعة ثم هكذا وفي المعنى (الذهب والفضة) يأتيه فإن لم يكن عنده أضعفه في العام القابل ، فإن لم يكن عنده أضعفه أيضا ، فتكون مائة فيجعلها إلى قابل مائتين ، فإن لم يكن عنده جعله أربعمائة يضعفها له كل سنة أو يقضيه قال : فهذا قوله : « لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة » .

وقال القرطبي في مسائل آيات البقرة من تفسيره المشهور (جامع أحكام القرآن) الرابعة عشرة) قال تعالى : « إنما البيع مثل الربا » أي أن الزيادة عند حلول الأجل آخرا كمثل حل الثمن في أول العقد ـ وذلك أن العرب كانت لا تعرف ربا إلا ذلك ، فكانت إذا حل دينها قال للغريم . إما أن تقضي وإما أن تربي ، أي تزيد في الدين ، فحرم الله سبحانه ذلك ورد عليهم قولهم بقوله الحق: « وأحل الله البيع وحرم الربا » .

وروى مالك عن زيد بن أسلم في تفسير آية آل عمران قال :

كان الربا في الجاهلية أن يكون للرجل على الرجل حق إلى أجل فإذا حل قال : أتقضي أم تربي ؟ فإن قضاه أخذه ، وإلا زاده في حقه وزاد الآخر في الأجل .

قول ابن القيم في الربا :

ثم قال المفسر المحدث الفقيه الأصولي ابن قيم الجوزية في كتابه إعلام الموقعين عن رب العالمين ما نصه :

الربا نوعان : جلي وخفي ، (فالجلي) حرم لما فيه من الضرر العظيم ، (والخفي) حرم لأنه ذريعة إلى الجلي . فتحريم الأول قصداً ، وتحريم الثاني وسيلة .

فأما الجلي فربا النسيئة ، وهو الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية ، مثل أن يؤخر دينه ويزيده في المال ، وكلما أخره زاد في المال حتى تصير المائة عنده آلافا مؤلفة وفي الغالب لا يفعل ذلك إلا معدم محتاج ـ وبذلك ـ يشتد ضرره وتعظم مصيبته . . إلخ .

وأما ربا الفضل ، فتحريمه من باب سد الذرائع لما يخافه عليهم من ربا النسيئة وذلك أنهم إذا باعوا درهما بدرهمين ، ولا يفعل

---

(١) ابنة المخاض ابنة الحول ودخلت في الثانية .

(٢) اللبون ولد الناقة إذا استكمل الثانية ودخل في الثالثة .

(٣) الحق ما كان من الإبل ابن ثلاث سنين ودخل في الرابعة والأنثى حقة .

هذا إلا للتفاوت الذى بين النوعين ، إما فى الجودة وإما فى السكة وإما فى الثقل والخفة وغير ذلك ، تدرجوا بالربح المعجل فيها إلى الربح المؤخر وهو عين ربا النسيئة . وهذه ذريعة قريبة جدا ، فمن حكمة الشارع أن سد عليهم هذه الذريعة ومنعهم من بيع درهم بدرهمين نقدا ونسيئة ، فهذه حكمة معقولة وهى تسد عليهم باب المفسدة .

وقال الفخر الرازى ص ٥٨ - ج ١ عن ابن عباس : إنه كان لا يحرم إلا ربا النسيئة ، وكان يجوز ربا النقد (كأن يباع إردب قمح بإردبين) ، وحجة ابن عباس أن قوله : « وأحل الله البيع » يتناول الدرهم بالدرهمين نقداً ، وقوله « وحرم الربا » لا يتناوله ؛ لأن الربا عبارة عن الزيادة وليست كل زيادة محرمة بل قوله تعالى : « وحرم الربا » إنما يتناول النقد المخصوص الذى كان مسمى فيما بينهم بأنه ربا .

يعلم من ذلك كله أن الربا الذى كان يتعامل به العرب فى جاهليتهم ليس بينه وبين دين الربا الذى يتعامل به الناس اليوم أى سبب فلا هو مثله ولا هو يشبهه .

النتيجة: فما هو الربا القطعى الذى حرمه الله:

ظهر لك مما بيناه قبلا أن الحق فى الربا الذى نهى الله تعالى عنه فى كتابه ، وتوعد فاعله بما لم يتوعد بمثله على ذنب آخر — أنه ربا النسيئة الذى كان معروفا فى الجاهلية كما قال من ذكرنا عباراتهم : من أعلام العلماء لا مجرد التعبد بالآراء والأقوال ممن لا تعد آراؤهم وأقوالهم حجة بإجماعهم وإجماع الأمة كلها .

الربا الذى ليس فيه مضاعفة:

علمت مما تقدم أن الربا الذى كان معروفا فى الجاهلية إنما هو ربا النسيئة المضاعف وأما الربا الذى ليس فيه مضاعفة — كأن يحصل القرض بفائدة قليلة لم يؤخذ تحريمه من الكتاب الكريم وإنما أخذ من القاعدة الأصولية القاضية بإعطاء القليل حكم الكثير سدا الذرائع وإغلاقا للباب بالمرة .

ومعلوم أن قاعدة إعطاء القليل حكم الكثير سدا للباب ليست القاعدة الإجماعية أى لم يجمعوا عليها .

كلمة ماسة فى هذا الأمر الخطير:

عند ما اشتدت الحركة الوطنية سنة ١٩٠٧ ضاق صدر الإنجليز بها ، وأرادوا أن ينتقموا من أهالى مصر بسببها فأوعزوا إلى عميدهم اللورد كرومر إلى جميع البنوك فى مصر بأن يسحبوا أموالهم ولا يتعاملوا مع المصريين فحدثت أزمة مالية شديدة خنقت البلاد خنقا ففكر بعض العلماء الناهين أن يعالجوا هذا

الأمر الخطير فعقدوا مؤتمرا بقاعة مدرسة عبد العزيز وألقوا فيه خطبا رائعة بحثوا فيها مشكلة الربا التي تأخر المسلمون في اقتصادهم بسببها لعلهم يخرجون بحل لهذه المشكلة يبيح إنشاء بنوك تفرج ما وقع الناس فيه من ضيق . وكان من كبار من خطبوا في هذا المؤتمر الشيخ عبد العزيز جاويش وحفني ناصف ـ والسيد رشيد رضا ـ رحمهم الله جميعا ، وكانت خطبة هذا السيد في يوم ٢٩ ربيع الأول سنة ١٣٢٦ بهذه القاعة ـ وقد قال حفني ناصف عن هذه الخطبة :

إنها أحسن ما سمعته في هذا المقام وإنها على إيجازها يصح أن تكون فصل الخطاب (١)

خطبة العلامة الكبير السيد محمد رشيد رضا: (٢)

إن الله تعالى قد حرم ربا النسيئة الذي كانت عليه الجاهلية تحريما صريحا ، ونهى عنه نهياً مؤكداً ، وورد في الأحاديث الصحيحة تحريم ربا الفضل والنهي عنه .

فالبحث في هذه المسألة من وجهين :

الوجه الأول : النظر فيها من الجهة النظرية المعقولة فنقول :

إن كل ما جاء به الإسلام من الأحكام الثابتة المحكمة فهو خير وصلاح للبشر ، وموافق لمصالحهم ما تمسكوا به ، ولكن من الناس من يظن أن إباحة الربا ركن من أركان المدنية لا تقوم بدونه ، فالأمة التي لا تتعامل بالربا لا ترتقي مدنيتها ولا يحفظ كيانها ! وهذا باطل في نفسه ، إذ لو فرضنا ، أن تركت جميع الأمم أكل الربا فصار الواجدون فيها يقرضون المعدمين قرضاً حسنا ، ويتصدقون على البائسين والمعوزين ويكتفون بالكسب من موارده الطبيعية كالزراعة والصناعة والتجارة والشركات ومنها المضاربة ـ لما زادت مدنيتهم إلا ارتقاء ببنائها على أساس الفضيلة والرحمة والتعاون . . وقد قامت للعرب مدنية إسلامية لم يكن الربا من أركانها فكانت خير مدنية في زمنها ـ فما شرعه الإسلام في منع الربا هو عبارة عن الجمع بين المدنية والفضيلة ـ وهو أفضل هداية للبشر في حياتهم الدنيا .

الوجه الثاني : النظر فيها من الجهة العملية بحسب حال المسلمين الآن في مثل هذه البلاد ، فإننا نرى كثيرين يوافقوننا على أنه لو وجد للإسلام دول قوية وأمم عزيزة تقيم الشرع وتهتدي بهدى القرآن ـ لأمكنها الاستغناء عن الربا ، ولكانت مدنيتها بذلك أفضل ! فلا اعتراض على الإسلام في تحريم الربا ؛ لأن شرعه لا يمكن أن يبيح الربا وهو دين غرضه تهذيب النفوس ، وصلاح حال المجتمع ، لا توفير ثروة بعض الأفراد من أهل الأثرة .

---

(١) ص ١٢٦ من كتاب ميزان الذهب .

(٢) ألقيت هذه الخطبة النفيسة من سنين عاما وكأنها ألقيت اليوم .

ما هو الحل لحياتنا الحاضرة :

ولكنهم يقولون : إننا نعيش فى زمن ليس به أمم إسلامية ذات دول قوية تقيم الإسلام ، وتستغنى عمن يخالفها فى أحكامها ، وإنما قام العالم فى أيدى أمم مادية قد قبضت على أزمة الثروة فى العالم حتى صارت سائر الأمم والشعوب عيالا عليها ، فمن جاراها منهم فى طرق كسبها - والربا من أركانه - فهو الذى يمكن أن يحفظ وجوده معها ومن لم يجارها فى ذلك انتهى أمره بأن يكون مستعبداً لها ! فهل يبيح الإسلام ، لشعب مسلم هذه حاله مع الأوروبيين كالشعب المصرى أن يتعامل بالربا ليحفظ ثروته وينميها فيكون أهلا للاستقلال ؟ أم يحرم عليه ذلك والحالة حالة ضرورة - ويجب عليه أن يرضى باسـ - تنزاف الأجنبى لثروته ، وهى مادة حياته ؟.

هذا ما يقوله كثير من مسلمى مصر الآن : والجواب عنه - بعد تقرير قاعدة : أن الإسلام يوافق مصالح الآخذين به فى كل زمان ومكان - من وجهين ، يوجه كل واحد منهما إلى فريق من المسلمين :

أما الأول : فيوجه إلى فريق المقلدين - وهم أكثر المسلمين فى هذا العصر ، فيقال لهم : إن فى مذاهبكم التى تقلدونها مخرجا من هذه الضرورة التى تدعونها - وذلك بالحيلة التى أجازها الإمام الشافعى - الذى ينتمى إلى مذهبه أكثر أهل هذا القطر ، والإمام أبو حنيفة الذى يتحاكمون على مذهبه كافة [1] ومثلهم فى ذلك أهل المملكة العثمانية التى أنشئت فيها مصارف (بنوك) الزراعة بأمر السلطان [2] - وهى تقرض بالربا المعتدل مع إجراء حيلة المبايعة التى يسمونها المبايعة الشرعية .

---

(١) كان المصريون حينئذ يتحاكمون فى الأمور الشرعية على مذهب أبى جعفر .

(٢) كان مسلمو البوسنة والهرسك قد أرسلوا إلى المشيخة الإسلامية بالدولة العثمانية ، يسألونها رأيها فى إنشاء مصرف إسلامى ببلادهم سد الحاجيات البلاد واحتفاظا بمصالحهم الاقتصادية - وسبب هذا السؤال أن إنشاء المصارف من المسائل المختلف عليها فى الشريعة الإسلامية فأحيل هذا السؤال على باب الفتوى الجليلة ، فصدرت من فتواها ٢٨ شوال سنة ١٣٢٨ هـ الجواب المهم الآتى : « إن السؤال المقدم من فخر الدين دفير فيك بتاريخ ١٠ شوال سنة ١٣٢٨ هـ المتضمن بيان المحسنات والفوائد الكثيرة العائدة من إنشاء المصارف بالممالك الإسلامية ، والمستفتى عن جواز أو عدم جواز إنشائها الذى سبق أن أحاله فضيلة شيخ الإسلام على دار الفتوى ، قد قرىء - وبعد الاطلاع على النصوص الشرعية حررنا الجواب الآتى :

إن مشايخ الإسلام السابقين قرروا أنه ما دامت الأموال المودعة بهذا المصرف ، والتى تستقرض أو ترد ، والمبالغ التى تؤخذ أو تترك بأى صورة ، ما دامت تعود بربح قليل وتسير حسب إحدى الطرق التى نص عنها فقهاؤنا الكرام ، فهى والحالة هذه محللة ص ٢٥ ، ٢٦ ج ٣ مجلة الهداية .

وفى قاموس القوانين ص ٤٦٣ طبعة محمود بك أن الدولة العثمانية أباحت للقضاة أن يحكموا بالفائدة بشرط أن لا تبلغ مثل الدين الأصلى .

وأما الثانى : فيوجه إلى أهل البصيرة فى الدين ، الذين يتبعون الدليل ، ويتحرون مقاصد الشرع فلا يبحثون لأنفسهم للخروج عنها بحيلة ولا تأويل ، فيقال لهم :

إن الإسلام كله مبنى على قاعدة اليسر ، ورفع الحرج والعسر ، الثابت بنص قوله تعالى : « ٢ : ١٨٥ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » وقوله « ٥ : ٦ ما يريد الله ليجعل عليكم فى الدين من حرج » .

وأن المحرمات فى الإسلام قسمان :

الأول ما هو محرم لذاته لما فيه من الضرر وهو لا يباح إلا لضرورته — ومنه ربا النسيئة ، المتفق على تحريمه ، وهو مما تظهر الضرورة إلى أكله ، أى إلى أن يقرض الإنسان غيره . فيأكل ماله : ضعافا مضاعفة كما تظهر فى أكل الميتة وشرب الخمر أحيانا .

والثانى ما هو محرم لغيره : ـ كربا الفضل المحرم لئلا يكون ذريعة وسببا لربا النسيئة

وهو يباح للضرورة — بل وللحاجة كما قاله الإمام ابن القيم وأورد له الأمثلة من الشرع . فقسم الربا إلى جلى وخفى وعده من الخفى .

ما يجب على الأفراد :

فأما الأفراد من أهل البصيرة فيعرف كل من نفسه هل هو مضطر أو محتاج إلى كل هذا .

كيف تحل ضرورة الأمة للتعامل بالربا :

الربا وإبكاله غيره ـ فلا كلام لنا فى الأفراد ـ وإنما المشكل تحديد ضرورة الأمة أو حاجتها ـ فهو الذى فيه التنازع ، وعندى أنه ليس لفرد من الأفراد أن يستقل بذلك ـ وإنما يرد مثل هذا الأمر إلى أولى الأمر من الأمة أى أصحاب الرأى والشأن فيها ، والعلم بمصالحها عملا بقوله تعالى فى مثله من الأمور العامة (٤ : ٨٣) : « ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » .

والرأى عندى أن يجتمع أولو الأمر من مسلمى هذه البلاد ـ وهم كبار العلماء والمدرسين والقضاة ورجال الشورى ، والمهندسون والأطباء ، وكبار المزارعين والتجار ، ويتشاوروا بينهم فى المسألة ثم يكون العمل بما يقررون أنه قد مست إليه الضرورة ، أو ألجأت إليه حاجة الأمة ه .

خاتمة :

بذلك نختم هذه الكلمة بنتائج ما بيناه فيها مع ذكر آيات وأحاديث وقواعد أصولية استنبطها فحول العلماء من الشريعة الإسلامية لاتصالها بما بيناه من قبل ولكى ينتفع القراء بها :

قال الله تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

وقال الله تعالى : « ما يريد الله ليجعل عليكم فى الدين من حرج » .

وقال الله تعالى : « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه » .

وقال الله تعالى : « قد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا ضرر ولا ضرار) رواه مالك فى الموطأ مرسلا وأحمد وابن ماجه .

وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم :

قواعد [1] .

المادة ١٧ — المشقة تجلب التيسير ، يعنى أن الصعوبة تصير سببا للتسهيل ويلزم التوسيع فى وقت المضايقة : يتفرع على هذا الأصل كثير من الأحكام الفقهية كالقرض والحوالة والحجز وغير ذلك ، وما جوزه الفقهاء من الرخص والتحقيقات فى الأحكام الشرعية مستنبط من هذه القاعدة . اهـ

١٨ — (الأمر إذا ضاق اتسع) ، يعنى أنه إذا ظهرت مشقة فى أمر يرخص فيه ويوسع .

٢١ — (الضرورات تبيح المحظورات)

(الضرورات تقدر بقدرها [2])

باب المصلحة أوسع من باب الضرورة .

٣٢ — (الحاجة تنزل منزلة الضرورة) عامة أو خاصة . ومن هذا القبيل تجوز البيع بالوفاء لما كثرت الديون على أهل بخارى مست الحاجة إلى ذلك فصار مرعياً .

٣٩ — (لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان .

قواعد أصولية من غير المجلة :

١ — أساس الشريعة الإسلامية « درء المفاسد وجلب المصالح » .

٢ — العلة فى تحريم كل حرام هى المضرة فى (الدين أو النفس أو العقل أو العرض أو المال) فما لا ضرر فيه لا يحرم .

٣ — أساس المعاملات فى الشريعة : أن كل محرم ضار وكل نافع حلال .

المحرم لذاته — وهو ما كان ضارا بذاته — إذا كان مما يضطر إليه ، كأكل الميتة ولحم الخنزير وشرب الخمر ، ومنه ربا النسيئة ، يباح للضرورة .

٤ — والمحرم لسد الذريعة كرؤية الطبيب لعورات الرجال والنساء لأجل التداوى أو رؤية المرأة الأجنبية يباح للمصلحة الراجحة ولا يشترط فيه الضرورة .

٥ — جرى الأستاذ الإمام (محمد عبده) فى مناظراته القولية والكتابية :

(١) من المجلة التى تحتوى على القوانين الشرعية بالدولة العلية الصادرة فى غرة المحرم سنة ١٢٨٦ هـ .

(٢) تقرير الضرورة للفرد يرجع إلى نفسه وإيمانه وتقديرها للجماعة يرجع إلى أهل الرأى فيها .

على أن الإسلام قد جاء بإصلاح يوافق مصلحة البشر فى كل زمان . وهذا التوفيق ينبنى على ما جاء فى كتاب الله وسنة نبيه التى مضت بالدوران مع المصلحة فى كل حال بحسبها لا على ما جاء فى كتب الفقهاء .

٦ ــ قاعدة للإمام مالك : وجوب الاستمساك بظواهر النصوص فى العبادات ، ومراعاة المصلحة العامة ومقاصد الشرع فى أحكام المعاملات .

حديث غير صحيح :

قبل أن نفرغ من إيراد ما اخترناه من الآيات القرآنية والقواعد الأصولية نقول : إن رجال الدين جميعاً يجرى على ألسنتهم عند ما يتكلمون فى الربا ، حديث يعتبرونه صحيحاً وهو غير صحيح ذلك الحديث هو :

(كل قرض جر نفعاً فهو ربا) .

* * *

هذه عجالة بينا فيها الربا فى الإسلام كما حققه فحول العلماء ، وأنهم قد خرجوا فى تحقيقهم إلى أنه ينقسم قسمين : قطعى وظنى وأن القطعى هو (ربا النسيئة ، وهو الذى كان يتعامل به العرب فى جاهليتهم وحرمه الله تحريما قاطعا ـ وهذا الربا غير الربا الذى يتعامل به الناس اليوم بغير شك وهو محرم لذاته ويباح للضرورة .

وربا ظنى وسموه ربا الفضل ـ وهو محرم لسد الذريعة ـ ويباح للمصلحة الراجحة وبينا كذلك : كيف السبيل إلى خروج المسلمين الآن من حرج التعامل بالربا الذى أصبح من النظام الاقتصادى العالمى واضطر المسلمون إلى اتباع هذا النظام ؛ لأنه صار ضرورة من ضروريات الحياة وإذا لم يتبعوه أصبحوا أذلة ضعفاء بين الأمم وأتينا بالقواعد الأصولية التى وضعها الإسلام لحل مشكلة الربا بعد أن أصبحت بلوى عامة حتى يتحقق القول : بأن الإسلام صالح لكل زمان ومكان وأنه لا يقف فى سبيل أى نظام ما دام نافعا للناس وليس فيه ضرر .

وأنه بما أوردناه فى كل ذلك يكون ما أفتى به شيخ الأزهر هو ما يجب العمل به فى هذا العصر ، وأنه لم يخرج فى فتواه عن قواعد الإسلام وما يريده الله من اليسر على عباده ، وأنه ما يريد أن يجعل عليهم فى الدين من حرج ، وأنه لم يكن بدعا فيما أذاعه على الناس ، بل هو مؤيد فى ذلك بما قرره كبار العلماء فى هذا الأمر منذ عشرات السنين ، هدانا إلى الصراط المستقيم . ووفقنا إلى ما فى الخير والصلاح إنه سميع مجيب ؟ .

الآثار الأدبية فى إنتاج الفلاسفة

للدكتور محمد غلاب

احتفظ مؤرخو الحركات الأدبية العالمية بمكان فسيح من مؤلفاتهم لعدد من الفلاسفة فى عصور مختلفة مهما تكن النظريات التى عالجوها دقيقة عميقة . ومنشأ ذلك إما أن أولئك الفلاسفة قد صاغوا نظرياتهم فى صور أدبية خالصة كالقصائد والمحاورات والروايات والمسرحيات والأساطير ، وإما أن أساليبهم بسحرها وفتنتها ووضوحها — قد تلألأت فى سماء الأدب فاحتلت فيها منزلة رفيعة جديرة بالاعتبار .

نعم ، إن هناك فريقا من الفلاسفة — كالمدرسيين فى العصور الوسيطة ، واسبينوزا وكانت ، وهيجيل ، ومن إليهم — كانت منتجاتهم مفرطة فى التجريدية والجفاف ، معراة من الرشاقة الأدبية . وهؤلاء يؤلفون جماعة منعزلة ، ولكن تاريخ الفلسفة الطويل الحافل يفيض فى كل العصور بالفلاسفة المغرمين بالفن الأدبى ، المفتونين بالأساليب الأنيقة . والتعبيرات الرشيقة . فالفلسفة الإغريقية فى العصور الأولى تقدم إلينا فلاسفة من أفذاذ الشعراء كأمبيدوكليس ، وبارمينيديس وإكسينوفانيس الذين لا يكاد الباحث ينظر فى منتجاتهم حتى تتجلى أمامه أعمق النظريات الفكرية . يتصوع من عباراتها شذا الشعر الفاتن أو يعبق من أساليبها عبير النثر الساحر . فمن هؤلاء مثلا بارمينيديس ، إذ أن منتجاته العقلية تنحصر فى قصيدته الفلسفية الكبرى التى عنوانها « عن الطبيعة » والتى أخضع فيها النظريات العويصة الشديدة التعقد للألفاظ السلسة السهلة ، وصاغها فى قصيدة بديعة التنظيم رشيقة التنسيق ، جذابة الأسلوب ، محتوية على كثير من التشبيهات الخيالية والاستعارات والمجازات . ولكن بهيئة احتفظت للحقيقة الفلسفية بجوهرها الكامل . ولا ريب أن فى هذا برهانا ناصعا على أنه لم يكن فى مذهبه الفلسفى متموجا ولا متلجلجا . وإنما كان متمكنا من آرائه ، قابضا على زمام أفكاره .

تتألف هذه القصيدة من مقدمة ومقالتين : ففى المقدمة يحدثنا الشاعر الفيلسوف فى أسطورة شيقة عن صعوده فى مركبته إلى السماء والتقائه بابنة الشمس أو إلهة الحقيقة وإرشادها إياه إلى ما ينبغيه من الوصول إلى اليقين . وفى المقالة الأولى يعرض فكرة الموجود ويبسطها ويحللها ثم يستنتج منها المحامد

التى يجب أن يمتاز بها . ولا ريب أن طبيعة البحث المثبتة فى هذه المقالة أميل إلى النظر العقلى ، وأكثر صعودا نحو التجرد . ولهذا كان ما ورد فيها من طرائق الجدل ، وعناصر الفكر ، ومبادئ المنطق جديدا مبتكرا إلى حد حمل الباحثين على القول بأن المؤسس الأول للجدل العقلى هو بارمينيديس . وقد بقيت من هذه المقالة شذرات كثيرة استطاع النقاد بفضلها أن يكونوا عن آراء هـذا الفيلسوف النظرية فكرة لا بأس بها .

وفى المقالة الثانية يبسط آراءه عن العالم المحس وعن كيفية إدراكه . ولا شك أن هذه المقالة الثانية هى أكثر شرحا لعالم الحس . وطريقة معرفته ، وقيمة العلم به إلى جانب العالم العقلى ، ولكن الشذرات التى بقيت من هذه المقالة ضئيلة مبتورة لم تمكن العلماء من إصدار حكم صريح على آراء بارمينيديس فى عالم المحسات .

ولما كانت الناحية الأدبية هى التى تعنينا هنا ، وكانت مقدمة هذه القصيدة هى اللوحة الأمينة لشاعرية هذا الفيلسوف والصورة الصادقة لمنزلته الأدبية ، فقد أردنا أن ننقل لك منها نموذجا لتقف على خيال هذا الشاعر والروح الشعرية عنده . وإليك هذا النموذج :

« إن الجياد التى كانت تجر مركبتى نقلتنى إلى حيث كان حماسى يشتهى ، إذ أنها أصعدتنى إلى الطريق الماجد ، طريق الآلهة ، ذلك الطريق الذى يقتاد العلماء من الفانين إلى أعمق جميع الأسرار ... وكانت فتيات ترشدنا فى سيرنا ، وهن بنات الشمس اللواتى غادرن دار الليل إلى دار النور ، واللواتى زحزحن الحجب بأيديهن من فوق أفوادهن ، وكان الصفير يسمع من محاور العجلات التى تكاد تلتهب فى مراكزها ؛ لأن الحركة الدائرية كانت تضغطها من الجانبين كلما ضاعفت الجياد سرعتها ، وكانت العناية التى يتجه إليها سيرنا هى المكان الذى يوجد فيه بابا طريقى الليل والنهار ... ولما كانت العدالة الحازمة هى التى بيدها مفاتيح هذين البابين ، فلم يكن من أولئك العذارى إلا أن اتجهن إليها بعبارات عذبة وأقنعنها فى مهارة بأن تزحزح رتاج الباب ففعلت وانفتحت العضاضتان على مصاريعهما بعد أن دارت الرزات فى ثقوبها ، وعلى الفور دفعت العذارى المركبة والجياد فى سهولة من هذا الباب ، فاستقبلتنى الإلهة استقبالا حسنا ، وتناولت يدى اليمنى ووجهت إلى هذه العبارات : أيها الشاب أنت الذى ترشدك قائدات من الآلهة ، استمع فليس مصيرا مشئوما ذلك الذى جاء بك إلى هذا الطريق المجهول من الأناسى ، وإنما هو العدالة والقانون . وينبغى أن تحيط بكل شىء فتعرف الفكرة المضبوطة عن الحقيقة البعيدة

عن الخطأ ، وتعرف الآراء العابثة التى تحتل رءوس الأناسى ، والتى لا تسودها أية عدالة ، وهكذا تعرف كيف يجب أن تحكم على كل شىء بطريقة متزنة » .

أما عملاق الفلاسفة الأكبر ، وأستاذهم الأمجد أفلاطون ، فقد كان فى عصره سيد الكتاب بلا منازع ، وحسبنا أن نشير هنا إلى قول أحد معاصريه عنه : « لكأنى بالنحلة تصب جناها على لسان أفلاطون » . ومما لا ريب فيه أن محاوراته الفلسفية التى نيفت على الثلاثين ، تعتبر من عيون النثر الفنى الراقى الذى ترك فى العالم الأدبى آثارا ليس فى مكنة الزمان محوها أو النيل منها ، وذلك بسبب رفعة مبانيها ، وسمو معانيها ، وصورها الأخاذة . ولا غرو فإنه — بفضل هذه الصور الأدبية الرائعة التى كانت ولا تزال تفيض بالحيوية — قد استطاع أن يمنح أعمق النظريات وأعوص الفكر من السهولة واليسر ما جعلها فى متناول العقليات العادية ، وفى هذا يقول عنه أحد النقاد الأقدمين : « لو أن مذهب أفلاطون كتب بغير أسلوب أفلاطون لما فهم منه أحد شيئا » .

بلغ الفن الحوارى عند أفلاطون من الكمال حداً رفعه إلى مرتبة الصف الأول من كتاب العصور الأثرية كما كان أول أعلام العقل بلا منازع . ولا ريب أن هذا الكمال المرموق طالما كان موضع محاكاة ، ولكنه لم يكن البتة موضع مساواة ، لا بين الكتاب ولا بين الفلاسفة .

تمتاز محاورات هذا الحكيم بأنها مشتملة فى أكثريتها الغالبة — على قوة حيوية جديرة بالملاحظة والتسجيل ، وبأنها أشد ما تكون واقعية ودنوا من الحياة العملية رغم ما تعزوه الكآبة إلى مؤلفها من الانغماس فى الأخيلة والأحلام . ومن آيات ذلك أن المفكرين الذين يضع على ألسنتهم آراء خصومه هم أشخاص حقيقيون عاصروه أو عاصروا أستاذه سقراط وناقشوهما مناقشات واقعية ، وكان لهم حقا نفس تلك المذاهب التى عزاها أفلاطون إليهم . وتلك خطة لها دلالتها وقيمتها ، إذ هى ترمى إلى تسجيل مذاهب ذلك العصر وتحليلها ، وتمحيصها ونقدها ، وتأييد الصالح منها ، ونقض الفاسد ، وتقويض ما فيها من معاقل الزيف وحصون الضلال .

ومما لا ينبغى الإغضاء عنه هنا أن هذه المحاورات الشيقة التى تتخذ إما صور المآسى العميقة ، وإما صور المهازل الرشيقة ، تعنى أتم العناية وأقصاها برسم الزمان والمكان وتصوير الأحداث والظروف والأشخاص تصويراً دقيقا محدوداً لا تعزب عنه أية واقعة مهما صغرت ولا يغيب عنه أى تفصيل مهما ضؤل . وتلك هى نهاية الفن الرائع ، وقصوى درجات الاقتدار الساطع . ومن

دلائل تلك الدقة تصويره أصدقاء سقراط ، إذ يقدم إلينا مثلا كريتون صديق سقراط منذ الطفولة ، وهو شخص عظيم الوفاء إلى حد البذل والفدائية ، ولكنه قوى العاطفة ، سريع الانفعال ، شديد التأثر بما يحوطه من أحاسيس الحياة لا يملك مشاعره عند اصطدامه بأحداثها ووقائعها مما لا يلتئم مع فطرة سقراط الرزينة الهادئة . ولذا هو يوجه إليه العبارة التالية : « أوه ياعزيزى كريتون . إن حماسك كان يمكن أن يكون أكثر تقديراً لو أنه كان أشد تعقلا » .

وكذلك هو يصور لنا فيدون تلميذاً وديعا عطوفا يجلس إلى جانب قدمى سقراط فى ساعاته الأخيرة . فيرسم لذلك الموقف صورة خليقة بأن تستمطر العبرات من العيون .

ومما تجب العناية به هنا أن أفلاطون فى هذه المحاورات يقدم إلينا لوحة أمينة ناطقة بالصور الواقعية لشباب أثينا المترف المثقف الذى يمتاز بكثير من الخلال الساحرة والصفات الفاتنة كالصفاء والذكاء ، والبساطة والنشاط ، والتحمس ، للنقاش . والتأهب للحوار ، والشغف بسماع دروس مشاهير الأساتذة أيا كانت مذاهبهم وآراؤهم . ومن نماذج هؤلاء الشبان خارميديس ، وليسيس ، وفيدوروس ، وهيبوكراتوس الذى يصوره لنا المؤلف مهرولا إلى منزل سقراط عند الفجر ليدعوه إلى سماع بروتاجوراس ولكنه لما كان يعلم شعور هذا الحكيم نحو السوفسطائيين ، كان يختلج فى نفسه شىء من الاضطراب . ومن ثم فإنه حين يسأله ماذا ينتوى أن يفعل بسماعه بروتاجوراس يجيب وقد احمر وجهه من الخجل قائلا : « إنه من الواضح أنى أفكر فى أن أصير سوفسطائيا .

ومما يلفت النظر فى هـذا المقام نزاهة أفلاطون بإزاء خصومه لاسيما السوفسطائيين الذين صورهم فى محاوراته فأجاد تصويرهم إلى حد أن خيل إلى القارئ أنه قد بعث شيوخهم من مرقدهم ، وحال بين شبانهم وبين الفناء فكانت محاوراته بالنسبة إليهم كأنها يد القدر التى خطت لهم سطور الخلود .

وأبدع ما يسترعى الانتباه فى شأن هؤلاء الأعلام . أن فيلسوفنا قد خلد معهم فصاحتهم وبلاغتهم ، وأدبهم الرائع ، وأسلوبهم الساطع ، وبيانهم الساحر ، وحوارهم الباهر . وأنه لم يغمطهم من حقوقهم كبيرا ولا صغيرا ، فاعترف بمجدهم وسجل امتيازاتهم ، وسلك بإزائهم أعدل المسالك وأنبلها . ولم يحارب منهم سوى الجوانب المفعمة بالأخطاء والأضاليل ، ولطالما أثبت على ألسنتهم أرقى الصيغ وأرشق العبارات ، وأبدع المعانى وأعمق الدلالات . ولقد أجاد تحليل آرائهم ، وتعيين مذاهبهم ،

وعزا إلى كل منهم ما صدر عنه موزونا بالقسطاس المستقيم الجدير بتلميذ سقراط وحامى الفضيلة ، ورافع علم الأخلاق .

ومن الدقة التى تبهر عين العقل الناقد أن هؤلاء السوفسطائيين الذين رسمهم حكيمنا فى محاوراته لا يتماثلون فى أى شىء سوى إجماعهم على جحود الحقيقة العامة المطلقة ، واتفاقهم فى الهزيمة أمام منطق سقراط .

وإذا غادرنا الفلسفة الإغريقية واتجهنا إلى الفلسفة اللاتينية ألفيناها تقدم إلينا تحفا من الشعر كتلك القصيدة الشهيرة التى صاغ فيها الشاعر الموهوب لوكريس مذهب أستاذه إبيقور فجلاه تجلية جديرة بالإعجاب . وكذلك لا نستطيع أن نغضى عن شيشيرون الذى بذل جهود الجبابرة فى أن ينحى عن الفلسفة المجادلات المجردة ، وجعل يعلم مواطنيه فى محاضراته الفصيحة ، ومنتجاته البليغة ، روح الفلسفة الإغريقية وآراءه الخاصة فى معانيها ومراميها .

وإذا تركنا الأقدمين وعرجنا على فلاسفة الإسلام ، ألفينا بين منتجاتهم السحر الساحر ، والفتنة الفاتنة ، وليس عليك إلا أن تلقى نظرة عاجلة على النصوص ، أو المدينة الفاضلة ، أو التوفيق بين الحكيمين للفارابى ، أو على القصيدة العينية لابن سينا ، أو رسائل إخوان الصفاء ، أو حى بن يقظان لابن طفيل ، فإنك ستهتف معنا قائلا : « إن من البيان لسحرا » .

ولقد كنت أحب أن أقف بك هنيهة عند رسائل إخوان الصفاء ، لأقدم إليك نموذجا من نماذج الرشاقة والأناقة ، والعذوبة والرقة والدقة ، ولكن المجال لا يسمح لى الآن بهذه الوقفة ، وهو يكرهنى على مغادرتها دون توفيتها ما تستحقه من عناية . وحسبى أن أقول عنها : إن كل تصوير لها لابد أن يشتمل على قصور أو تقصير ، غير أننا لا نود أن نغادر هذا المجال دون أن نقف بك وقفة وجيزة عند قصة « حى بن يقظان » التى بلغت من الروعة حداً فتن كتاب الأوربيين ودفعهم إلى محاكاتها ، وإليك هذه الوقفة :

تأثر ابن طفيل فى مبانى الرسالة بخيال ابن سينا ، وتأثر فى معانيها وآرائها بمذاهب : أرسطو ، والفيثاغورية والأفلاطونية الحديثتين ، فجاءت هذه الرسالة خيالية شيقة فى صورتها وأسلوبها ، فلسفية عميقة فى موضوعها ومراميها على نحو رسائل أفلاطون والأفلاطونية الحديثة التى كان مؤلفوها يصوغونها فى صيغ أساطير قديمة ، ويضعون لها أبطالا يجرون على ألسنتهم آراءهم وآراء خصومهم . أما غاية المؤلف من هذه الرسالة فلم تكن - كما فهم عبد الواحد المراكشى -

محاولة عرض كيفية بدء الخلق أو بيان أصل النوع الإنسانى فيما يرى الفلاسفة ، وإنما غايته الأساسية هى إيضاح رأيه فى كيفية المعرفة ، وهو يتلخص فى أن الإنسان يستطيع أن يصل إلى إدراك الحقائق ولو كان قد نشأ فى عزلة تامة . ولم يتلق أية ثقافة خارجية ، ولم يخضع لأقل أثر من غيره إلا أثر العقل الفعال الذى ينير عقله ، وكذلك يستطيع أن يدرك هذه الحقائق ويتذوقها إذا لقنه غيره إياها . ولكن على شرط أن يكون هذا الإنسان من الخاصة الذين منحتهم السماء موهبة فلسفية كحى بن يقظان بطل رواية فيلسوفنا الذى أدركها وحده ، وكصديقه (أسال) الذى أدركها أولا بوساطة الدين ثم بوساطة (حى) وذلك لأن العامة ليس لديهم الاستعداد لإدراك هذه الحقائق ؛ ولأن المجهود الذى يبذل فى تهذيبهم يذهب عبثا كما ذهب مجهود (حى) وصاحبه فى تهذيب أهل الجزيرة الأخرى .

بدأ ابن طفيل بعد فراغه من المقدمة ، فى الرواية نفسها ، فأوجد لنا حى بن يقظان من غير أب ولا أم ، أو من إحدى الأشجار التى تثمر أطفالا ، أو من سيدة ضن بها شقيقها عن أن يزوجها من غير كفء ، فأحبت شابا يدعى « يقظان » ، وتزوجت منه سرا فكان « حى » ثمرة هذا الزواج ، ولكن السيدة خشيت بطش شقيقها ، فوضعت الطفل فى صندوق ثم ألقته فى البحر ، فقذفت به الأمواج إلى جزيرة غير مأهولة عند خط الاستواء (١) ، وهناك ساقت إليه الأقدار ظبية كانت قد فقدت ولدها فسمعته يصرخ ، فحنت عليه وأخذت ترضعه حتى شب ونضج بين الوحوش . وفى تلك الجزيرة أعقب المؤلف على بطل روايته أطوار المعرفة المختلفة التى تبدأ بإدراك الحسيات ثم تنتقل منها إلى إدراك المعقولات المؤثرة فيها ، وهذا الرأى يتناسب بلا ريب مع حالة الطفل الساذج الناشئ فى جزيرة موحشة ، ولكنه أيضا متأثر برأى أرسطو الذى يتخذ الطبيعة وسيلة إلى إدراك ماوراء الطبيعة ، ويستخدم المحسات فى فهم المعقولات .

ولقد أحدث هذا الكتاب فى عالم الفكر ضجيجا عظيما : فى البيئات العربية كان مصدراً هاما لنظرية التوحد التى بدأها ابن ماجة ونماها ابن طفيل . وفى البيئات الأوربية فاز هذا الكتاب أيضا بحظ عظيم من الاهتمام فترجمه إلى العبرية موسى الناربونى فى منتصف القرن الرابع عشر ، وترجمه إلى

(١) تعمد ابن طفيل أن يضع بطل روايته فى جزيرة عند خط الاستواء : لأنها هى المنطقة المعتدلة فى رأيه حتى لا يخضع الطفل لآثار الإفراطات الجوية ، ولكن العلم الحديث أثبت أن منطقة خط الاستواء ليست كما فهم هذا الفيلسوف .

اللاتينية بوكوك الانجليزى ونشره فى أكسفورد مع النص العربى فى سنة ١٦٧١م ثم فى سنة ١٧٠٠م ثم ترجمت هذه الترجمة اللاتينية إلى اللغة الانجليزية مرتين ، ثم ترجم النص العربى إلى الانجليزية أيضا ونشر فى سنة ١٧١١م ولا ريب أن إحدى هذه الترجمات هى التى يسرت للكاتب الانجليزى « دانيل دى فويه » التأثر بخيال ابن طفيل حتى يحاكى رسالة حى ابن يقظان فينشئ فى سنة ١٧١٩م على غرارها روايته الفخمة « روبنسون كروزويه » Robinson Crusoë التى يشاهد فيها الباحث لوحة أمينة للرقى المنهجى والعواطف الأخلاقية الموسة فى رواية ابن طفيل .

وترجم هذا الكتاب إلى اللغة الهولاندية فى سنة ١٦٧٢م . وقد ترجمه إلى الألمانية « بريتيوس » فى سنة ١٧٢٦م ثم ترجمه إلى نفس اللغة « إيشون » فى سنة ١٧٨٣م .

وإذا ودعنا عصر الفلسفة الإسلامية ، ونظرنا فى فلاسفة النهضة الأوربية والفلسفة الحديثة . ألفينا أن الفلاسفة الإنسانيين لا سيما الأفلاطونيين منهم كارسيل فيسان أو الشاعر العظيم : بيترارك . قد عادوا إلى تجديد العلائق الوثيقة بين الفلسفة والأدب وكذلك ألفينا أن « خطبة على المنهج » لـ « ديكارت » Descartes و « الفكر » لـ « باسكال » Pascal ينتميان إلى الأدب بقدر ما يعالجان الفلسفة .

أما القرن الثامن عشر فإن جميع فلاسفته كانوا يحرصون على أن يكونوا من الأدباء حرصهم على الانتساب إلى أهل الفكر ، وقد نجحوا فى هذا نجاحا باهرا ، إذ من ذا الذى يجحد فى عالم الأدب والفلسفة كليهما ، أسماء : لوك ، وفولتير ، وديدرو ، وجان جان روسو ، ومونتيسكيو وغيرهم ؟ .

وكذلك فى القرنين التاسع عشر والعشرين استمر الفلاسفة يكتبون للكافة ، لا للصفوة كما كان الفلاسفة الملتزمون يفعلون وجعلوا يعنون بالصور الأدبية عنايه فائقة وطالما — سطعت فى هذين القرنين أسماء الأدباء المفكرين الذين تبسطوا فى دراسة عدد وفير من نظريات عصرهم : الواقعية والروحية والتوفيقية والتلفيقية والتطورية ، والبراجمية ، والبيرجسونية ، والوجودية وما إلى ذلك . ومن هذه الأسماء اللامعة : « رينان » و « تين » و « اسبنسر » و « فيكتور كوزان » و « نيتشه » و « لامينيه » و « پول بورجيه » الذى عالج فى رواياته آراء « تين » و « مارسيل بروست » الذى صير البيرجسونية فى متناول عقلية الكافة . وأخيرا « پول سارتر » الذى بسط تفاصيل المذهب الوجودى فى رواياته ومسرحياته .

الدكتور محمد غلاب

الإسلام فى تايلاند

للأستاذ عطيه صقر

فى شبه جزيرة الهند الصينية ، وبين ممالك كمبوديا ولاوس وبورما تقع مملكة كانت تعرف باسم « سيام » ثم عرفت بعد سنة ١٩٣٩م باسم تايلاند Thailande ومعناه بلاد الأحرار . وتبلغ مساحتها نحو ٥٣١٫٥٢١ كيلو متراً مربعا ويروى أرضها نهران هما : ميكونج وميناء ، ويبلغ عدد سكانها نحو ٢٣ مليونا كما جاء فى إحصاء سنة ١٩٥١ م . وهم خليط من السياميين الأصليين الذين يكونون الأغلبية الساحقة ، ومن الصينيين الذين يبلغون نحو ٣ ملايين ، ومن الأوربيين الذين يقرب عددهم من ٥٠ ألفا أغلبهم فرنسيون .

وبين هذه الملايين يعيش نحو ثلاثة ملايين من المسلمين ، كما قدر عددهم وزير خارجية تايلاند فى تصريحه بمؤتمر باندونج ١٩٥٥م . ويعيش أكثرهم فى الولايات الأربع الجنوبية ، وتوجد منهم جماعات صغيرة منبثة فى ضواحى الولايات الوسطى يبلغون نحو ٢٠٠ ألف ، وفى العاصمة « بانجكوك » يوجد حوالى ١٠٠ ألف مسلم .

والدين الغالب فى البلاد هو البوذية ، ويوجد عدد من المسيحيين اعتنقوا هذه الديانة مؤخرا بجهود المبشرين ، ولكنهم يقلون كثيرا عن المسلمين .

وقد دخل الإسلام هذه المملكة من طريقين : الصين والأرخبيل المالايزى . وقد انتشر الإسلام بوضوح أيام الفتح المغولى الذى حكم الهند من سنة ١٥٢٦م إلى ١٨٥٧م ويقول أحد المستشرقين : إن قبائل « شامس » التى أنشأت مملكة « شامبا » جنوبى آنام حاليا ، كانت تدين بالإسلام عند ما أخرجها الصينيون والأناميون من البلاد ، وتعيش هذه القبائل الآن فى شبه الجزيرة وفى سيام ، ولكنها ارتدت إلى ديانتها البدائية ، ما عدا جماعة منهم تقيم شعائرها الإسلامية مع الاحتفاظ بالتقاليد البرهمية .

والنفوذ السياسى فى البلاد للبوذيين ، كما أن النفوذ التجارى للصينيين ، والمسلمون بين هؤلاء لم يصلوا إلى حقهم الكامل فى الناحية السياسية ، ويتخلفون جداً فى الميدان الاقتصادى . فكبار الموظفين من البوذيين ،

ولا يكاد مسلم يشغل وظيفة أو يلتحق بالكلية الحربية إلا إذا غير اسمه إلى اسم بوذى . ولا يعرف باسمه الإسلامى إلا بين قومه وعشيرته ، والبرلمان الذى يقوم على مجلس واحد يضم ٢٤٠ عضواً ، لا يمثل المسلمين فيه إلا عضوان فقط ، ولو روعيت نسبة المسلمين وهى ١٥ ٪ من السكان ، لكان لهم فى البرلمان أكثر من ٣٠ عضوا .

وتقوم اقتصاديات المسلمين على الزراعة ومزاولة المهن البسيطة وبعض الوظائف ، فإن ٧٠ ٪ منهم يعملون فى حقول الأرز ومزارع المطاط ، و ٢٥ ٪ يعملون فى البساتين وصيد الأسماك والتجارة وشغل بعض الوظائف . و ٥ ٪ منهم فى الجيش . والموجودون بالمدن يزاولون الحرف والصناعات البسيطة ، ويقيمون فى مساكن متواضعة ينقصها النظام والنظافة .

وتعين الحكومة ممثلا للمسلمين فى كل منطقة يكثر عددهم فيها ويسمى هذا الممثل بلغتهم Pard ham أى الرئيس . وهؤلاء الممثلون ينتخبون من بينهم المستشار الدينى العام ، ويسمى بلغتهم Ghula Rajmentrie وهو يعد شيخ الإسلام هناك . وقد جاء فى التقارير أن هؤلاء المستشارين يختارون غالبا من الطبقة الرجعية . وأنهم يدينون للحكومة بالطاعة والولاء ليضمنوا مراكزهم ، وهم لا يتدخلون مطلقا فى الشئون السياسية . بل لا يستغلون مركزهم فى نفع المسلمين ، فنشاطهم فى هذه الناحية محدود جداً أغضب عليهم أكثر المسلمين التقدميين . ويعاون هذا المستشار فى مهمته مجلس مكون من ١٢ عضواً على غرار المجلس الملى .

كما تدل التقارير أيضا على أن للمسلمين هناك اتجاهين : الأول يتزعمه طائفة يعرفون بالعلماء ، استمدوا ثقافتهم البسيطة من مكة وغيرها ، وعددهم كثير ، وأفقهم ضيق ، وتفكيرهم محدود ، لا يفهمون الإسلام على وجهه الصحيح ، فهم يحرمون مثلا تعلم اللغة الوطنية ، ولا يشجعون من التعليم أى نوع إلا التعليم الدينى البحت ، فحسب الإنسان ليفوز برضوان الله أن يديم تلاوة القرآن الذى لا يفهم معناه ، ولا يستطيع أن يطبق أحكامه بالطبع ، بل لقد بلغ من شره هذه الفئة — كما تقول التقارير — أنها توحى إلى التلاميذ بأن إكرام العلماء وبرهم بالهدايا والصدقات أولى وأفضل عند الله من إكرام الوالدين وصلة الأرحام ، ولذلك يؤثرونهم بالزكاة وما يستطيعون من قرب . وهذه الطائفة تحظى بعطف الحكومة التى ترى فى مسلكهم هذا رجوعا بالمسلمين إلى الوراء ، وزحزحة لهم عن معترك الحياة ، وهو ما يريده المسئولون وسادتهم الغربيون

الذين يلقنونهم هـذه الدروس ويرسمون لهم هذه الخطط .

والاتجاه الثانى : يتزعمه الشباب المثقف الذى يستمد ثقافته من باكستان وغيرها من البلاد التى أخذت بحظ من المدنية والتقدم ، وهؤلاء يريدون الإسلام نقيا من الخزعبلات والأضاليل التى يرمون بها الطائفة الأولى ، ويودون أن يكون منهم رجال ذوو شأن فى مضمار الحياة السياسية والاقتصادية كغيرهم من المواطنين ، وذلك عن طريق العلم وفروعه المتعددة ، وعن طريق الجد والكفاح والمغامرة ، ولكن ينقص هذه الجماعة الموارد المالية الكافية ووجود سند من النفوذ السياسى . وبين هاتين الطائفتين نزاع دائم وجدال مستمر حول مسائل لا تتصل بجوهر الدين كالصيام برؤية الهلال وبالحساب ... ويرى بعض المهتمين بالشئون الدينية أن هؤلاء الشباب يتصرفون على ضوء المذهب الأحمدى الذى أنشأه غلام أحمد القاديانى فى الهند وباكستان .

والتعليم العام فى البلاد إجبارى من سن السابعة إلى الثانية عشرة ونسبة الأمية ١٠٪ والمدارس كلها - سواء منها الحكومية والأهلية - تسير تبع المنهج الحكومى ، وهو يحرم تعليم أى دين فى أوقات الدراسة ، وإن كانت البوذية تلقى التشجيع الكبير عن طريق دراسة نصوصها فى منهج الأدب .

ومن هنا فكر المسلمون أخيرا فى تكوين جمعيات وإنشاء مدارس خاصة لهم ، غير أنه يتحتم على هذه المدارس أن تتبع المنهج الحكومى ، وألا تدرس الدين فى الأوقات المقررة للمناهج ، ويلتحق بهذه المدارس مسلمون وغير مسلمين ، وتتلقى إعانات من الحكومة ، وليس للمسلمين من حظ فى هذه المدارس إلا أنها تحت إدارتهم ، ويمكنهم أن يدرسوا الدين لأبنائهم فيها فى غير أوقات الدراسة ، ويعودوهم على أداء العبادات .

وقد أنشأ المسلمون لهذا الغرض ٣٠٠ مدرسة يتردد عليها نحو ٥٠ ألف تلميذ ، ويقوم بالتدريس فيها نحو ١٢٠٠ مدرس ، غير أن مستوى التعليم فيها ضعيف جداً ، وذلك لأن معظم المدرسين لا يحملون شهادات فنية عالية ، ولجهل المشرفين على المدارس وعدم فهمهم الفهم الصحيح لرسالة الإسلام ونفوذه إلى كل مناحى الحياة ، ولتشجيع الحكومة للبوذية وحدها دون الديانات الأخرى .

ولعدم كفاية هذه المدارس وعدم مرونتها يلجأ الكثيرون من أبناء المسلمين إلى المدارس الحكومية أو التبشيرية التى تصور الإسلام بصورة مشوهة لا تجد من يصححها ، وقد

أنشئت فى بانجكوك كلية إسلامية ، أرسل إليها الأزهر مناهج الدراسة للقسمين الابتدائى والثانوى .

والعطلة الأسبوعية فى هذه المدارس هى الأحد كالنظام العام ، إلا أنها فى الولايات الجنوبية يوم الجمعة ، وذلك لكثرة المسلمين هناك .

وتعليم البنات لا يلقى تشجيعاً من المسلمين مع شدة الحاجة إليه ، ذلك أن الشبان يلجئون إلى الزوج من البوذيات لثقافتهن ، واستطاعتهن القيام بالواجبات المنزلية ، وتطورهن مع العصر الحديث . وقد عرف بعض المستنيرين هذه الحقيقة فأنشئوا أقساما للبنات فى بعض المدارس كمدرسة « رشكارون Rashkarone » ، وهى مدرسة تابعة لجمعية أنصار السنة الإسلامية ، نظام الدراسة فيها ٤ سنوات للمرحلة الابتدائية ، و ٣ سنوات للمرحلة الثانوية الأولى ، و٣ سنوات للمرحلة الثانوية الثانية ، ثم بعد ذلك سنتان للمرحلة الإعدادية للجامعة ، وبهذه المدرسة قسم داخلى للطلبة الوافدين من الأقاليم يتسع لنحو ٦٠ تلميذا ، وبها حوالى ٣٠٠ تلميذة من المسلمات وغيرهن .

واللغة السائدة فى البلاد هى السيامية وتكلمها المسلمون كلغة رسمية ، كما أن اللغة الملايوية لها حظ من الانتشار ، ولكن بين الملايويين وفى بيوتهم ومعاملاتهم الخاصة ، أما اللغة العربية فحظها قليل جدا من التعليم والاستعمال . وتوجد صحيفة إسلامية وحيدة تسمى « الهدى » يشرف عليها الشيخ إبراهيم قرشى .

والمسلمون هناك جميعهم سنيون يتعبدون على مذهب الإمام الشافعى ، مما يؤكد الصلة بينهم وبين سكان الأرخبيل المالايزى حيث ينتشر هذا المذهب . وفى وادى نهر ميكونج يعيش ½ مليون مسلم يرجعون فى شئونهم الدينية إلى مجلس العلماء فى جاوة .

وهم يتحاكمون فى مسائل الأحوال الشخصية حسب القانون العام ، ولهم أن يطلبوا التحاكم إلى الشريعة الإسلامية ، فيكتب القضاة إلى ممثلى المسلمين يطلبون منهم الفتاوى فى المسائل التى تعرض عليهم . وتعدد الزوجات قليل فى المدن ويكثر نوعا فى القرى ، للحاجة إلى المعونة فى فلاحة الأرض . والطلاق نادر لأنه يعد عاراً كبيرا . وينقص المسلمين هناك مستشفى إسلامى ، ذلك أن المرضى يتحرجون من دخول المصحات الحكومية والتبشيرية ، لوجود التحيز والطائفية فى المعاملة . ولعدم ملاءمة الأطعمة لهم . ومن مات فى هذه المصحات لا تجرى عليه الطقوس الإسلامية ، بل تدفن جثته بعد أن تحرق .

هذا وقد رأت الحكومات فى السنوات

الأخيرة أن تخفف من القيود المفروضة على الديانات الأخرى ، فتمكن المسلمون من مزاولة النشاط الدينى بشكل أوسع ، فأكثروا من بناء المساجد والمدارس وإنشاء الجمعيات فهناك نحو ١٥٠ مسجدا نصفها فى العاصمة ، لكل مجموعة من الأسر مسجدها الخاص ، وبجواره مقبرة إسلامية . ويوجد هناك نحو ٢٤ جمعية ، غير أن أكثرها معطل من زمن بعيد ، ومن أهم هذه الجمعيات : —

١ - جمعية الإصلاح ، التى أسسها منذ نحو ٢٥ سنة الشيخ أحمد الخطيب ، وهو رجل مسن ويتمتع بنفوذ إسلامى واسع .

٢ - الجمعية السلفية ، التى أسسها أيضا الشيخ أحمد الخطيب ، لتدريس الكتاب والسنة ، ولها دار اجتماعات كبيرة ، وتدير مدرسة مشهورة ، ولها فرع خاص بالسيدات المسلمات ، لقى معارضة كبيرة من بعض المسلمين .

٣ - جمعية أنصار السنة الإسلامية ، التى أسست مدرسة رشكارون المتقدمة .

٤ - جمعية الشبان المسلمين .

وقد اندمجت هذه الجمعيات فى رابطة واحدة سميت : « رابطة مسلمى تايلاند » ، يرأسها الأستاذ عبد الوهاب عبد الله مصطفى ، وهو شخصية محترمة فى الوسط الإسلامى وبين الرؤساء ، وكان عضواً فى البرلمان ، ثم حرم من عضويته لما دعا فى المؤتمر الإسلامى بكراتشى - وكان رئيسا لوفد سيام - إلى واجب الدول المستقلة ، نحو الأقليات الإسلامية فى البلاد غير الإسلامية .

والواجب يحتم على المسلمين أن يعملوا شيئا لإنقاذ المسلمين هناك من الجهل الذى فرضه عليهم جماعة لم يفهموا الإسلام فهما صحيحا ، ولتصحيح الفكرة الإسلامية فى هذه المنطقة التى ينشط فيها المبشرون ، وللأخذ بيد القبائل البدائية التى تعيش فى المنطقة التى تسمى بالأراضى العالية ، حيث لا يوجد هناك مطلقا أى نوع من الإرشاد الدينى الصحيح ، ويتأكد هذا الواجب على الدول والشعوب القريبة من هذه البلاد ، والتى تستطيع أن تخاطب القوم بلغتهم بسهولة ، وتعالجهم على ضوء العادات والإمكانيات التى توجد هناك ، والأزهر هنا قد فتح أبوابه للوافدين من هذه الجهات ، وهو يعدهم إعدادا سليما يستطيعون به بعد عودتهم إلى بلادهم أن يكونوا مشاعل نور وهداية لإخوانهم الحيارى وسط التيارات ، التى تثيرها الأطماع الاستعمارية ، وتستغلها الإرساليات التبشيرية ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

عطية صقر
من علماء الأزهر
وبالمكتب الفنى للوعظ

العاطفة الدينية عند البارودى

للأستاذ على العمارى

ما بين سنتى ١٨٣٨ ، ١٩٠٤م عاش محمود سامى البارودى ، حياة حافلة بكل ما تمتاز به حياة رجل من عظماء الرجال ، وقد ذاق فيها النعيم ، والبؤس ، والضيق ، والخفض ، وارتفع إلى ذروة المجد ، ونزل إلى هوة السجن والأسر ، وكان — منذ نطق لسانه بالقريض — معبراً صادق التعبير عن كل خلجة من خلجات نفسه ، وكل ظاهرة مرت بأفق حياته ، ولهذا نعرف البارودى من شعره على صورة تنطبق تمام الانطباق على ما رواه لنا التاريخ من سيره وأخباره ، كما يقول :

فانظر لقولى تجد نفسى مصورة
فى صفحتيه ، فقولى خط تمثال

وهذه آية الشاعرية الأولى لأن الشعر تعبير ، والشاعر هو الذى يعبر عن النفوس الإنسانية فإذا عجز عن وصف نفسه كان عن وصف غيره أعجز ، وكذلك ترى فى الديوان ترجمانا لكل خالجة من خوالج هذه النفس الشاعرة ، وأثرا من آثار حياته الظاهرة والباطنة ، فليس الذى فى الديوان شجاعة البارودى ومرحه وصبوته فحسب ، بل دهاؤه وإربته وحصافته التى حدثنا عنها التاريخ ، من ذلك وصاته :—

أكتم ضميرك عن عدوك جاهدا
وحذار لا تطلع عليه رفيقا
فلربما انقلب الصديق معاديا
ولربما رجع العدو صديقا

وإذا بلغ التوافق بين خلائق المرء وشعره هذا المبلغ ، فتلك آية التعبير الصادق المبين ، أو تلك آية الشاعرية ، والملكة الفنية ، — كما يقول الكاتب الكبير الأستاذ العقاد .

وقد كرر البارودى فى ديوانه المعنى الذى أشار إليه الأستاذ العقاد ، وهو أن شعره صورة لنفسه ، ومن ذلك قوله : —

تدبر مقالى ، إن جهلت خليقتى
لتعرفنى ، فالسيف يعرف بالأثر

وكان البارودى فى غنى ، ألا يسجل على نفسه هذا ، فإن فى شعره ما يحرص بعض الناس على ألا يعرفوا به ، ولكن الرجل كان صادقا ، وكان يؤثر أن تظهر نفسه على حقيقتها ، فطالما ذم النفاق والمنافقين : —

وفى الناس من تلقاه فى زى عابد
وللغدر فى أحشائه عقرب تسرى

إذا أمكنته فرصة نزعت به
إلى الشر أخلاق نبين على غمر

كان البارودى من أبناء الجراكسة ، وهم آنذاك من أهل الخفض والنعيم ، قد وانتهم فرص الحياة ، وجرت لذاتها بين أيديهم كما يشتهون ، وقد انغمس أكثرهم فى هذه الحياة العابثة اللاهية ، ولكن هذا الفتى اليتيم ، الذى مات أبوه وخلفه فى السابعة من عمره ، عزف عن هذه الحياة ، وأخذ نفسه بحياة الجد ، ووجد بعد أن تخرج فى المدرسة الحربية ، ولم يجد عملا ، وجد فى كتب المتقدمين مرتعا لنفسه ، ومرتادا لهواه ، كما وجد فى أبناء الطبقة المتوسطة التى تأخذ نفسها بالفضيلة ، وتعيش فى جو إسلامى محافظ ، وتتجافى عن سفاسف الأخلاق ، وعن تبذلات أبناء العلية ، وجد فى هذه الطبقة أصدقاء لروحه ، ووسطا لائما أخلاقه وطبائعه . وما هو إلا أن وفد على مصر السيد جمال الدين الأفغانى ، حتى كان البارودى أحد تلامذته ، وظل يتردد على هذا السيد الجليل فى منزله حتى روى من علمه ، ومبادئه ، وأخلاقه ، وتفرس السيد فى هذا الشاب الطموح المنوثب ، والمؤمن النقى العقيدة ، فأحبه ، وامتدحه ، وقال فيه كلمته المشهورة ، التى تعتبر شهادة يعتز بها البارودى ، قال السيد الأفغانى عن البارودى : « هو أفضل من عرفت من المسلمين » .

وإذا رجعنا إلى شعر البارودى فى هذه الحقبة ، من أول شبابه إلى أن نفى إلى سرنديب ـ نجده يتضمن أنماطا من أخلاق ، وربما كان بعضها يناقض بعضا . ولكن الذى يتعمق هذه الأشعار ، ليستخلص منها شيئاً للتاريخ ، يظهر له أن الرجل لم يحرم نفسه من طيبات الحياة ، وربما أصاب شيئاً مما يتحرز عنه الرجل المتدين ، ولكن الشىء الذى لا ينكر أنه كان شديد الحفاظ على الأخلاق الفاضلة ، ذاكراً لشعائر الدين .

ونادى مناد للصلاة بسحرة
فأحيا الورى من بعد طى إلى نشر
فبادر لميقات الصلاة ومل بنا
إلى القصف ما بين الجزيرة والنهر
إذا قضينا واجب الدين حقه
فليس علينا فى الخلاعة من وزر

فهو يذكر الصلاة ، ويطلب إلى رفيقه المبادرة إليها ، ولكنه ـ مع ذلك ـ يأخذ حظه من الخلاعة ، مادام قد قضى واجب الدين حقه .

ولو استشرنا شعر البارودى لوجدنا أن هذه الخلاعة لا تعدو أن تكون لهواً مباحا ، فهو يحدث عن نفسه بأن شيمته تأبى الدنايا ، وأنه لم يأت فى الحب زلة تعاب عليه ، أو تغض من ذكره فى المحافل .

ولكننى طوفت فى عالم الصبا
وعدت ولم تعلق بفاضحة أزرى

بل يبالغ فيصف نفسه بأنه لا يرى عابثا ، ولا مزاحا ، ولا تصحب الفتاة الرواح ، وإنما يلهج بذكر الحرب ، وهمه فى طلاب العلا ، وأن سواه هو الذى يطرب بتحنان الأغاريد .

ويتحدث عنه كاتب مقدمة ديوانه ، ـ وهو عالم من علماء الأزهر ـ فيقول : « كان لا يحب الفحش ، ولا ينطق به ، ولا يرضى أن يذكر أحد فى مجلسه بنقيصة ، ولا يذكر من أحوال من عاشرهم إلا المحاسن والفضائل ، ويقول ـ يعنى البارودى ـ : لا أجد بقلبى بغضا لأحد ولو أساء إلى .

ومن هنا نعلل قلة الهجاء فى ديوانه ، على أن ما جاء فيه من أهاج لم يعرف معها من قيلت فيهم .

ولا ينسى ، وهو يعدد أخلاقه ، أن يرسل هذه الكلمة :

وأخلصت للرحمن فيما نويته
فعاملنى باللطف من حيث لا أدرى

وهذه اللفتة تدلنا على مكان الإخلاص لله فى نفسه ، وأنها نفس لم تخل من صدق العاطفة الدينية .

وتخفق الثورة العرابية ، وينفى البارودى إلى جزيرة (سرنديب) ويبقى هنالك سبعة عشر عاما ، يتذكر ماضيه ، وأهله ، ووطنه ، ويسجل كل ذلك فى شعر قوى رصين .

والسن قد تقدمت به ، والجو الذى يعيش فيه ، جو محافظ لا مجال فيه للهو ولا عبث ، ويشتغل هنالك بالوعظ والإرشاد ، يخطب القوم ، ويعلمهم ، فيساعد كل ذلك على إبراز عاطفته الدينية ، قوية واضحة ، وتظهر هذه العاطفة ، فى معارض مختلفة ، وفى مناسبات متعددة ، فنرى اتجاهه إلى الله فى كثير من شعره ، ونرى أحاديث عن الزهد ، وأخيراً نجد مدحته الرائعة فى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وإذا كان قبل النفى ، يناجى ربه فيقول :

لك الحمد إن الخير منك وإننى
لصنعك يارب السموات شاكر
فأنت الذى أوليتنى كل نعمة
وهذبتنى حتى اصطفتنى العشائر
فقرب لى الخير الذى أنا راغب
وباعدنى الشر الذى أنا حاذر
فليس لمن تقصيه فى الناس نافع
وليس لمن تدنيه فى الناس ضائر
ولا لامرئ ألهمته الرشد خاذل
ولا لامرئ أوردته الغى ناصر

فإنه بعد النفى يتوجه بكل نفسه إلى الله أن يخلصه مما فيه ، ويرى أن أمله فى الله هو كل شىء :

ولى أمل فى الله تحيا به المنى
ويشرق وجه الظن والخطب كاشر

إذا المرء لم يركن إلى الله فى الذى
يحاذره من دهره فهو خاسر

أو يقول :

يظننى من يرانى ضاحكا جذلا
أنى خلى وهمى بين أضلاعى
ولا وربك ما وجدى بمندرس
على البعاد ، ولا صبرى بمطواع
لكننى مالك حزمى ومنتظر
أمراً من الله يشفى برح أوجاعى

وإذا كان شوقى قد قال فى أول قصيدة قالها بعد رجوعه من المنفى يخاطب الوطن :

أدير إليك قبل البيت وجهى
إذا فهت الشهادة والمتابا
ولو أنى دعيت لكنت دينى
عليه أقابل الحتم إيجابا

فيرتكب حماقة غريبة ؛ لأنه يلقى قصيدته فى حفل أقيم لتكوين جمعية للبر ، ومع ذلك يصرح أمام الجماهير بأنه يدير وجهه إلى وطنه قبل أن يديره إلى بيت الله الرحمن ، وأن دينه الذى يقابل عليه الموت هو الوطن ، مع أنه يقول فى آخر القصيدة (ولولا البر لم يبعث رسول) . إذا كان شوقى ارتكب هذه الحماقة فإن البارودى يقدم دينه على وطنه حيث يقول :

لم أقترف ذلة تقضى على بما
أصبحت فيه فماذا الويل والحرب
فهل دفاعى عن دينى وعن وطنى
ذنب أدان به ظلما وأغترب

وهذا له دلالته النفسية على مدى العاطفة الدينية عند كل من الشاعرين .

وتتجلى عاطفته الدينية فى أصدق صورها فى مدحته التى عارض بها البوصيرى فى مدح الرسول فإن حديثه فيها عن عواطفه حديث يزخر بانفعالات الشوق والحنين ، والحب ، نستمع إليه ، وهو يذكر لهفته على زيارة الرسول فيقول :

يا حادى العيس إن بلغتنى أملى
من قصده فاقترح ماشئت واحتكم
سر بالمطايا ولا ترفق فليس فتى
أولى بهذا السرى من سائق حطم
ولاتخف ضلة والظرفسوف ترى
نورا يريك مدب الذر فى الأكم
هذى منای وحسبى أن أفوز بها
بنعمة الله قبل الشيب والهرم

ويقول فى موضع آخر :

تالله ما عاقنى عن حيكم شجن
لكننى موثق فى رتعة السلم (١)

---

(١) السلم : الأسر : وهذا البيت - وله نظائر فى القصيدة - يدل على أنها قيلت فى المنفى ، فلا معنى لقول بعض الكاتبين إنه لا يعلم متى قيلت القصيدة لأن بعض أبياتها صريح فى أن البارودى كان فى سرنديب وقت إنشائها .

فهل إلى زورة يحيا الفؤاد بها
ذريعة أبتغيها قبل تختزمى

بل نرى هذا المعنى يستعلن فى قصيدة كلما سنحت له فرصة مما يدلنا على أنه صادر عن عاطفة قوية ، والشاعر المتكلف يجعل لكل معنى من القصيدة موضعا يبرزه فيها ، طبيعة الاعمال العقلية . أما المعانى العاطفية فهى تجىء دون تصنع أو تعمل ، وتظهر فى أثر الشاعر أو الكاتب كلما واتتها الفرصة للظهور ومن ذلك فى هذه القصيدة مما يتصل بهذا المعنى ، أن البارودى بنى قصيدته على نظم السيرة المحمدية كما وردت فى سيرة ابن هشام فلما جاء إلى القصة المشهورة ، وهى الاختلاف فى وضع الحجر الأسود ، ورضى المختلفين بأول داخل عليهم ، ودخول محمد بن عبد الله مصادفة ، ورفعه الحجر ووضعه فى موضعه تفلت من البارودى هذه الأمنية :

يا ليتنى والأمانى ربما صدقت
أحظى بمعتنق منه وملتزم

وقد علل البارودى - فى هذا الموضع - تقبيل الحجر الأسود ، بأن يد النبى مسته :

لو لم تكن يده مسته حين بنى
ما كان أصبح ملثوما بكل فم

وهو تعليل يدل على مدى حب الشاعر للرسول ، وإيمانه به .

هذا . وقد لفت نظرى وأنا أراجع ترجمة البارودى فى بعض البحوث التى كتبت عنه ، أن المترجمين له لم يعنوا بهذه الناحية فى شعره ، والذين ذكروها منهم لم يطمئنوا إلى صدورها عن طبيعة فى نفسه ، ولاسيما إشعره فى الزهد . فقد كتب أحد علماء الأزهر يقول : « فأما شعره فى الزهد وغيره من الحكم والنصائح وما إليها ، فهو لا يمت إلى طبيعة فى نفسه ، إذ أن نفسه من النفوس التواقة الطاعية الطموح ، وإنما لجأ إليه بعد أن تحطمت فى يده سهام العظمة القاهرة ، والقوة القادرة ، كما يلجأ الذين تتقدم بهم السن ، ويحالون إلى المعاش — إلى العبادة والتزهيد فى الحياة ، على أن حكمه ومواعظه من النوع الذى ينشأ عن التجارب وطول الخبرة ومجاراة الأقدمين لا من الأنواع التى تولدها نظرات فلسفية وعلمية[1] .

وبعد ذلك بسنوات كتب أحد أساتذة دار العلوم ، يردد نفس الفكرة ، ويقول : « ولعل قوله فى الزهد يرجع إلى تلك الحالات النفسية التى غلبه فيها اليأس على أمره ، وهو وحيد شريد يعانى غصص الفراق والنفس ، وإلا فهذه النفس الطموح التى خاطرت وغامرت وتطلعت إلى الملك وتلذذت وتنعمت بالحياة كانت بعيدة عن الزهد فى الحياة ، ولعلها لم تزهد إلا مرغمة .

ومما يتصل بهذا الموضوع مدحه لرسول الله صلى عليه وسلم . وحكمه على العموم قريبة

[١] مجلة الأزهر . المجلد الرابع عشر ص ٣٤١ .

المأخذ ليست فيها فلسفة عميقة ولا تدل على مذهب فى الحياة »[1].

والذى يتأمل ما قدمناه من ظروف الحياة التى عاش فيها البارودى ، ومن المؤثرات التى أثرت على نفسه ، ثم يطالع ديوانه فيرى أن الرجل كان فى كثير من حالاته عزوفا عن الملذات ، وكان — كما يقول — لا يميل إلى الوفر ، ولا يعد المال ربا :

رضيت من الدنيا وإن كنت مثريا
بعفة نفس لا تميـــل إلى وفر

ويرى أن المال لا ينفع صاحبه مالم تحمده العشائر ، وأن أسباب السيادة ليست بالغنى وأنه بلغ المكارم وهو عار من المال ، ولو أراد المال لجاءه وافرا ، ولكنه أبى ، أن يأتى ما يعاب به . أقول الذى يتأمل كل هذا يجد أن المعانى التى جاءت فى زهديات البارودى ليست غريبة عليه ، وما كان الطموح فى يوم من الأيام ليصرف شاعرا مثـــل البارودى عن حقائق الحياة ، وأنها زائلة ، وأن ما فيها من جاه ومال وشباب ، كل ذلك زائل .

حقيقة أن البارودى ردد ما يحكم به السن من وقار وبعد عن الهوى والضلال فجاء مثل قوله :

أبعد ستين لى حاج فأطلبها
هيهات ما لامرئ بعد الصبا حاج
إن ابن آدم فى الدنيا على خطر
لا يستقيم له ظـــل ومنهاج
لا أحفل الطير إن غنت وإن نعبت
سيان عندى صفار وشحاج

ومثل قوله :

بلغت مدى خمسين وازددت سبعة
جعلت بها أمشى على قدم الخضر
فكيف ترانى اليوم أخشى ضلالة
وشيبى مصباح على نوره أسرى

ولكن هذا يؤيد ما تراه من صدق العاطفة عنده ، ولا ينفيه ؛ لأن الإنسان إذا أدرك الحقيقة الكبرى فى الحياة ، ولو كان بعيداً عنها — والبارودى لم يكن بعيدا — فإن تعبيره عنها يتسم بالصدق ، ولا يمكن أن نقول : إن هذا التعبير لا يمت إلى طبيعته بصلة .

والذى عندى أن البارودى كان ذا عاطفة دينية قوية منذ صدر شبابه ، وأن طموحه وطلبه للملك وتنعمه بطيبات الحياة لا يتعارض مع هذه العاطفة ، فلما رمت به الأحداث فى المنفى كان لهذه العاطفة أن تظهر واضحة قوية ، لاسيما وقد غذاها البارودى بما ندب نفسه له من تعليم أهل سرنديب القرآن ، ووعظهم[1] وإرشادهم إلى الدين القويم .

---

[1] مجلة الأزهر . المجلد الرابع عشر ص ٣٤١ .

[1] ظهر أثر الوعظ فى معانى البارودى وأساليبه ، فجاء كثير من شعره كأنه خطب منبرية كما ظهر الاقتباس من القرآن كقوله :

يأيها الناس اتقوا ربكم
واخشوا عذاب الله والآخرة
واعتبروا من غفلات الهوى
واعتبروا بالأعظم الناخرة

وكما ظهر الاقتباس من الحديث الشريف .

وعجيب قول عالمنا الأزهرى : إن حكم البارودى من النوع الذى ينشأ عن التجارب وطول الخبرة لا من النوع الفلسفى . وما هو النوع الفلسفى إن لم يكن ينشأ عن التجارب وطول الخبرة . ومتى كانت هذه الحكم التى جاءت بها التجارب صادقة ، فهى النظرات الفلسفية التى تعتز بها الحكمة .

ثم من حكم البارودى حكم كثيرة تتصل بالحماسة والحرب ، وعلو الهمة ، وعزة النفس وما إليها ، فكيف ساغ لهذا الكاتب أن يرمى حكم البارودى جملة بأنها لا تمت بصلة إلى طبيعة نفسه .

وأخيراً نجد البارودى فى أخريات حياته يعكف على تهذيب شعره ، ويبدو أنه لم يرض عن بعضه ، يدلنا على ذلك تحرزه فى مقدمة الديوان من أن يؤخذ عليه شىء فى عقيدته ، فقد اعتذر عن إسناد الأفعال إلى الدهر ، حيث يقول : (وقد يقف الناظر فى ديوانى هذا على أبيات قلتها فى شكوى الزمان فيظن بى سوءا من غير روية يحيلها ، ولا عذرة يستبينها ، فإنى إن ذكرت الدهر ، فإنما أقصد به العالم الأرضى ، لكونه فيه من قبيل ذكر الشىء باسم غيره لمجاورته إياه كقوله تعالى : « واسأل القرية » أى أهل القرية .

ولا أقول هذا تبرؤا من الوهم ، ولا اعتمادا على صحة الفهم ، فإن المرء وإن كثر إحسانه لا يسلم من الزلة لسانه ، وقل من توغل فى حرجات[1] القريض فنجا أن يغص بالجريض .

ونختم هذا الحديث بقول البارودى :

فاضرع إلى الله واستوهبه مغفرة
تمحو الذنوب ، فجانى الذنب يعتذر
واعجل ولا تنتظر توبا غداة غد
فليس فى كل حين تقبل العذر

وقوله فى آخر مدحته للرسول :

يا غافر الذنب ، والألباب حائرة
فى الحشر ، والنار ترمى الجو بالقدم
حاشا لفضلك وهو المستعاذ به
أن لا تمن على ذى خلة عدم
إنى لمستشفع بالمصطفى وكفى
به شفيعا لدى الأهوال والقحم
فاقبل رجائى ، فمالى من ألوذ به
سواك فى كل ما أخشاه من فقم
وصل رب على المختار ما طلعت
شمس النهار ولاحت أنجم الظلم
والآل والصحب والأنصار من تبعوا
هداه واعترفوا بالعهد والذمم
وامتن على عبدك العاصى بمغفرة
تمحو خطاياه فى بدء ومختتم

على العمارى

---

[١] الحرجات : الشجر الملتف ، والجريض : الريق الذى يغص به .

أعداء العروبة والإسلام

للأستاذ عبد الرحيم فوده

« لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » .
(قرآن كريم)

تسلل اليهود إلى الحجاز وأقاموا فى أماكن متفرقة فيه ينتظرون مجداً كانوا يحلمون به ، ونبوءة كانوا يتطلعون إلى تحقيقها ، وقد شيدوا حول المدينة القلاع والحصون ، وحالف بعضهم الأوس وبعضهم الخزرج على ما كان بين الأوس والخزرج من خلاف مستمر . وقتال يستحر بين الحين والحين ، بقصد أن يبقوا فى هذه الأماكن ، يثيرون الفتن ، ويحركون الدسائس ، ويسعرون نار الحرب بين هاتين القبيلتين لتبيدهما أو تضعفهما ، وبذلك تبقى لهم شوكتهم وقوتهم حتى يظهر النبى « الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم » ، وكانوا يرجون أن يكون هذا النبى منهم ، فإذا ظهر وجدهم على أتم الأهبة والاستعداد لإقامة الملك الذى يحلمون به ، والدولة التى يتطلعون إلى قيامها ، وبذلك وبعد ذلك ينطلقون إلى الشمال والجنوب والشرق والغرب ، وينتقمون من أعدائهم الذين شردوهم وطاردوهم ، وكانوا لا يخفون عن أهل الكفر هذا الأمر إذا قامت بينهم ملاحاة وشعروا أمامهم بذلة الضعف أو الهزيمة ، بل كانوا يتعللون بأنه سيكون لهم عليهم الفتح والنصر كما يفهم من قوله تعالى : « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به » .

وكان كفرهم به استجابة للنزعة العنصرية المنحرفة التى عرفوا بها منذ عرفتهم الدنيا حتى الآن ، والتى دفعتهم إلى التحريف والتزييف فى التوراة ، فهم فيما يزعمون شعب الله المختار ، وهم فيما يزعمون « أبناء الله وأحباؤه » ، وهم مهما فجروا وغدروا يقولون « لن تمسنا النار إلا أياما معدودات » ، وعلى هذا الأساس الذى صنعه الوهم الكاذب لا يؤمنون

إلا بما أنزل عليهم ، فكيف يؤمنون بمحمد وهو عربي من ذؤابة العرب. وكيف يؤمنون بالقرآن وهو بلسان عربي وقد أنزل على إنسان عربي ... ؟ إنه لا يعنيهم أن تكون صفات هذا النبي مطابقة لما عندهم من حقائق صفاته في التوراة ، ولا يعنيهم أن يكون الكتاب الذي أنزل عليه « مصدقا لما بين يديه » من التوراة والإنجيل ، إنما يعنيهم أن يكونوا هم دون غيرهم المصطفين الأخيار ، وأن تكون لهم دون غيرهم القيادة والسيادة على الناس لأنهم شعب الله المختار ، « وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله ، قالوا نؤمن بما أنزل علينا ، ويكفرون بما وراءه ، وهو الحق مصدقا لما معهم » .

ومن ثم شعروا بخيبة أمل مرة حين ظهر أن النبي ليس منهم ، وزاد شعورهم بالمرارة والخيبة حين رأوا العرب في المدينة يخفون إلى لقائه ويفرحون بمقدمه ، ويلتفون حوله ، ولكنهم كتموا - على الرغم منهم - هذا الشعور وأخفوه تحت ستار الملاينة والمداهنة ، وانتظروا يتربصون بالنبي وبالذين آمنوا به دائرة السوء .

وكان طبيعيا أن يطمع النبي في إسلامهم ؛ لأنهم أهل كتاب ، ولأن إيمانهم بكتابهم يقتضيهم أن يؤمنوا بما في الكتاب الذي جاء به لأنه مصدق لكتابهم ومطابق له في جملة ما اشتمل عليه من عقائد وقواعد ، ثم لأنهم على أي حال أقرب إليه من أولئك الذين يعبدون من دون الله ما لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر .

ورأى النبي صلى الله عليه وسلم — لأنه رسول السلام والإسلام — أن يعقد محالفة بين جميع سكان المدينة تجمعهم على الدفاع عنها والتضامن في حماية الأرواح والأموال فيها ، فكتب بهذه المحالفة صحيفة نص فيها على أن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم وأن جميع سكان المدينة متضامنون في حماية الناس وصيانة أرواحهم وأموالهم ، وأنهم جميعا جبهة واحدة ضد من يعتدي عليهم ، وأنهم لا يصح لأحدهم أن يطعن الآخر بعقد صلح منفرد دون رغبته وعلمه ، وأن المدينة دار أمان للجميع إلا من ظلم وأثم ... إلخ .

ولكن ، متى كان اليهود أوفياء بالعهود وهم كما يقول الله فيهم : « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض » .

لقد نشط المهاجرون المكيون في التجارة وأصبحوا ينافسونهم فيها حتى أوشكوا أن ينتزعوا منهم السيادة الاقتصادية ، فكيف يصبر هؤلاء على ذلك والمال عندهم هو الإله المطاع ...

وقد كف المسلمون عن التعامل بالربا فانقطع عنهم مورد الكسب الحرام وأكل أموال الناس بالباطل . وهم الذين لم ينتهوا

عنه ، ولم يسمعوا قول الله فيه : « وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل » . « لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون »

وقد كان المسلمون يصلون إلى بيت المقدس فإذا هم يتحولون إلى المسجد الحرام ويولون وجوههم نحوه عملا بقول الله : « فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ، وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون » .

وكان هؤلاء يتربصون بالمسلمين دائرة السوء فى حرب تنسفهم نسفا أو تعصف بهم عصفا فإذا المسلمون يعودون من غزوة بدر منتصرين ظافرين سالمين غانمين .

هذه العوامل وغيرها كانت تنفخ فى نار الحقد والكراهية « ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم » فلم يستطيعوا الصبر على ما تتميز به قلوبهم من الغيظ . وكان ما يحكيه القرآن بقوله « قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر » .

مع بنى قينقاع :

وبدأ بنو قينقاع سلسلة من حوادث الاستفزاز والغدر وكانت أول حادثة تكفى لإشعال نار الحرب . لولا أن رأى النبى صلى الله عليه وسلم إنذارهم وتحذيرهم من عواقب استهتارهم بحرمات المسلمين . فقد كانت إحدى نساء الأنصار جالسة بسوق الصاغة فغافلها يهودى وعقد ذيل ثوبها بغطاء رأسها وهى لا تراه ، فلما قامت انكشفت سوءتها فصاحت تستغيث ، وأسرع رجل من المسلمين إلى اليهودى فقتله وقام جماعة من اليهود إلى المسلم فقتلوه .

ولما بلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم دعا رؤساءهم وحذرهم من عواقب هذه الحوادث فاستخفوا بوعيده وتهديده وقالوا : (يا محمد : لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم ، والله لئن حاربتنا لتعلمن أننا نحن الناس) .

بذلك — وبغير ذلك — لم يبق لهؤلاء أن يحتموا بظل المعاهدة وقد نقضوها وأعلنوا غيظهم من انتصار المسلمين على مشركى مكة فى غزوة بدر حتى لقد قال كعب ابن الأشرف — وكان من شعرائهم — حين سمع زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة يبشران أهل المدينة بالنصر : والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء لبطن الأرض خير من ظهرها ، ولما تيقن الخبر خرج إلى مكة يحرض على رسول الله ويبكى أصحاب القليب من قريش الذين قتلوا فى بدر .

ولم يبق أمام النبي وقد أعذر وأنذر ورأى منهم مع ذلك التمرد والتهديد بالحرب إلا أن يضعهم أمام أمرين : الجلاء عن المدينة لتظل ساكنة آمنة . أو الحرب التي لوحوا بها وصرحوا بأنهم الناس فيها ، ولهذا مضى بجموع المسلمين فحاصرهم في ديارهم خمسة عشر يوما حتى اضطروا إلى التسليم والجلاء عن المدينة إلى أذرعات على حدود الشام .

مع بني النضير:

وكان دور المسلمين مع يهود بني النضير كدورهم مع يهود بني قينقاع من حيث البداية والنهاية ، فقد ذهب صلى الله عليه وسلم إليهم يستعينهم في دفع دية قتيلين من حلفائهم : بني عامر . عدا عليهما عمرو بن أمية الضمري ليثأر أو ليدرك بعض الثأر لأربعين مسلما قتلوا غيلة بعد أن اطمأنوا إلى جوار بني عامر : قوم هذين الرجلين ، ولم يكن عمرو يعلم أن هذين الرجلين أخذا عهداً من النبي صلى الله عليه وسلم ، ومع هذا أبى النبي إلا أن يتحمل ديتهما ، ورأى أن يستعين بحلفائه بني النضير في دفع هذه الدية .

ولما ذهب إليهم قابلوه متظاهرين بالفرح والترحيب ، وسمعوا منه ما يريد منهم فقالوا : نعم يا أبا القاسم . نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه . ثم جلس عليه السلام إلى جوار جدار بيت من بيوتهم مطمئنا إلى ما سمع ورأى منهم ، فرأوا الفرصة سانحة للفتك به والتخلص منه ، وخلا بعضهم إلى بعض فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ، فمن رجل يعلو سطح هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه ، وأسرع واحد منهم فتطوع باقتراف هذه الجريمة ، وصعد البيت ليلقي على النبي الصخرة وهو بين أصحابه أبي بكر وعمر وعلي ، ولكن الله ـ وقد وعد نبيه بقوله : « والله يعصمك من الناس » ـ أوحى إليه بما يضمر هؤلاء من نية الغدر والمكر . فنهض عليه السلام وغادر المكان قبل أن يتم تدبير الشيطان .

وفهم أصحابه واليهود من حوله أنه ذهب لقضاء حاجة ثم يعود . . . ولكنه لم يعد . فلحق به أصحابه وعلموا منه في المدينة ما كان من نية الغدر وتدبير الشر ، وكان مالابد أن يكون.

فقد أمرهم النبي بالتهيؤ لحربهم ، ولما رآهم اليهود قادمين إليهم أسرعوا إلى حصونهم يتجمعون فيها ، ويعتصمون بها ، ثم رأوا رسول الله يضرب الحصار عليهم ويأمر بقطع نخيلهم وتحريقها ، فهزعوا وصاحوا يا محمد : قد كنت تنهى عن الفساد وتعيب على من صنعه . فما بال قطع النخيل وتحريقها؟. ووقع في بعض النفوس شيء من هذا الكلام ، ثم تبين أن هذا العمل لم يكن برأي النبي صلى الله عليه وسلم وإنما كان بإذن الله لحكمة خاصة بهؤلاء الذين عرفوا بشدة الحرص على

المال وحب الدنيا . فقد نزل فى ذلك قول الله : « ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين » .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد بعث إليهم - قبل أن يطبق الحصار عليهم - إنذاراً بالجلاء عن منطقة المدينة إلى حيث يشاءون فجزعوا وجزعوا . ولكن عبدالله بن أبى كبير المنافقين فى المدينة حرضهم على رفض الإنذار ، ووعدهم أن يعاونهم إذا اشتبكوا فى حرب مع المسلمين . ولهذا استأسدوا وتمردوا ، ورفضوا الإنذار حتى ضرب عليهم الحصار . ثم طال بهم انتظار المعونة من المنافقين فى المدينة دون جدوى ، فلم يجدوا بدا من التسليم والجلاء .

وكان صلى الله عليه وسلم عظيما كريما كشأنه فى كل مواقفه ، فأباح لهم أن يحملوا ما تستطيع إبلهم حمله من الأموال والأمتعة دون السلاح ، ثم تولى محمد بن مسلمة الأنصارى الإشراف على إخراجهم ، فحملت النساء والصبيان على الهوادج وعليهن الديباج والحرير والخز الأخضر والأحمر وحلى الذهب والفضة ، وحملت الأمتعة على ستمائة بعير .

وخرج بنو النضير فى ضجة الدفوف والمزامير متظاهرين بالفرح فنزل بعضهم فى خيبر ، وبعضهم تابع الرحيل إلى الشام ، وقد ظهر من القرائن التى سبقت جلاءهم وظهرت أثناء حصارهم وبعد رحيلهم أن مؤامرتهم على النبى لاغتياله لم تكن إلا سبباً واحداً من عدة أسباب تكون فى مجموعها خطراً على المدينة ، وعلى المسلمين يجب توقيه وتلافيه ، فقد أظهروا الفرح بهزيمة المسلمين فى غزوة أحد كما أظهر بنو قينقاع الغيظ بانتصارهم فى غزوة بدر ، وقد أكثروا من الكلام فى المسلمين والتهوين من أمرهم بعد هذه الغزوة التى مني فيها المسلمون بالهزيمة فى أول الأمر ، كما أكثر بنو قينقاع الكلام المغيظ المحنق فى المسلمين بعد انتصارهم فى غزوة بدر ، وقد ظهر تحالفهم مع المنافقين من أعداء المسلمين فى المدينة ، كما ظهر اتصال بنى قينقاع بالمشركين من أعداء المسلمين فى مكة ، وتحريضهم على قتالهم واستئصالهم .

هذا وكثير غيره ، مما يؤكد انتقاضهم على المعاهدة التى كتبت بها الصحيفة ميثاقا وثيقا بين جميع السكان فى المدينة وضواحيها .

وقد فضح الله أمر هؤلاء وأمر هذه الخيانة فقال جل شأنه : « ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب : لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبدا ، وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون . لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون » .

(البقية على صفحة ٨٧٩)

تارة أخرى فلقد أقسم الله فى كتابه العزيز بالتين والزيتون وطور سينين كما بان أحام آية على السلام . وفى المسجد الحرام آلاف متواضعة منه يحرم الله قتلها ويحميها وتجوب أسرابه زرافات ووحدانا فى أجواء المسجد الحرام شرقا وغربا وشمالا وجنوبا .

ومن ذلك يتبين لنا أن للسلام رموزا فى الإسلام منذ العصور الأولى وهذا يدل على مبلغ حرص المسلمين عليه وإيثارهم له ، وتمسكهم به ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا . فإذا ارتفعت عقيرة العالم اليوم بالسلام فليس هذا بجديد ولا بمستحدث ، وليس هذا بشىء تفتقت عنه عقول العلماء فى هذا العصر ، خدمة للبشرية ورعاية للإنسانية إنما هذا شىء متأصل فى الإسلام قد جرى فيه مجرى الدماء فى العروق والروح فى الأجساد .

وإذا حرصت المنظمات الدولية على استتباب السلام ورعاية حقوق الإنسان فإن هذه الحقوق جاء بها الإسلام كذلك فقرر مساواة الجنس البشرى فى أصله ومنبته « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » .

كما حض الإسلام على الكرامة فقال عز وجل : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

وهكذا يستطيع من ينعم النظر فى كتابه العزيز أن يدرك أن تلك الحقوق الإنسانية التى جاءت بها المواثيق الدولية الحديثة من أجل المحافظة على حرية الفرد والسلام الدولى قد جاء بها من قبل كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

الدكتور جمال الدين السرطاوى

(بقية المنشور على صفحة ٨٦٦)

وقد حزن عبد الله بن أبى وحزن المنافقون معه لجلاء بنى النضير وإن لم يجدوا الجرأة على إظهار حزنهم . شأنهم فى ذلك شأن المنافقين فى كل عصر ودهر . وبذلك تطهرت المدينة فى الداخل بإخراج بنى قينقاع ، واستراحت من بعضهم فى الخارج وهم بنو النضير ، وبقى بنو قريظة على مقربة منها يتمتعون بأمن المعاهدة التى كتبت بها الصحيفة ولكن إلى حين .

فقد فعلوا مثل ما فعل بنو قينقاع وبنو النضير ، بل فعلوا ما هو أكبر وأكثر خيانة وجرما وظلما فى غزوة الأحزاب ، مما سنرى تفصيله فى عدد قادم إن شاء الله ، وما سنرى فيه صدق قوله تعالى « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » .

أراح الله العرب والمسلمين منهم .

عبد الرحيم فوده

النحو بين التجديد والتقليد

للأستاذ عبد الخالق عضيمة

— ٣ —

٨ — عبر سيبويه عن المبتدأ والخبر والفعل والفاعل بالمسند والمسند إليه فى الجزء الأول ص ٧ ونقل ذلك الأستاذ إبراهيم مصطفى فى إحياء النحو ثم كرر ذلك الدكتور شلبى ص ٨٤ .

والأستاذ براق ص ٥٤ ثم يقول باستعمال هذا المصطلح نكون قد جمعنا ثلاثة أبواب فى باب واحد وباعدنا بين تلاميذنا وبين أمور كانت تنبهم عليهم ولا يفهمون لها تعليلا والأستاذ عبد العليم إبراهيم المفتش الأول للغة العربية أسهم فى هذه الحملة بمحاضرتين ، وفى الحق أنه صاغهما صياغة أدبية بارعة والذى نأخذه عليه أنه أبعد فى الخيال جداً حيث يقول ص ٩٨ والاتجاه الجديد فوق ذلك يعفى التلميذ من ذلك القلق النفسى الذى يستحوذ عليه ويستبد به حينما تريده على أن يفهم أن هناك فرقا بين قتل اللص التاجر ، واللص قتل التاجر ، فى قتل اللص التاجر ، اللص فاعل فهو قاتل مجرم وإذن فاقبضوا عليه ، وخذوا على يديه ، وفى اللص قتل التاجر ، اللص مبتدأ وليس بفاعل، وإذن فهو برىء مظلوم فأطلقوا سراحه ، وابحثوا عن الفاعل الحقيق تجدوه مختفيا ومختبئا ومستتراً فى زاوية من زوايا الفعل ، هذا هو منطق النحاة فضعوا بجانبه منطق التلميذ ومنطق الفعل ثم انظروا الأمر بعد ذلك كيف يكون ؟ .

لا يفهم التلميذ أو غير التلميذ من اللص قتل التاجر ، إلا أن اللص مخبر عنه بقتل التاجر أو محكوم عليه بقتل التاجر .

سيبويه عبر فى مرة بالمسند والمسند إليه ولكنه لم يجمع الأبواب الثلاثة فى باب واحد .

وإذا بقيت لكل باب أحكامه الخاصة فما هى الثمرة التى نجنيها من وراء هذا الجمع .

لقد ذكر الأساتذة أحكام تأنيث الفعل مع الفاعل جوازاً ووجوبا وأحكام تقديم المبتدأ والخبر ومواضع ذلك . التحرير ١٠٧ ١٠٨ — ١٠٩ .

ولا شك أن الحديث عن حذف المبتدأ والخبر جوازاً ووجوبا ومواضع ذلك مما يخص باب الابتداء وحده .

وكيفية بناء الفعل المجهول مما يخص نائب الفاعل وحده ، وإذا سلمنا أنه لا فرق فى المعنى بين قتل اللص التاجر ، واللص قتل التاجر فهل نسلم بأنه لافرق بينهما فى الإسناد وبين قتل التاجر .

إن التلميذ المبتدئ يستشعر الفرق فيعود إليه ذلك القلق النفسى الذى تحدث عنه الأستاذ عبد العليم بسبب جمع هذه الأبواب الثلاثة فى باب واحد .

ولعل أطرف ماصادفنى فى الدفاع عن هذا التيسير ، ما ذكره الأستاذ برانق فى إعراب قوله: الطائر مقصوص جناحاه على أنه نموذج يحتذى فى الإعراب قال فى محاضرته ص ١٠٩ كلمة مقصوص فى الجملة الأولى مسند والمسند إليه جناحاه والمسند والمسند إليه (مقصوص جناحاه) مسند الى المسند إليه الأول الطائر .

لقد مثل علماء البلاغة لتنافر الكلمات بقول الشاعر :

وقبر حرب بمكان قفر

وليس قرب قبر حرب قبر

وقالوا إنه لا يتهيأ لأحد أن ينشده ثلاث مرات متواليات دون أن يتعتع .

وأنا أطلب من القارئ أن يردد إعراب الأستاذ برانق ثلاث مرات متواليات ثم يحكم على يسر هذا التجديد أو جفوته ، على أن يراعى أن الأستاذ برانق ترك إعراب الطائر .

فكان عليه أن يبدأ إعرابه بقوله : الطائر مسند إليه . وبذلك يتكرر لفظ مسند فى إعراب هذه الجملة سبع مرات ، وما رأى الأستاذ عبد العليم الذى أراد أن يفاضل بين الاتجاهين فقال ص ٩٧ — ٩٨ : الاتجاه الأول يقتضى أن تذكر فى تحليل هذه الجملة (محمد لعب) ثلاثا وعشرين كلمة معظمها مصطلحات جافة ، على حين أن الاتجاه الجديد لم يكلفنا إلا ست كلمات .

ولست أدرى أظل الأستاذ عبد العليم على رأيه هذا بعد أن سمع إعراب زميله فى محاضرته ، وعاين وقعه فى آذان المستمعين ، إن مثل هذا التكرار الممل مما لا يحسن أن نرمى به فى وجه الطالب الإعدادى ، ومن أين لنا الطالب الذى يستطيع ترديد هذا الإعراب .

قلت إن التعبير بالمسند والمسند إليه لا يناسب المبتدئ والتعبير بالفعل والفاعل والمبتدأ والخبر أوضح وأدل على المراد ، والأستاذ برانق يستدل على يسر هذا التجديد بطريقين :

الطريق الأول ظنى : وهو ما يتكلم به علماء التربية وما يعرضونه من نظريات .

الطريق الثانى قطعى : وهو التجربة نفسها ونتيجة التجربة .

وقد بدأت الوزارة بالسير على هذا المنهج

الميسر ، وقام على تدريسه المدرسون بعد ما وجهوا فنجحوا نجاحا كبيراً ١٢٠ - ١٢١ .

والأستاذ محمد رضوان ١٥٢ يقول : إن الطفل وهو فى سنواته الأولى يستخدم علاقة الإسناد فى حديثه حين يتكلم ، ويتفهمها حين يستمع إلى غيره من الناس ، ويدرك معناها فى حديثه واستماعه إدراكا سليما . وإذن فهذه العلاقة ليست جديدة عليه .

ويقول فى موضع آخر ١٤٨ : إن المنهج الجديد يتفق مع المبادئ التربوية والنفسانية ويستدل لذلك بنظرية نفسانية حديثة تسمى نظرية الجشتالت .

لقد عاب أساتذتنا على النحويين أنهم فلسفوا النحو فأفسدوه ، ثم يأتى الأستاذ فيتصيد نظرية الجشتالت ليدافع بها عن هذا التيسير المزعوم .

وسأكتفى بذكر هذه القصة - قال ابن السيد البطليوسى فى كتابه المسائل والأجوبة : جمعنى مجلس مع رجل من أهل الأدب فنازعنى فى مسألة من مسائل النحو ، وجعل يكثر من ذكر الموضوع والمحمول . ويورد الألفاظ المنطقية فقلت له : أنت تريد أن تدخل صناعة المنطق فى صناعة النحو ، وصناعة النحو تستعمل فيها مجازات ومسامحات لا يستعملها أهل المنطق : وقد قال أهل الفلسفة . يجب أن تحمل كل صناعة على القوانين المتعارفة بين أهلها ، وكانوا يرون أن إدخال بعض الصناعات فى بعض إنما يكون من جهل المتكلم ، أو لقصد المغالطة والاستراحة بالانتقال من صناعة إلى أخرى ، إذا ضاقت عليه طرق الكلام

الأشباه والنظائر ٣-٧٣ - ٧٤ مع التلخيص

٩ - رأى ابن مضاء أنه لا حاجة لتقدير الضمير المستتر فى الفعل أو فى الوصف ١٠٠ - ١٠٣ .

وتنادى بهذا الرأى جمهور أساتذتنا دون أن يشيروا إلى سبق ابن مضاء بهذا الرأى.

كما رأوا أن الضمائر المرفوعة المتصلة حروف لا أسماء . وقد نوه الأستاذ براتق بالمازنى الذى قال بهذا الرأى وهو أستاذ المبرد وأحد ثلاثة لم يكن مثلهم فى زمانهم .

ويهمنا الآن أن نبحث ماذا أفاد اختيار هذه الآراء تيسير النحو . النحويون قسموا الجملة إلى جملة فعلية وجملة اسمية .

وجاء الأساتذة فسلخوا من الجملة الفعلية الفعل الرافع ضميرا مستترا أو ضميرا متصلا ، فلم يجعلوه جملة فعلية ، وعلى هذا كانت أنواع الحال عندهم كما يأتى .

(١) فعل وحده . (٢) جملة فعلية . (٣) جملة اسمية . (٤) ظرف . (٥) جار ومجرور ، وكذلك الصلة والصفة والخبر .

(ينظر التحرير ٣٣ - ٣٤ - ١٣٩ - ١٦٧)

فزادوا نوعا جديداً فى كل باب من الأبواب السابقة .

والضمائر المتصلة مرفوعة كانت أو منصوبة أو مجرورة لها دلالة واحدة ، فإذا عرض للتلميذ أن يسأل :

لماذا جعلنا الضمائر المرفوعة المتصلة حروفا دون الضمائر المتصلة المنصوبة والمجرورة ؟ والحرفية والاسمية إنما مرجعهما إلى ما تدل عليه معنى الكلمه فماذا نجيبه ؟ .

وهل يتفق هـذا الاختيار مع ما قاله الأستاذ برانق .

إن الوزارة رأت أن لا تزحم المناهج باصطلاحات لا يجنون من وراثها فائدة .

وهل يتفق أيضاً مع ماقالوه : إنهم آثروا التعبير بالمسند والمسند إليه ليجمعوا الأبواب الثلاثة تحت باب واحد ، لأن معناها واحد لا يختلف .

١٠ — صادفت اللغة التى سماها النحويون بلغة أكلوهم البراغيث هوى فى نفوس أساتذتنا ، فقالوا : إن هذه اللغة يعززها القرآن فى قوله : « وأسروا النجوى الذين ظلموا » ، ثم عموا وصموا كثير منهم » ويعززها الحديث والشعر الأستاذ عبد العليم / ١٠٠ .

ويقول الأستاذ برانق ٦٨ : إن النحويين تعسفوا فى تأويل الآيتين ، ليخرجا عن هـذه اللغة .

سيبويه الذى نقل هذه اللغة قال عنها : وهى قليلة ١ - ٢٣٦ ، وذكر الأستاذ أبو الحسن ابن عصفور أنها لغة ضعيفة . البحر ٣-٥٣٤ .

لقد استشهد الأساتذة لهذه اللغة بالقرآن والحديث والشعر ، فهل جاءوا فى هـذا الاستشهاد بشواهد لم يذكرها النحويون ؟ كلا ما زادوا على أن رددوا ما ذكر فى كتب النحو المتداولة ، وقد ذكر ابن الشجرى فى أماليه شواهد كثيرة ، ثم أضاف إلى ذلك ما جاء على هذه اللغة من شعر أبى الطيب المتنبى ،

أمالى الشجرى ١ - ١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٤ .

قال النحويون : إن هذه اللغة قليلة وضعيفة فلا يحسن تخريج القرآن عليها ، ولا سيما مع وضوح التخريجات الأخرى ، فهل نسمى هذا تعسفا ؟ .

يقول الدكتور شلبى ٦١ : وأبرز هـذه المحاولات جميعا وأظهرها محاولة الأستاذ ابراهيم مصطفى ، إذ نعد فى رأيى الشعلة التى أنارت السبيل لكل من فكر فى محاولة جديدة لتيسير النحو . ومن هنا أود أن أعرض الخطوط العريضة لهذه المحاولة الكبرى . ومنهج الأستاذ فيها — منهج الأستاذ ابراهيم مصطفى .

١ — مراقبة ما ورد فى القرآن الكريم خاصا بالموضوع الذى يدرسه وعدم الاقتصار فى ذلك على قراءة حفص المشهورة .

٢ — استقراء الشواهد العربية من الشعر والنثر وكلام العرب . . إلخ .

لقد ارتضينا يا دكتور هذا المنهج ونريد أن نسير على ضوئه ونحتكم إلى قضائه .

تعالوا نستقصى ماوصل إلينا من قراءات للقرآن الكريم ثم ننظر حظ هذه اللغة من هذه القراءات. فإن كان نصيبها موفورا حكمنا آنئذ على النحويين بالتعسف وبما شئتم من الاحكام .

* * *

لقد يسر الله لى وأعانني على استقراء لكل ماوصلنا من قراءات للقرآن الكريم متواترها وشاذها وسواء ماورد منها فى كتب القراءات أم فى غيرها ، ونثرت ما جمعته على أبواب النحو والصرف، وسجلت ذلك فى ثلاثة مجلدات كبيرة سعة المجلد قرابة ألف صفحة .

وها أنذا أثبت جميع ما ورد محتملا لهذه اللغة فى القراءات المختلفة .

١ — وأسروا النجوى الذين ظلموا .

٢ — ثم عموا وصموا كثير منهم .

٣ — لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً .

جوز الزمخشرى أن تكون هذه الآية على هذه اللغة ورد عليه أبو حيان بردود كثيرة الكشاف ٢/٤٢٣ ، البحر المحيط ٦/٢١٧ .

٤ — قدأفلح المؤمنون قرأطلحة بن مصرف قد أفلحوا المؤمنون وهى من الشواذ ، شواذ ابن خالويه رقم ٩٧ الكشاف ٢/٤٢ البحر المحيط ٦/٣٩٥ .

هذا هو كل ما ورد من قراءات محتملة لهذه اللغة وتأويله على غيرها سائغ .

وأين هذا القدر الضئيل من الكثرة الطاغية فى الآيات الأخرى التى لا احتمال فيها لهذه اللغة ؟

فهل تنكب النحويون طريق الجادة بحملهم القليل على الكثير ؟ ولعل الأساتذة يذكرون قول سيدنا عمر لعبد الله بن مسعود : أقرئ الناس بلغة قريش فإن القرآن لم ينزل بلغة هذيل .

* * *

١١ — عرض الأستاذ برانق للتأليف فى النحو فقال رقم ٦٩ - ٧٠ : ألف الأعاجم فى النحو وأخضعوه للفلسفة والمنطق ، ثم قال كيف كان يعلم النحو — علم النحو أول ماعلم فى النصوص الأدبية التى كانت تدرس فى مجالس الأدباء وأماليهم كما فعل المبرد فى كتابه الكامل . وكما فعل أبو على القالى فى أماليه ، وكما فعل المرتضى فى أماليه أيضا ثم استقل بذاته وصار علما يلقنه المعلم لتلاميذه على أى نحو يراه .

* * *

لقد استقل النحو بذاته يا أستاذ قبل أن يؤلف المبرد كامله، فكتاب سيبويه كان يدرس قبل ذلك ، والمبرد نفسه ألف كتابه المقتضب وهو كتاب كبير فى النحو قبل أن يؤلف الكامل ، وجميع المسائل النحوية التى ذكرت

فى الكامل مذكورة فى المقتضب وإن اكتفى المبرد فى الإحالة على المقتضب بأحد عشر موضعا .

وكان يقول قد فسرنا هـذا على غاية الاستقصاء فى الكتاب المقتضب .

أما أبو على القالى فلم يعرض فى أماليه لشىء من مسائل النحو ، وإنما كان يهتم بشرح بعض الألفاظ اللغوية :

وكذلك أمالى السيد المرتضى ليس فيها شىء يذكر من النحو ، ومجالسه كانت تدور حول تفسير بعض الآيات ثم لا يهتم بالجانب النحوى .

وإذا أراد الأستاذ التمثيل بكتب الأمالى التى جمعت الأدب والنحو على غرار الكامل فليذكر أمالى ثعلب وهى المعروفة بمجالس ثعلب ، وأمالى ابن الشجرى ففيها نحو كثير ، ولقد فهرست مسائلها النحوية فشغلت ثلاثين صفحة . ومثل هذا الخطأ التاريخى خطأ آخر وقع فيه الاساتذة فى الجزء الثانى من النحو الإعدادى ص ٥٢ فقد نقلوا من رحلة ابن بطوطة ما يأتى : وصلت يوم الخميس التاسع من شهر رمضان المعظم عام ستة وعشرين وثلثمائة وألف إلى مدينة دمشق الشام ، هكذا كتب التاريخ بالحروف

ويا للدهشة ! ابن بطوطة الذى ولد عام ٧٠٣هـ يمتد عمره إلى أن يكون معاصرا لنا .

قلت ربما يكون هذا الخطأ قد وقع فى طباعة رحلة ابن بطوطة ونقله أساتذتنا دون أن يصوبوه .

ورجعت إلى الرحلة أستوضحها الأمر فوجدت النص فى الرحلة هكذا .

وصلت يوم الخميس التاسع من شهر رمضان عام ستة وعشرين إلى مدينة دمشق الشام — ١/٥٠ الطبعة الأولى ثم قلت قد يكون الخطأ فى مهذب الرحلة الذى ، طبعته الوزارة بتحقيق المرحومين العوارى وجاد المولى ولكن لم أجد فيه هذا الخطأ ـ مهذب الرحلة ٦٨ .

ولو رجع أساتذتنا إلى الوراء قليلا لوجدوا أن ابن بطوطة قال خرجت من طنجة مسقط رأسى فى يوم الخميس الثانى من شهر الله رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعمائة ثم أخذ يتابع رحلته ، ويؤرخ لها فقد أظله عيد الفطر فى تونس ، وعيد الأضحى فى طريقه إلى طرابلس أواخر شهر المحرم من عام ستة وعشرين . . ، فزيف أساتذتنا التاريخ بهذه الزيادة .

وهل نقول : إن هذا تيسير فى التاريخ كما كان ذلك تيسيرا فى النحو .

كتاب تقرره الوزارة فى مدارسها ويحمل أسماء سبعة من كبار الأستاذة ، يتقدمهم الأستاذان : إبراهيم مصطفى ومحمد برانق ثم يقع فيه مثل هذا الخطأ المشين وليتهم اقتصروا على نص ما فى الرحلة فلم يزيدوا فى نصوص

المؤلف هذه الزيادة التي نقلته من القرن الثامن إلى القرن الرابع عشر .

١٢ — تحرير النحو العربي كان ثمرة جهود ثمانية من كبار الأساتذة وقصدوا إلى أن يكون مرجعا قريبا للعلم يجمع تلخيص قواعد النحو ويشمل ما أقر من اقتراحات الإصلاح والتيسير .

وليس في الكتاب من جديد سوى التعبير بالمسند والمسند إليه وحرفية ضمائر الرفع .

وليس فيه من جهد يذكر ، فقد ذكروا القواعد كما ذكرت في كتب النحو ومثلوا لها بأمثلة النحويين .

وهذه بعض ملحوظات على الكتاب :

في المواضع التي يقترن فيها جواب الشرط بالفاء ، قالوا ص ٩٧ : أو فعلا ماضيا منفيا بما ، أو فعلا مضارعا منفيا بلن ، فيوحي كلامهم بأحد أمرين .

(ا) أن ما النافية لا تدخل على المضارع كما أن لن لا تدخل على الماضي

(ب) ما النافيه تدخل على المضارع ، ولكن المضارع المنفي بها لا يقترن بالفاء إن وقع جوابا للشرط .

وكلا الاحتمالين باطل ، فما النافية تدخل على الماضي وعلى المضارع ، ويجب معها اقتران الجواب بالفاء وقد صرح بذلك الرضي في شرح الكافية ص ١٤٥ وغيره .

وقد يكون مبعث هذا الوهم أن التوضيح لابن هشام اقتصر في التمثيل على الماضي المنفي بما ، وكذلك فعل الأشموني ، أما ابن عقيل فقد اقتصر في التمثيل على المضارع المنفي بما

ونظير هذه المسألة ما ذكره الأساتذة في الجزء الثاني من النحو الإعدادي ص ٥٤ - ٥٥ فقد قالوا :

يكون الفعل معتلا إذا كان في آخره أو وسطه حرف من أحرف العلة ، وهي الألف والواو والياء — وقالوا :

إذا تأملت في كل منها لم تجد حرف العلة في آخره أو في وسطه ، ولذلك تسمى هذه الأفعال أفعالا صحيحة .

فالمعتل عند الأساتذة ، ما كان في وسطه أو في آخره حرف علة ، أما ما كان في أوله حرف علة نحو وعد ويئس فلا يسمى معتلا في اصطلاح الأساتذة ، وهذا لون آخر من ألوان التجديد . ولو قالوا كما قال النحويون المعتل ما في أصوله حرف علة ، والصحيح ما ليس كذلك لأوجزوا وأوضحوا .

مثلوا للممدود وجمعه في التحرير ص ٢٢ بحدأة وحدآت ، ولم يقل أحد بأن نحو حدأة من الممدود لأن الممدود ما آخره همزة قبلها ألف زائدة . وقد ظل الممدود بعيدا عن منطقة التجديد كما يعلم ذلك من الرجوع إلى النحو المنهجي ص ٨٤ .

وياسبحان الله ! أيكون التعبير بالفعل والفاعل والمبتدأ والخبر وإسمية ضمائر الرفع قيودا وأصفادا وسلاسل وأغلالا . ويظل النحو راسفا فى قيوده مكبلا بأغلاله حتى يأتى أساتذتنا فيفكوه من إساره ويطلقوه من عقاله بتأليفهم كتاب تحرير النحو العربى.

١٣ ـ كتاب الاتجاهات الحديثة : مجموعة محاضرات ألقاها كبار المفتشين فى مؤتمر جمع مفتشى اللغة العربية .

والناظر فى هذا الكتاب تطالعه فيه كلمة الأبحاث فى مواضع كثيرة منه فى أول صفحة وفى آخر صفحة وفى ثناياه .

تكررت فى محاضرة الدكتور محمود خاطر أربع مرات . وجاءت فى محاضرة الدكتور شلبى، والأستاذ عبد العليم ، وفى مقدمة الكتاب وفى توصيات المؤتمر .

ونسمع كلمة الأبحاث تصدر عن السادة الأطباء وغيرهم فنقبلها منهم . أما أن تتكرر فى محاضرات كبار المفتشين ، وتلقى فى جموعهم من غير أن ينكرها منكر فذلك فالا نرضاه لأساتذة تخصصوا فى اللغة العربية ويقومون على حمايتها وحراستها .

وفعل الصحيح العين لا يجمع على أفعال وقد يرد السماع فى بعض ألفاظ ، وليس من بينها بحث وأبحاث ، ففى لسان العرب جمع البحث على بحوث وفى كتاب سيبويه ٢/١٧٦ : واعلم أنه قد يجىء فى فعل أفعال مكان أفعل، وليس ذلك بالباب فى كلام العرب ، وفى المقتضب للمبرد ١٧٦ : فأما ماجاء من فعل على أفعال فمشبه بغيره خارج عن بابه .

ومثل هذا فى جميع كتب الصرف .

ولكم الله يا مدرسى الابتدائى والإعدادى فقد فرض عليكم ترديد هذه الاصطلاحات ، وإن خفى عن المبتدئ معناها . وأشهد لقد عجزت (وأنا المتخصص فى النحو منذ ربع قرن) عن أن أجعل هذه المصطلحات تأخذ طريقها إلى عقل ابنى ووعيه .

ويبدو لى أن كبار المفتشين يرون أن لهم أن يقولوا وعلى غيرهم أن يسمع ويطيع ، ثم على دار المعارف أن تنشر .

وعلى مؤسسة المطبوعات الحديثة (الوجه الآخر لدار المعارف) أن تلتزم التوزيع .

وبرغمى أن أتمثل بقول المرحوم الشيخ عبد الله عفيفى :

قالوا الجديد فقلنا ما جديدكم
وما حوى من جديد الرأى والفكر
دعوى تطول وأهام موهة
ومنطق كجديد الشيب فى الطرر

وقيل : هاتوا الجديد الحر فابتدروا
شتا من القول إن تنفخه ينكسر

ولست أنكر أن النحو فى حاجة إلى تيسير بل أرى أن النحو أحوج العلوم إلى التيسير وسأبين فى كلمة مقبلة إن شاء الله كيف يكون تيسير النحو .

محمد عبد الخالق عضيمة

الإسلام والسلام

للدكتور جمال الدين الرمادى

كان الإسلام ولا يزال دين الأمن والسلام والسكينة والصفاء والمودة والإخاء، ولم يكن فى وقت من الأوقات دين حرب أو نزال أو مشاحنة وبغضاء، إنما كان يهدف أولا وقبل كل شئ إلى السلام بل إنه فى لفظه مشتق من مادة واحدة مع السلام.

وقد قامت دعوة بعض المستشرقين على أن الإسلام انتشر بحد السيف، ولكن الواقع أن الإسلام لم يكن فى وقت من الأوقات يستخدم السيف للتحكم فى رقاب الضعفاء أو التسلط على أعناق الأبرياء، إنما كان السيف وسيلة لتأمين الدعوة، ولكنه مع هذا أبان للمؤمنين عدم ضرورة القتال إذا لم يكن هناك ضرورة لذلك. قال تعالى: «فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم، وألقوا إليكم السلم، فما جعل الله لكم عليهم سبيلا».

كما قال تعالى فى سورة الأنفال: «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم».

وقد حضّ الإسلام على تأمين الدعوة والدفاع عنها ضد من يقف فى سبيلها حتى لا يخشى من يريد الدخول فى الإسلام الفتنة عن دينه، كما حدث عندما تمالأ أهل مكة مع غيرهم من العرب على قتال الرسول، بيد أنه لم ينصح بالاعتداء فقال عز وجل: «ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين».

فالإسلام إذن لم يسلك سبيل القتال إلا لهذه الأغراض، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث بعثا قال: «تألفوا الناس، وتأنوا بهم، ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم، فما على الأرض من أهل بيت، من مدر ولا وبر إلا أن تأتونى بهم مسلمين، أحب إلى من أن تأتونى بأبنائهم ونسائهم وتقتلوا رجالهم».

وقد عاهد سيف الله المسلول خالد بن الوليد أهل الحيرة على الصلح دون تعنت أو ظلم ودون استبداد أو بطش، ودون تحكم القوى فى الضعيف أو سيطرة المنصور على المخذول فجاء فى كتاب العهد: «هذا ما عاهد عليه خالد بن الوليد نقباء أهل الحيرة، ورضى بذلك أهل الحيرة وأمرهم به. عاهدهم على مائة وتسعين ألف درهم تقبل فى كل سنة جزاء على أيديهم فى الدنيا، رهبانهم وقسسهم إلا من كان منهم على غير ذى يد، حبيسا

عن الدنيا تاركا لها... وعلى المنعة وإن لم يمنعهم فلا شيء عليهم حتى يمنعهم » .

ولم يكتف بذلك بل قال : « وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات ... إن كان غنيا فافتقر ، وصار أهل دينه يتصدقون عليه ، طرحت جزيته ، وعيل من بيت المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام » ! .

ويذكر التاريخ أن المسلمين كانوا يعوضون الناس عند الضرر الذى يلحقهم خطأ من المسلمين . ومثال ذلك أن ذميا جاء إلى عمر ابن الخطاب فى أثناء فتوح الشام ، وشكا إليه أن بعض المسلمين قد قطعوا عنبا من كرومه دون إذن منه ، فخرج عمر من المعسكر فإذا به يرى مسلما خارجا من الكرم وقد حمل بعض العنب على ذراعه فصاح به فى غضب وحدة : « وأنت أيضا قد شرعت ترتكب مثل هذه الحماقات ؟ » فاعتذر الرجل بأنه لم يفعل ذلك إلا لاشتداد جوعه فأمر عمر بأن يعوض الرجل عما فقد من عنبه حتى أرضاه .

وعندما شرع عمر بن الخطاب ينظم إدارة العراق عقب فتحها استدعى زعماء البلاد غير المسلمين إلى المدينة ليستشيرهم ويستأنس آراءهم . وجاء فى المقريزى أنه كان يفعل ذلك فيما يتعلق بمصر فاستشار المقوقس عظيم القبط فى أمور شتى .

وعندما فتح عمر بن الخطاب الشام صالح أهل « إيلياء » وأمنهم أهلها على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وأعطاهم عهدا بذلك وهو المعروف بالعهدة العمرية وقد أوردها محمد بن جرير الطبرى فى تاريخه وهذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبد الله : عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها : أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صلبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود ...

« وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيوتهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم ، وعلى بيوتهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها من أهل الأرض — فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية

ومن شاء سار مع الروم . ومن شاء رجع إلى أهله ـ وأنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم . وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية » .

وقد كتب هذا العهد في العام الخامس عشر للهجرة وشهد عليه : خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان .

وهكذا كان الإسلام دين مودة وإخاء لا دين عنف واستبداد ، وإذا كانت الأمم الحديثة قد شرعت بعض القوانين الدولية والمواثيق السياسية في القرن التاسع عشر أو القرن العشرين فإن الإسلام قد شرع هذه القوانين قبل هذه الدول بقرون طويلة ومن ذلك ما جاء في صدد إعلان الحرب إذ أن الدول كانت تتحرش بجيرانها على حين غرة ودون سابق إنذار ، فتطلق المدافع وتهوي القنابل على السكان الآمنين وهم يزاولون أعمالهم اليومية فلا يستطيعون حماية أنفسهم وأهلهم ، إنما يصبحون مذهولين محطمين إزاء هذا الخطر الداهم ، تلك الفاجعة الكبرى التي حلت بغتة بساحتهم فأذاقتهم هولا يشيب منه الولدان .

تنبهت الدول إلى هذه الناحية في مستهل القرن العشرين فعقدت في لاهاي في هولندا عام ١٩٠٧ مؤتمراً لهذا الغرض قرر ألا تبدأ الأعمال الحربية إلا بعد إخطار سابق لا لبس فيه ، يكون إما في صورة إعلان حرب مسبب أو في صورة إنذار نهائي يذكر فيه اعتبار الحرب قائمة بين الطرفين . هذا إذا لم تجب الدولة الموجه إليها الإنذار طلبات الدولة التي توجهها .

وهذا القرار الذي أصدره مؤتمر لاهاي في أوائل القرن العشرين جاء في القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان فقال تعالى : « وإما تخافن من قوم خيانة ، فانبذ إليهم على سواء : إن الله لا يحب الخائنين » .

وأوجب الإسلام احترام العهود والمواثيق وتنفيذها بدقة وأمانة حتى مع الوثنيين : « إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين » .

ولقد كان فريق من أهل الكتاب يوفون بعهودهم إلى أهل ملتهم ولكنهم لا يرون الوفاء واجبا بعهودهم مع المسلمين : « يقولون ليس علينا في الأميين سبيل » . فجاء القرآن الكريم ناعيا عليهم هذا التفريق مبينا أن الوفاء بالعهد واجب إنساني كبير فقال تعالى : « بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين » .

وإذا أقيمت المنظمات الدولية من أجل السلام فقامت عصبة الأمم على أثر انتهاء الحرب العالمية الأولى ثم انتهى أمرها بالفشل ثم أقيمت الأمم المتحدة عقب الحرب العالمية الثانية وانعقاد مؤتمر يالتا ومؤتمر سان فرانسيسكو وقامت هذه المنظمات تدافع عن السلام حتى نصت فى مواثيقها عليه . وكما جاء فى ديباجة ميثاق الأمم المتحدة ، فإن الإسلام دعا إلى السلام قبل ذلك وإلى التعاون والتعارف فجاء فى كتابه العزيز « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » كما ناشد القرآن الكريم المسلمين إحسان معاشرة غيرهم من أهل الأديان والمذاهب إلا فى حالة العدوان وفى القرآن الكريم : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على إخراجكم ، أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

وقد جعل الله السلام حالة من حالات النعيم فى الجنة فقال تعالى فى سورة الواقعة : « لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيما . إلا قيلا سلاما سلاما » وقال فى سورة ق : « ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود » وقال فى سورة الأحزاب : « تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجراً كريما » . بل إنه جعل السلام اسما من أسمائه عز وجل فقال فى سورة الحشر : « هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام » كما دعا بالسلام على الأنبياء والمرسلين فدعا بالسلام على نوح وعلى ابراهيم وعلى موسى وهارون وعلى آل ياسين وعلى المرسلين .

وهذا يدل دلالة قاطعة على أن السلام دائما هو جوهر من جواهر الإسلام وهو الذى أصبح اليوم هدفا من أهداف الدول المتمدينة ومن أجله تشرع القوانين وتوقع المواثيق وتؤلف المجالس وتعقد الجلسات فى الأمم المتحدة مرة . ومجلس الأمن مرة أخرى ومحكمة العدل الدولية إذا حزب الأمر بين الطرفين .

والمعروف أن هذه المنظمات جميعا تهدف إلى السلام وقد تكون مجلس الأمن وهو هيئة متفرعة من الأمم المتحدة بل أداة تضطلع بمسئولية المحافظة على السلم والأمن الدوليين والنظر فى تسوية المنازعات واتخاذ التدابير اللازمة لصيانة السلم إذا لم تجد الوسائل السلمية. والواقع أن هدفه الذى يرمى إليه إنما هو هدف الإسلام الأول الذى يرنو إلى السلام ويصبو إليه . زد على ذلك أنه يختلف عنه فى تحكم الدول الكبرى فى الدول الصغرى .

والإسلام من هذا براء ، وإذا رمز الغربيون إلى السلام بفرع الزيتون تارة وبالحمام

تارة أخرى فلقد أقسم الله فى كتابه العزيز بالتين والزيتون وطور سينين كما بان أحام آية على السلام . وفى المسجد الحرام آلاف متواضعة منه يحرم الله قتلها ويحميها وتجوب أسرابه زرافات ووحدانا فى أجواء المسجد الحرام شرقا وغربا وشمالا وجنوبا .

ومن ذلك يتبين لنا أن للسلام رموزا فى الإسلام منذ العصور الأولى وهذا يدل على مبلغ حرص المسلمين عليه وإيثارهم له ، وتمسكهم به ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا . فإذا ارتفعت عقيرة العالم اليوم بالسلام فليس هذا بجديد ولا بمستحدث ، وليس هذا بشىء تفتقت عنه عقول العلماء فى هذا العصر ، خدمة للبشرية ورعاية للإنسانية إنما هذا شىء متأصل فى الإسلام قد جرى فيه مجرى الدماء فى العروق والروح فى الأجساد .

وإذا حرصت المنظمات الدولية على استتباب السلام ورعاية حقوق الإنسان فإن هذه الحقوق جاء بها الإسلام كذلك فقرر مساواة الجنس البشرى فى أصله ومنبته « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » .

كما حض الإسلام على الكرامة فقال عز وجل : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

وهكذا يستطيع من ينعم النظر فى كتابه العزيز أن يدرك أن تلك الحقوق الإنسانية التى جاءت بها المواثيق الدولية الحديثة من أجل المحافظة على حرية الفرد والسلام الدولى قد جاء بها من قبل كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

الدكتور جمال الدين السرطاوى

(بقية المنشور على صفحة ٨٦٦)

وقد حزن عبد الله بن أبى وحزن المنافقون معه لجلاء بنى النضير وإن لم يجدوا الجرأة على إظهار حزنهم . شأنهم فى ذلك شأن المنافقين فى كل عصر ودهر . وبذلك تطهرت المدينة فى الداخل بإخراج بنى قينقاع ، واستراحت من بعضهم فى الخارج وهم بنو النضير ، وبقى بنو قريظة على مقربة منها يتمتعون بأمن المعاهدة التى كتبت بها الصحيفة ولكن إلى حين .

فقد فعلوا مثل ما فعل بنو قينقاع وبنو النضير ، بل فعلوا ما هو أكبر وأكثر خيانة وجرما وظلما فى غزوة الأحزاب ، مما سنرى تفصيله فى عدد قادم إن شاء الله ، وما سنرى فيه صدق قوله تعالى « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » .

أراح الله العرب والمسلمين منهم .

عبد الرحيم فوده

مكانة الإنسان في الإسلام

للأستاذ يوسف القرضاوي

كتاب باسم « حضارة الإسلام » المستشرق النمساوي الأصل ج . ا . فون جرو نيباوم... ترجمه الأستاذ عبد العزيز توفيق جاويد ضمن مشروع « الألف كتاب » الذي تشرف عليه « إدارة الثقافة العامة » بوزارة التربية والتعليم .

وفي الكتاب أخطاء كثيرة عن الإسلام في عقيدته وتشريعه وحضارته وتاريخه وهو ما لا يمكن أن يخلو منه مستشرق لا يؤمن بالإسلام دينا ، ولا بالقرآن وحيا ، ولا بمحمد رسولا ، فلابد أن يفسر هذا الدين وآثاره بما يلائم اعتقاده فيه .

وقد عقب الأستاذ المترجم على بعض هذه الأخطاء ، ولكنه أولا لم يستوعب وثانيا .. لم يوف التعقيب حقه .. وثالثا فصل التعقيب عن أصله ، وجعله في آخر الكتاب .

ولسنا في مقام النقد للكتاب كله الآن ، وإنما نكتفي بإيراد مثل من انحراف المؤلف عن السداد مما لم يعقب المترجم عليه :

قال في فصل (الإنسان الكامل) ص ٣٨٣ .

« والإسلام منذ بداءته لم يعترف للإنسان إلا بقليل من التقدير ، ويرجع القرآن إلى إقناعه بمهانة أصله الجسدي ، فيصف خلق الفرد وتكوينه تفصيلا :

« ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر » .

فليس للإنسان أي فخر في بداياته ؛ فهو ليس مكونا من مادة مهينة فحسب ؛ بل هو ضعيف عديم الحس ساعة ينحدر إلى هذه الحياة - ولا يحفظه في وجوده المحفوف بالخطر إلا إرادة الله .. وهو غرض لسهام الأمراض والآلام ، وهو يكابد الجوع والعطش شاء أم لم يشأ ، وهو يريد المعرفة ولكن الجهل نصيبه ، وهو يريد أن يتذكر ولكنه ينسى ، وإنه ليدبر ما يدبر من خطط الفكاك ولا يبلغ قط حد الاطمئنان على الحياة أو المركز ..

ويتأمل الفزالي أمره قائلا : « وما نهايته إلا الموت الذي يرده إلى خمود الحس المصاحب لبداياته والذي يعرضه للتجيف الكريه المنفر »

وإن أدنى تأمل فى مصادر الإسلام ليرد على المؤلف دعواه، أن للإسلام لم يعترف للإنسان إلا بقليل من التقدير. ويدحض استدلاله الواهن على ما ادعاه.

وقد اعتمد المؤلف فى هذه النقطة - كما ذكر فى مراجعه - على كلمات ذكرها الإمام الغزالى فى كتاب «الكبر» من الإحياء.. ومثل هذه الكلمات التى ذكرها الغزالى لا تصلح معتمداً لتقرير مبدأ خطير يتعلق بمكانة الإنسان فى الإسلام؛ فهو إنما ذكرها فى بيان الطريق إلى معالجة الكبر، وفى مخاطبة المستكبرين، ولكل مقام مقال كما يقولون.

إنه يريد أن يذكر هذا المتكبر بأيام ضعفه يوم كان جنيناً فى بطن أمه، بل حين لم يكن شيئاً مذكوراً؛ ليعلم أنه لا قيام له بذاته، ولا استغناء له عن ربه «هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا. إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا. إنا هديناه السبيل، إما شاكراً وإما كفوراً».

قال الغزالى بعد ذكر هذه الآيات (١): ومعناه أنه أحياه بعد أن كان جماداً ميتاً: ترابا أولا، ونطفة ثانياً، وأسمعه بعد ما كان أصم، وبصره بعد ما كان فاقداً للبصر، وقواه بعد الضعف، وعلمه بعد الجهل، وخلق له الأعضاء بما فيها من المنافع والآيات بعد الفقد لها، وأغناه بعد الفقر، وأشبعه بعد الجوع، وكساه بعد العرى، وهداه بعد الضلال. فانظر كيف دبره وصيره وإلى السبيل كيف يسره. وإلى طغيان الإنسان ما أكفره، وإلى جهل الإنسان كيف أظهره فقال:

«أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين»، «ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون».

فانظر إلى نعمة الله عليه كيف نقله من تلك الذلة والقلة والخسة والقذارة (خسة التراب وقذارة النطفة) إلى هذه الرفعة والكرامة فصار موجوداً بعد العدم، وحيا بعد الموت، وناطقا بعد البكم، وبصيراً بعد العمى، وقويا بعد الضعف. وعالما بعد الجهل، ومهديا بعد الضلال، وقادراً بعد العجز، وغنياً بعد الفقر. فكان فى ذاته «لاشيء» وأى شيء أخس من لاشيء. وأى قلة أقل من العدم المحض - ثم صار بالله شيئاً».

هذا ما ذكره الغزالى عن الإنسان فيما يقتضيه مقام معالجة الكبر والمتكبرين. وهو بالتأكيد ليس النتيجة التى انتهى المؤلف إليها.

ولو أنصف المؤلف لاستشهد بما ذكره الغزالى فى مناسبات شتى، بين فيها مكانة

(١) ص ٣٠٨ من كتاب الكبر ربع المهلكات - طبعة مصطفى البابى الحلبى سنة ١٣٤٦ هـ.

الإنسان فى الكون ، وقيمته عند الله وخصائصه الروحية العالية ، وحسبنا من ذلك ما ذكره فى كتاب « المحبة » من ربع « المنجيات » من إحيائه ، فهو بعد أن ذكر أن من أسباب المحبة المناسبة والمشاكلة ، لأن شبيه الشئ منجذب إليه ، والشكل إلى الشكل أميل ، قال : (١)

وهذا السبب أيضاً يقتضى حب الله تعالى لمناسبة باطنة ، لا ترجع إلى المشابهة فى الصور والأشكال ، بل إلى معان باطنة ، يجوز أن يذكر بعضها فى الكتب ، وبعضها لا يجوز أن يسطر .

فالذى يذكر : هو قرب العبد من ربه عز وجل فى الصفات التى أمر فيها بالاقتداء والتخلق بأخلاق الربوبية ، حتى قيل : تخلقوا بأخلاق الله ، وذلك فى اكتساب محامد الصفات التى هى من الصفات الإلهية . . من العلم والبر والإحسان و اللطف وإفاضة الخير والرحمة على الخلق ، والنصيحة لهم ، وإرشادهم إلى الحق ، ومنعهم من الباطل ، إلى غير ذلك من مكارم الشريعة ، فكل ذلك يقرب إلى الله تعالى ، لا بمعنى طلب القرب بالمكان بل بالصفات .

وأما ما لا يجوز أن يسطر فى الكتب - من المناسبة الخاصة التى اختص بها الآدمى - فهى التى يومئ إليها قوله تعالى : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » ، إذ بين أنه أمر ربانى خارج عن حد عقول الخلق .

وأوضح من ذلك قوله تعالى : « فإذا سويته ونفخت فيه من روحى » ولذلك أسجد له ملائكته .

ويشير إليه قوله تعالى : « إنا جعلناك خليفة فى الأرض » ، إذ لم يستحق آدم خلافة الله تعالى إلا بتلك المناسبة .

وإليه يرمز قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله خلق آدم على صورته » حتى ظن القاصرون أن لا صورة إلا الصورة الظاهرة المدركة بالحواس ، فشبهوا وجسموا وصوروا - تعالى الله رب العالمين عما يقول الجاهلون علواً كبيراً - .

وإليه الإشارة بقوله تعالى لموسى عليه السلام . مرضت فلم تعدنى ، فقال : يارب ، وكيف ذلك ؟ ! قال : مرض عبدى فلان فلم تعده ، ولو عدته وجدتنى عنده .

وهذه المناسبة لا تظهر إلا بالمواظبة على النوافل بعد إحكام الفرائض ، كما قال الله تعالى - يعنى فى الحديث القدسى - : « لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به . وبصره الذى يبصر به ... إلخ » .

* * *

(١) ص ٢٦٣ من كتاب المحبة ربع المنجيات .

إن الآية التى استدل بها المستشرق - والتى بينت أطوار خلق الإنسان من نطفة فعلقة فمضغة إلخ - لاتهدف إلى إقناع الإنسان بمهانة أصله الجسدى - كما يقول - وإنما تهدف هى وما يماثلها من آيات إلى الرد على قوم أنكروا الآخرة والبعث بعد الموت ، واستبعدوا أن يحيا الإنسان بعد مارم وبلى ، فجاءت هذه الآيات تلفت أنظار منكرى النشأة الأخرى إلى النشأة الأولى ، وتنبه العقول الغافية إلى قدرة الله الكبير الذى خلق الإنسان من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ، ولنقرأ قوله تعالى : « ويقول الإنسان : أئذا ما مامت لسوف أخرج حيا ؟ أو لايذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا ؟! » . « أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال : من يحيى العظام وهى رميم ؟ . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » .

فهل يفهم منصف من سياق هذه الآيات تحقير الإنسان ؟ وأن الإسلام لايعترف له إلا بقليل من التقدير ؟.

لقد عنى القرآن بالحديث عن الإنسان فى عشرات من آياته ، وعشرات من سوره ، وحسبنا أن أول فوج من آيات الوحى الإلهى استقبله قلب رسول الله - وهى خمس آيات - لم تغفل شأن الإنسان ، وعلاقته بربه : علاقة الخلق والإيجاد ، وعلاقة التعليم والهداية ، واختارت الآيات لفظ « الرب » لما يشعر به من التربية والرعاية والترقيه فى مدارج الكمال : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم » .

بين القرآن فى كثير من آياته علاقة الإنسان بالله ، وهى علاقة القرب القريب ، الذى حطم أسطورة الوسطاء والسماسرة المرتزقين بالأديان « ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » ، « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب » ، « فأينما تولوا فثم وجه الله » ، « وهو معكم أينما كنتم » .

وبين القرآن مكانة الإنسان عند العوالم الروحية العلوية ، وهى مكانة اشرأبت إليها أعناق الملائكة ، وتطاولت إليها نفوسهم فما بلغوها : مكانة خليفة الله فى الأرض « قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ، ونقدس لك ؟ قال : إنى أعلم ما لا تعلمون » : مكانة من علمه الله الأسماء كلها ، وأمر ملائكته بالسجود له تحية وإجلالا « إذ قال ربك للملائكة : إنى خالق بشرا من طين . فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس » .

وكانت عاقبة عدو الإنسان الذى تمرد على أمر ربه بتحيته والسجود له هى اللعنة والطرد الأبدى ، قال : اخرج منها فإنك رجيم. وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين » .

وبين القرآن مركز الإنسان فى هذا الكون المادى العريض ، وهو مركز السيد المتصرف. الذى سخر له ما فى السموات وما فى الأرض جميعا ، الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره . وسخر لكم الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار ، وآتاكم من كل ما سألتموه » .

وما الذى بوأ الإنسان هذه المكانة فى الكون - على ما فيه من أجرام ضخام - ؟ إنه استعداده لحمل الأمانة الكبرى : المسئولية . . التكليف

تلك المسئولية التى صورها القرآن تصويراً أدبياً رائعا فقال : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان » تلك المسئولية التى جعلت مصير كل إنسان بيده إما إلى جنة وإما إلى نار « بل الإنسان على نفسه بصيرة » . « من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها » .

ذلك بعض ما ذكره القرآن عن مكانة الإنسان ، وإن فيه لغناء لمن أراد الإنصاف ، وحسب الإنسان شرفا هذان النداءان المباشران من الله إليه بعنوان الإنسانية : « يأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك » ، « يأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه » .

يوسف القرضاوى

مثل كريم

كان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، ينظر ليلا فى شئون الرعية فى ضوء سراج ، فجاء غلامه يحدثه فى شأن من شئون بيته ، فقال له عمر : أطفئ السراج ثم حدثنى ، لأن هذا الدهن من بيت مال المسلمين ، ولا يجوز استعماله إلا فى مصالحهم .

شريعة الله الخالدة

للأستاذ ابراهيم عبد الباقي

نظرة فى عالمنا الحاضر تريك نظرة الشريعة الإسلامية وما أبعدها من نظرة ؟ وحكمتها وما أبلغها من حكمة ؟ ، ترى الشريعة الإسلامية إعدام القاتل ، ويجوز العفو عنه والدية .

أما شريعة اليهود فلا تجيز العفو ، وشريعة النصارى لا تجيز القتل . فشريعة الإسلام وسط بين الاثنتين ، كما أنها ليست جسدية بحتة ولا روحية محضة ، وقديما قيل : خير الأمور الوسط ـ هذا ولقد جنح بعض المشرعين الغربيين إلى استبدال عقوبة القتل بعقوبة أخرى محبذين رأيهم بأن إعدام القاتل أثر من آثار الوحشية وخسارة على الأمة ، هذه حجتهم ولكن التجارب فندت مزاعمهم وردتهم على أعقابهم خاسرين ؛ إذ أن الوحشية إنما هى فى هذا القاتل الذى استباح دم أخ لأمرما ، ومن استباح دم نفس واحدة سهل عليه غيرها . قال سبحانه : « من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً » .

أما أنه خسارة على الأمة فمنطق معكوس ، وحكم باطل تحيله بداهة العقل ، ويبطله الواقع المحس ، فإن إبقاء القاتل لا يطفئ نيران العداوة ويبقى الأخذ بالثأر أبد الآبدين حتى تفنى عائلات . والموتور لا ينام عن وتر ، وضعيف اليوم ربما يكون قويا فى الغد .

وإن من محاسن هذه الشريعة الإسلامية أنها لا تخالف طبيعة الإنسان ولا تصادم أية مصلحة اجتماعية أو فردية ولا تناوئ التطور ولا تخاصمه ، بل تتمشى معه وتسايره ، ولقد تعاقبت عليها دهور قامت فيها حضارات ومحيت . وسعدت شعوب وشقيت ، وأبرمت قوانين ونقضت ، ولا تزال تتجلى فى جلباب العظمة والرفعة ، وتتراءى فى مظهر القوة والمنعة ، فيها لكل حادثة حكم ولكل ضلة هداية ولكل ظرف تقدير ، وإن النظريات العلمية والآراء الفلسفية لا يمضى عليها إلا قليل من الزمن حتى تأذن الأيام ببطلانها ، وتأتى على عكسها ، خلا الشريعة الإسلامية فلا تزال تتحدى الزمن . وتغالب الأيام فمحال أن يصيبها شلل أو تدركها الشيخوخة ، ما دام

فيها عنصر المرونة التي تنطبق على كل جيل وقبيل ؛ لأن الزمان متجدد لا يقف ، وهل الشريعة إلا هداية روحية ، وسياسة اجتماعية ومدنية .

أما الهداية الروحية فمبناها على العبادات التي فيها غذاء النفوس وإصلاح القلوب وإيقاظ الضمير وإخراج الناس من ذل العبودية إلا لله وحده ، يرجون رحمته ويخافون عذابه فلكل عبادة من العبادات الصحيحة أثر في تقويم الأخلاق وتهذيب النفوس متى أقيمت على وجهها الصحيح ، كما أن الأصل في العبادة البطلان حتى يقوم دليل على الأمر ، إذ لا حرام إلا ما حرم الله ولا واجب إلا ما أوجبه الله ، ولا مندوب إلا ما ندبه الله ، ولا مكروه إلا ما كره الله ، ولا دين إلا ما شرعه الله — أما الأصل في العقود والشروط فالصحة إلا ما أبطله الشرع أو نهى عنه ، وهذا هو القول الصحيح فإن الحكم ببطلانه حكم بالتحريم والتأثيم وهذا لا يكون إلا من الله تعالى. فكل شرط وعقد ومعاملة سكت عنها الشرع فإنه لا يجوز القول بتحريمها فإن سكت عنها فهذه رحمة منه من غير نسيان أو إهمال ، فعن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال[1]: «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدوداً فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها » فهذه رحمة منه سبحانه من غير نسيان وإهمال . ألا وإن مما خالف فيه الناس تعاليم نبيهم أنهم انصرفوا عن الكتاب والسنة وعبدوا الله بآراء علماء لا يسنون من الخطأ ، وحصروا الشريعة في المذاهب الأربعة ولو كان ذلك فيه مخالفة لصريح السنة وظواهر الكتاب. وأعجب من هذا وذاك أنهم أبطلوا الاجتهاد ولم يعلموا أن في ذلك إهدارا للعقل ووأدا للفكر وركودا للشريعة الخالدة ، وعدم صلاحيتها لكل زمن وجيل ، إنها لأحدى الكبر أن يحكم هؤلاء بإعدام العقل الذي هو هبة الله للإنسانية فيبطلون عنصر المرونة التي اختصت بها الشريعة الإسلامية . ومن أراد المزيد فليطلع على مقال قيم في هذا الموضوع كتبه الأستاذ محمود الشرقاوي سكرتير تحرير مجلة الأزهر (شوال سنة ١٣٧٩ هـ أبريل سنة ١٩٦٠ م) تحت عنوان « المذهبية والتقليد » .

أما السياسة الاجتماعية والمدنية فقد طبقها المسلمون في العصور الأولى للإسلام وساروا على منهجها فاستطاعوا أن يؤسسوا حضارة زاهية ويكونوا مجتمعا صالحا ويرفعوا الراية الإسلامية في الصحاري والقفار والبر والبحر ،

[1] للدارقطني في الأربعين النووية .

ويخاطبوا ملوك الأرض ، ويعبروا المحيطات ، ويشقوا الجبال ، ويتغلغلوا فى أحشاء أوروبا حتى دانت لهم الملوك وما كان ذلك إلا من قوة مبادئ الدين القويمة الرشيدة التى لم تكن مقتبسة من أحد ولا مما تعارفه البشر ، وإنما كانت من مشكاة الوحى الإلهى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

هذا وقد أجمع علماء الأمة سلفهم وخلفهم على أن أصول التشريع أربعة : الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والاجتهاد . أما القياس فيراه جمهرة العلماء وبعضهم يقيده والاجتهاد إنما يكون فى الأمور التى ليس فيها نص من الكتاب والسنة ولا إجماع الصحابة ، فالعلماء يجتهدون فى استنباط الأحكام من الكليات التى تناسب كل عصر وجيل ، وأما العوام فيجتهدون فيما يلقى إليهم فيختارون ما تطمئن إليه نفوسهم من الدليل ، أما التعصب المذهبى فليس من الدين فى شىء ، وهذا الاجتهاد لا يكون فى العبادات لأنها تمت أصلا وفرعا ، أما المعاملات فقد جاءت كلية لم تنص على الجزئيات ، وفوضت للعلماء أن يستخرجوا منها الأحكام التى تناسب تطور الزمان وارتقاء العمران ، واختلاف البيئة ، وفى ذلك يقول عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : « تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا » .

والأمثلة فى ذلك كثيرة منها :

أنه كان غلمان لحاطب بن أبى بلتعة سرقوا ناقة لرجل من مزينة فأتى بهم عمر فأقروا فأرسل إلى عبد الرحمن بن حاطب فجاء فقال له إن غلمان حاطب سرقوا ناقة رجل من مزينة وأقروا على أنفسهم فقال عمر : يا أبا كثير بن الصلت اذهب فاقطع أيديهم . فلما ولى بهم وهم ، ناداه عمر ثم قال : « والله لولا أنى أعلم أنكم تستعملونهم وتجيعونهم حتى إن أحدهم لو أكل ما حرم الله عليه حل له ، لقطعت أيديهم ، وأيمن الله إذا لم أفعل لأغرمنك غرامة توجعك » ثم قال : يا مزنى بكم أريدت منك ناقتك ؟ قال : بأربعمائة . قال عمر : اذهب فأعطه ثمانمائة . وذهب أحمد رضى الله عنه إلى موافقة عمر .

المثال الثانى [1] أن عبد الرحمن بن الحكم الأموى أحد ملوك الأندلس باشر إحدى نسائه فى رمضان ثم ندم على جريمته وجمع الفقهاء وسألهم عما يكفر به . فقال له يحيى ابن يحيى تلميذ الإمام مالك بن أنس وفقيه الأندلس فيما بعد : تكفر بصوم شهرين متتاليين ، فلما خرجوا قال له بعض الفقهاء لم لم تفته بمذهب مالك وهو التخيير بين العتق والصيام والإطعام ، فقال يحيى : لو فتحنا له هذا الباب لسهل عليه أن يباشر كل يوم ويعتق رقبة ، ولكن حملته على أصعب الأمور لئلا يعود .

[١] الاعتصام للشاطبى جـ ثان ص ٢٧٦ .

وأراني مضطرا إلى أن أبين أن السنة هي الدرجة الثانية من الكتاب ، وأن السنة العملية مقدمة على السنة القولية في عهد الرسول والصحابة . أما بعدهم فلا . وكان الإمام مالك رضي الله عنه يقدم عمل أهل المدينة على قول الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه يرى أنهم ثقة وعملهم من عمل الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولكن لما تأيدت دولة الحديث من بعده ظهر أن تلك أقوال الرسول تخالف مذهب الإمام مالك ؛ لأنه كان من تابعي التابعين . وقد مضى على عمل الرسول عليه السلام أكثر من قرن ، فهذه المدة الطويلة حدثت فيها أعمال مخالفة لأعمال الرسول صلى الله عليه وسلم مما لا يجعل عمل أهل المدينة حجة مطردة بل يكون حجة إذا وافق كلام الرسول صلى الله عليه وسلم - رحم الله الإمام وعلماء الدين وجزاهم خيرا عن الإسلام والمسلمين .

أما اجتهاد غير علماء الدين من أولي الأمر فإنما يكون في الأمور الإدارية والقضائية والحربية وكل ما يتعلق بسياسة الأمة وشئون الدولة ، وقد تركها الله تعالى للعقل البشري لأنه يستطيع أن يهتدي إليها بالتجارب والممارسة

وإجمال القول أن الشريعة الإسلامية قد أفرغ الله فيها جميع ما ينشده البشر من المتع المباحة واللذائذ المشروعة . وكل ما كان في دائرة الطيبات من غير إفراط ولا تفريط ، قال سبحانه[1] : « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » . ولم تقتصر على تنظيم العلاقات بين العبد وربه بل تجاوزته إلى تنظيم العلاقات بين الناس بعضهم ببعض بما شرعته من آداب وتشريع ، وقد وقفت من المعاملات موقف المصلح الاجتماعي والشارع القانوني فجعلت المعاملات المالية مبنية على قاعدتين : الأولى لا ضرر ولا ضرار ، والثانية دورانها على العرف في دائرة الطيبات : أحلت البيع والشراء والمضاربة والعارية والإجارة والشفعة والسلم والمزارعة وغير ذلك مما لا غبن فيه ولا حيف على أحد المتعاقدين ، وحرمت الربا والعقود الفاسدة لما فيها من الأضرار الجسيمة أو كان ضررها أقرب من نفعها . كذلك نظمت القوانين الجنائية والمعاهدات الحربية تنظيما لم تسبقه شريعة من الشرائع السماوية ولا الوضعية . شهد بذلك كثير من الأجانب المستشرقين . « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون »[2].

ابراهيم عبد الباقي

[1] سورة الاعراف رقم ٣٢ .
[2] سورة البقرة رقم ١٣٨ .

الخدمات الاجتماعية لطلاب العلم في الإسلام

للأستاذ حسن عبد العزيز نصر

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

أما في الشام فقد وصف أبو البقاء البدري صالحية دمشق وما فيها من المعاهد العلمية فقال : ومن محاسن الشام الصالحية ، مشحونة بالزوايا والترب والمدارس ، حيث إن بها قصبة دون ميل ، تمشي فيها بين ترب ومدارس ببناء جميل . وذكر أيضاً : أنه في كل شرف من دمشق عدة من المدارس والمساجد ، ولكل واحد ما يكفيه من الأوقاف ، وذكر ما يبذله أهل دمشق لطلاب العلم فقال : وتقرب أهلها إلى الله تعالى ببناء المدارس ، رغبة في جوار المجرد الفقير البائس ، ورتبوا له من الخبز واللحم والطعام والزيت والحلوى والصابون والمصروف في كل شهر على الدوام .

وذكر ابن جبير عن جامع دمشق : « وفيه حلقات للتدريس ، للطلبة والمدرسين ، فيها إجراء واسع . وللمالكية زاوية للتدريس في الجانب الغربي ، يجتمع فيها طلبة المغاربة ، ولهم إجراء معلوم ، ومرافق هذا الجامع المكرم للغرباء وأهل الطلب كثيرة واسعة ، وأغرب ما يحدث به : أن سارية من سواريه - هي بين المقصورتين القديمة والحديثة - لها وقف معلوم ، يأخذه المستند اليها للمذاكرة والدرس .

ويذكر أيضا : أن بالجامع المكرم عدة زوايا على هذا الترتيب ، يتخذها الطلبة للنسخ والدرس والانفراد عن ازدحام الناس ، وهي من جملة مرافق الطلبة » ويذكر « أن الحركة العلمية لا تنقطع في هذا المسجد - نهاراً ولا ليلا - وأنه كان يجرى فيه على أزيد من خمسمائة إنسان كل يوم ممن يقرءون القرآن الكريم - وهذا من مفاخر هذا الجامع المكرم فلا تخلو منه القراءة » .

ويذكر عن أوقاف الشام فيقول « ومرافق الغرباء بهذه البلدة أكثر من أن يأخذها الإحصاء . ولاسيما لحفاظ كتاب الله عز وجل ، والمنتمين للطلب . فالشأن بهذه البلدة لهم عجيب جداً ، وهذه البلاد المشرقية كلها على هذا

الرسم لكن الاحتفال بهذه البلدة أكثر ، والاتساع أجود » .

وعلى هذا نراه ينصح طلاب أهل المغرب أن يرحلوا إلى بلاد الشرق فيجدوا لهم كل مساعدة فى الحصول على العلم فقال « فمن شاء الفلاح من نشأة مغربنا فليرحل إلى هذه البلاد ، ويتغرب فى طلب العلم ، فيجد الأمور المعينات كثيرة ، فأولها فراغ البال من أمر المعيشة وهو أكبر الأعوان وأهمها ، فإذا كانت الهمة فقد وجد السبيل إلى الاجتهاد ولا عذر للمقصر ... » .

وهذه الحركة العلمية شاهدها ابن بطوطة الذى زار الشام بعد ابن جبير بقرنين من الزمن ـ كان ذلك بفضل ما أرصد لها من الأوقاف الكثيرة ، وتقديم المساعدات المختلفة لطلاب العلم وذكر أن أهل دمشق يتنافسون فى عمارة المساجد والزوايا والمدارس ، حتى أن بعضهم كان يهتم بتعليم الرجال الذين تعداهم سن التعليم ولم ينالوا نصيبهم من العلم ـ فقد رأى فى صالحية دمشق « مدرسة تعرف بمدرسة ابن عمر موقوفة على من أراد أن يتعلم القرآن الكريم من الشيوخ والكهول . وتجرى لهم ولمن يعلمهم كفايتهم من المآكل والملابس » .

وأحصى النعيمى ما كان فى دمشق من معاهد العلم فإذا هى (سبع) دور قرآن ، و (١٩) داراً للحديث ، و (٥٩) مدرسة للشافعية ، و (٤٥) مدرسة للحنفية ، و (١١) مدرسة للحنابلة ، و (٣) مدارس طب ، فضلا عن التدريسات التى كانت فى المساجد والزوايا ـ هذا ما كان فى مدينة واحدة من مدن الشام .

أما فى القاهرة فكانت معاهد العلم فيها كثيرة ، بحيث عجز ابن بطوطة عن إحصائها ، فذكر عنها بأنه « لا يحيط أحد بحصرها لكثرتها » كما أن بعض الجوامع فيها كانت أشبه ما تكون بالكليات فى هذه الأيام ، نظراً لما يدرس فيها من العلوم المختلفة . فالجامع الأزهر لم ينقطع منه التدريس منذ أسسه الفاطميون ، ثم تنوعت فيه حلقات التدريس فى زمن الأيوبيين ومن تلاهم ، وأخذوا يوقفون له الأوقاف الكثيرة ، حتى صار عدد طلابه فى القرن الثامن الهجرى (٧٥٠) طالباً من مختلف الأجناس ، وتقرر فيه نظام الأروقة ، فكان فيه لكل طائفة رواق ، والجامع عامر بالدروس المختلفة ، بأنواع العلوم كالفقه والحديث والتفسير والنحو والأدب والفلسفة والحكمة ، والطلاب مكفولون بما أوقفه أهل البر والإحسان من محبى العلوم والمعارف ، وفضلا عن هذا فإن أرباب الأموال كانوا يقصدون من فيه بأنواع البر من الذهب والفضة والفلوس ، وتحمل إليهم أنواع الأطعمة والخبز والحلاوات وغير ذلك ـ

ولا يزال الأزهر فى مقدمة المراكز العلمية الإسلامية ، فكثرت معاهده ، وتنوعت مناهجها ، وبلغ عدد من يدرس فيه عشرات الألوف كل ذلك بفضل أوقافه الكثيرة .

وكانت الحركة العلمية فى جامع الحاكم لا تقل عن الأزهر . ففى سنة ٧٠٢ هـ أعاد بناءه بيبرس الجاشنكير، ورتب فيه دروساً أربعة لإقراء الفقه على المذاهب الأربعة ، ودرساً لإقراء الحديث ، ودرساً للنحو ، ودرساً للقراءات السبع ، وشيخاً لافادة العلوم ، وعمل فيه خزانة كتب جليلة وجعل فيه عدة شيوخ لتلقين القرآن الكريم ، ومعلماً يقرئ أيتاء المسلمين وأجرى على جميعهم معالم دارّة .

وكانت التدريسات فى جامع ابن طولون سنة ٦٩٦ كما فى جامع الحاكم المار ذكره إلا أنه يزيد عليه أنه كان به مدرس يدرس الطب ، ومدرس للتفسير ، وبلغت مستغلات وقفه عشرين ألف دينار .

وقد أحصى المقريزى سنة ٧٤٩هـ الحلقات العلمية التى كانت فى جامع « عمرو بن العاص » فإذا هى بضع وأربعون حلقة لإقراء العلم ـ ولها الأوقاف المستمرة .

هذا بعض ما كان فى جوامع القاهرة . أما المدارس فكانت كثيرة ، وكلها عامرة بالتدريس .

فكان فى المدرسة الصالحية سنة ٦٤١ هـ دروس أربعة للمذاهب الأربعة وعدة معيدين ولها أوقاف كثيرة .

وكانت المدرسة الظاهرية التى بناها بيبرس البندقدارى (٦٦٠ - ٦٦٢) من أجل مدارس القاهرة . فيها مدرسون للمذاهب الأربعة ، ومدرس لعلم الحديث ومدرس للقراءات ، وخزانة كتب تشتمل على أمهات الكتب فى سائر العلوم ، وبجانبها مكتب للأيتام ، ولهم الجراية المستمرة والكسوة .

وفى سنة ٨١٠ هـ بنى الأمير جمال الدين الاستادار مدرسته . وجعلها من أعظم مدارس القاهره ، وجعل لها الشبابيك من النحاس المكفت بالذهب والفضة ، وأبواب مصفحة بالنحاس البديع الصنعة المكفت . وجمع فيها من المصاحف والكتب فى الحديث والفقه وغيره من أنواع العلوم جملة . وكان فيها عشرة مصاحف طول كل مصحف منها أربعة أشبار إلى خمسة فى عرض يقرب من ذلك ، أحدها بخط ياقوت والآخر بخط ابن البواب ، وفيها خطوط منسوبة . ولها جلود فى غاية الحسن ، معمولة فى أكياس الحرير الأطلسى ، ومن الكتب النفيسة عشرة أحمال .

ورتب فيها أربعة شيوخ لتدريس فقه المذاهب الأربعة ، ومدرسا للحديث ، وآخر للتفسير ، وقرر عند كل مدرس طائفة من الطلاب . وبنى بها مكتبا للأيتام .

وأجرى لكل من فى المدرسة ثلاثة أرطال من الخبز فى كل يوم ، وثلاثين درهماً فلوساً فى كل شهر ، وجعل لكل مدرس ثلثمائة درهم فى كل شهر ، ورتب فيها بعد هـــذا شيخاً للإقراء وإماما وقومة ومؤذنين وفراشين ومباشرين ، وأوقف لها أوقافا كثيرة .

أما فى الإسكندرية ، فقد حدثنا ابن جبير عن أوقاف صلاح الدين الأيوبى فيها فقال : « ومن مآثر هـذا البلد ، ومفاخره العائدة فى الحقيقة إلى سلطانه ، المدارس والمحارس الموضوعة فيه لأهل الطلب والتعبد ، يفدون من الأقطار النائية ، فيلقى كل واحـد منهم مسكناً يأوى إليه ، ومدرساً يعلمه الفن الذى يريد تعلمه ، وإجراء يقوم به جميع أحواله ، واتسع اعتناء السلطان بهؤلاء الغرباء القارئين حتى أمر بتعيين حمامات يستحمون فيها متى احتاجوا إلى ذلك ، ونصب لهم مارستاناً لعـلاج من مرض منهم ، ووكل بهم أطباء يتفقدون أحوالهم ، وتحت أيديهم خـدام يأمرونهم بالنظر فى مصالحهم التى يشيرون بها من علاج وغذاء » .

أما مدارس بغداد فكانت كثيرة ، وقد ذكر ابن جبير أن عدد مدارس الشرقية منها (الكرخ) ثلاثون مدرسة ، ومامنها إلا وهى يقصر القصر البديع عنها ، كما أن التدريسات كانت فى الكثير من مساجدها ، فتجد فيها حلقات العلم المختلفة ، ونجـد فى بعضها ما فى المدارس من الإجراءات على المـدرسين والطلاب .

وأعظم مـدارس بغـداد : النظامية ، والمستنصرية .

أما النظامية فقـد بناها نظام الملك سنة ٤٥٩ هـ ، وكانت أشبه ما تكون بالكلية فى هذه الأيام ، فيها مدرسون لمختلف العلوم والمعارف ، وفيها مساكن للطلاب ، ولهم جميعاً من الإجراء والمخصصات ما يكفيهم ويسهل عليهم أمر الدرس ، وهى أول مفخرة من مفاخر نظام الملك الذى بنى المدارس فى كثير من بلاد الإسلام ، ويسر أمر التعليم للطلاب .

أما المدرسة المستنصرية ، وهى التى بناها الخليفة المستنصر بالله العباسى سنة ٦٢٥ هـ . فكانت من مدارس العالم المشهورة ولا تزال بنايتها باقية إلى اليوم .

وإذا نظرنا إلى التنظيمات الدقيقة التى كانت فى المستنصرية ، فإننا نجدها لا تقل عما نراه اليوم فى الجامعات ، وهى تمتاز عن الأخيرة بانهـا مفتوحة للغنى والفقـــير وللغريب وابن البلد ، الكل سواء لهم حق الدرس فيها ، وحق التمتع بالجرايات التى شرطها الواقف وإليك ما كان فيها .

شرط الخليفة أن يكون عدد طلاب الفقه فيها مائتين وثمانية وأربعين طالبا ، من كل طائفة اثنان وستون ، وأن يجرى لهم المشاهرات الوافرة والإجراءات المستمرة من الخبز واللحم والحلوى والفواكه واللبن والصابون .

وفيها دار للحديث ، يتولاها شيخ عالى الإسناد ، وقارئ وعشرة طلاب حديث ، ولهم من الجراية ما لطلاب الفقه .

وفيها ثلاثون صبياً أيتاما ، يتلقون القرآن المجيد من مقرئ متقن صالح ، ويحفظهم معيد معه . ولهم جراية مستمرة .

وفيها شيخ نحوى يشتغل عليه عدد من الطلاب بعلم العربية . ولهم من الجراية المستمرة ما لغيرهم .

وفى المدرسة من يشتغل بعلم الفرائض والحساب إلى غير ذلك .

وفى المدرسة طبيب حاذق مسلم ماهر ، وعشرة طلاب من المسلمين ، يشتغلون عليه بعلم الطب ، ولهم جراية مستمرة مثل ما لغيرهم .

وبنيت للطبيب صفة فاخرة مقابلة للمدرسة يجلس فيها يطب لمن يعرض له مرض فى المدرسة . ويعطى المريض ما يصف له الطبيب من أدوية وأشربة من الصيدلية التى كانت فى المدرسة . كما كان الطبيب يتردد إلى مرضى المدرسة فى بكرة كل يوم يتفقدهم .

وفى المدرسة مخزن فيه الأطعمة والأشربة والكسوة والشمع والصابون والأدوية — وكلها تقدم إلى الطلاب والمدرسين متى احتاجوا إليها .

وكان فى المدرسة من كل طائفة إمام يصلى بهم ، وقارئ للسبعة وداع يدعو .

وفى المدرسة ناظر يتولى أمور أوقافها ، يساعده مشرف وكاتب ، وفيها معمارية وفراشون وبوابون وحمامى ومزين وقيم وطباخ وخازن الآلات وخزنة الديوان ومزملاتى ومؤذن ونفاط ، ولكل منهم جرايات ومشاهرات .

وفى المدرسة مكتبة تحوى آلاف الكتب المختلفة التى يحتاجها المدرسون والطلاب ، ولها من يقوم بأمرها : خازن ومشرف سوى المقيمين والفراشين والخدم .

وذكر المؤرخون أن الخليفة المستنصر بالله أمر بنقل كتب إلى خزانة المكتبة يوم فتحها ، فنقل إليها من الربعات الشريفة ، والكتب النفيسة المحتوية على العلوم الدينية والعربية ما حمله (٢٩٠) حمالا — سوى ما نقل إليها بعد ذلك ، وذكر بعضهم أن عدد الكتب التى أمر الخليفة المستنصر بإيداعها إلى مكتبة المستنصرية كان ثمانين ألف مجلد ، ورتبت أحسن ترتيب مفصلا لفنونها بحيث يسهل تناولها ، ولا يتعب مناولها .

أما أوقافها : فقد ذكر بعضهم أن قيمة ما وقف عليها يساوى ألف ألف دينار ، وبلغ ارتفاع وقوفها فى العام نيفاً وسبعين ألف مثقال من الذهب ، وحتى قبل عما أوقف لها من القرى فقط « أن ثمن التبن من غلات ريعها يكفى المدرسة وأهلها » .

هذا ما كان فى المدرسة الإسلامية قبل ثمانية قرون ، وهو يدلنا على مدى اهتمام القوم بالعلم وأهله ، وبذلهم الأموال الوافرة فى سبيل إراحة الطلاب وتسهيل أمر الدراسة لهم .

وأن هذا التأمين الاجتماعى للعلم وأهله ، صار من الأركان التى لا يمكن أن نستغنى الدولة عنه ، فما أوقفه ملك أو أمير أو تاجر يبقى وقفاً مهما تبدلت الأوضاع السياسية للبلد ، فيبقى المعهد كما كان ، وأوقافه محبوسة عليه لا تمتد إليها يد ، ولا يتسلط عليها غاصب ، فشرط الواقف كنص الشارع . ولذا نجد بعض المؤسسات العلمية الإسلامية التى مضى عليها ما يزيد على ألف سنة ، لم تزل محافظة على مركزها العلمى ، وهذا الجامع الأزهر خير دليل على ما نقول ، وهو لم يزل فى توسع ببنائه ومعاهده وعدد طلابه وشيوخه ، كل هذا بفضل الأوقاف الكثيرة التى رصدت له . وما يقال عن الأزهر يقال عن كثير من المدارس القديمة والتى هى عامرة إلى اليوم مع أنه مضى على بعضها عدة قرون . فالمشهد الرضوى فى النجف ، ومدرسة أبى حنيفة ببغداد ، وجامع الزيتونة بتونس ، وجامع القرويين بالمغرب ، والجامع الأموى بالشام ، وغيرها من المعاهد العلمية التى حافظت على مركزها بفضل ما أوقف لها .

هذا التنظيم الدقيق لخدمة العلم والأخلاق ، وضعه المسلمون ، وجعلوه ركناً هاما من أركان الحضارة التى شادوها ، وأناروا للعالم سبل الهداية فى القرون المظلمة ، فى الوقت الذى كانت أوروبا فيه تتخبط فى دياجير الظلام ، ويعتقد أهلها أن الجبر نوع من السحر ، وأن الساعة الدقاقة يحركها شيطان ، وحين كانت القراءة والكتابة محصورين فى رجال الدين والنبلاء ، بينما كان أهل الأنداس يقرؤن ويكتبون وقلما نجد بينهم من لا يحسن القراءة والكتابة وتكاد الأمية تكون معدومة بينهم .

هذه نبذة عن الخدمات الاجتماعية لطلاب العلم عند المسلمين فى بعض المدن . ولو أردنا استقصاء البحث فى غيرها لاحتاج الأمر إلى بحث طويل ؟

حسن عبد العزيز نصر

لغويات

للأستاذ محمد على النجار

قولهم ثلاثمائة وتسعمائة

سأل الأستاذ محمد إبراهيم فى الجزء السابق من مجلة الأزهر ، عن الذى دعا العرب إلى أن أفردوا تمييز الثلاث وما بعدها إلى التسعة إذا كان مائة . فتراهم يقولون : ثلاثمائة وأربعمائة ، وكان القياس على النظائر أن يجمعوا المائة فيقولوا : ثلاث مئات وتسع مئات مثلا ، كما يقولون : خمسة آلاف وتسعة آلاف .

وأذكر أن هذا الاختلاف نبّه عليه النحويون فى أوائل تدوينهم للنحو؟ . فسيبويه فى الكتاب ١ / ١٠٧ يقول : « وأما ثلاثمائة إلى تسعمائة فكان ينبغى أن يكون مئين أو مئات » . ومعنى هذا أن قولهم : ثلاثمائة جاء فى العربية على خلاف ما كان ينبغى لهذا الضرب من العدد ، وأن فى هذا شذوذا عن النظائر . وتراه يقول بعد فى هذا الموطن : « فقد يشذ الشىء فى كلامهم عن نظائره ، ويستخف الشىء فى موضع ولا يستخفونه فى غيره » .

وليس معنى الشذوذ هنا الضعف والخروج عن الفصاحة اللغوية ، فإن هذا هو الفصيح لا يقبل غيره . فلا تقول خمس مئات أو أو مئين ، ولو قلته كنت مخطئا وجه الصواب ، وإن كان هو الأصل والقياس ، فرب قياس اطّرحه العرب وخالفوا عن أمره ، بل قد يؤثر هذا عن العرب فيحمل على الشذوذ فى الاستعمال . ومن هذا قول الفرزدق :

ثلاث مئين للملوك وفى بها
ردائى وجلت عن وجوه الأهاتم

وقول الشاعر :

ثلاث مئين قد مررن كواملا
وها أنا هذا أشتهى مرّ أربع

وينبغى أن يعلم أن المائة إذا وقعت تمييزا لهذه الأعداد كان معناها المئات . ونرى سيبويه يقول : « وليس بمستنكر فى كلامهم أن يكون اللفظ واحدا والمعنى جميع ، حتى قال بعضهم فى الشعر من ذلك مالا يستعمل فى الكلام . قال علقمة بن عبدة :

بها جيف الحسرى فأما عظامها
فبيض وأما جلدها فصليب

وقال الشاعر :

لا تنكر القتل وقد سبينا
فى حلقكم عظم وقد شجينا

وقال الآخر :

كلوا فى بعض بطنكم تعفوا
فإن زمانكم زمن خميص

فقوله : جلدها فى البيت الأول يريد جلودها . وهو يصف طريقا شاقة على السالكين تسقط فيها الإبل إعياء فتهلك وهى حسرى ، فتأكل السباع والطير ما على العظام من اللحم فتبدو بيضاء واضحة ، وتبقى الجلود صلبة يابسة إذ لم تلين بالدباغ . وقوله فى البيت الثانى : فى حلقكم يريد : فى حلوقكم فوضع الواحد موضع الجمع . وقوله فى البيت الثالث : فى بعض بطنكم يريد : فى بعض بطونكم .

وهنا يبرز السؤال العتيد . وهو : لم اختار العرب هذا الوضع أى استعمال المفرد فى معنى الجمع مع المائة ، ولم يجروا هذا مع الألف ، فقالوا : خمسمائة ولم يقولوا : خمسة ألف ؟

وقد أشار سيبويه إلى الجواب عن هذا السؤال فى إيجاز ، فذكر أن هذه الأعداد شبهت بعشرين وأحد عشر فجاء تمييزها مفردا ويشرح السيرافى كلام سيبويه ويبين وجه الشبه . فيذكر أن الثلاث مع المائة وما بعدها إلى التسع بعدها عقد ليس من لفظها ، وهو الألف . وكذلك أحد عشر إلى تسعة عشر بعدها عقد ليس من لفظها وهو العشرون ، ومثلها فى ذلك العشرون إلى التسعين بعدها عقد ليس من لفظها وهو المائة ، ولما كان تمييز الأحد عشر والتسعة عشر والعشرين إلى التسعين مفردا حمل عليها تمييز الثلاثة إلى التسعة إذا ميزت بالمائة فأتت المائة مفردة ، فأما الثلاثة إلى التسعة مع الألف فليس فيها هذا ، ألا ترى أن التسعة مع الألف أى تسع المائة بعدها عشرة آلاف وهو عقد من لفظ تسعمائة وأسلوبه بخلاف تسعمائة فبعدها ألف كما سبق .

فإن قال القائل : إذا كانت هذه الأعداد شبيهة بعشرين وأحد عشر فهلا كان تمييزها منصوبا ؟ فالجواب أن لهذه الأعداد شبها بالثلاث إلى التسع التى ليس تمييزها المائة إذ كان الجميع يشتركن فى أن بعدها عقدا ليس من لفظها ، فهنا بعدها الألف وفى تلك الأعداد يليها العشرة ، فحملت ثلاثمائة على ثلاث نساء فى الإضافة إلى التمييز وجره ، وهكذا أربعمائة إلى تسعمائة .

ويقدم ابن الحاجب فى شرح كافيته وجها آخر لسبب هذا الشذوذ ، فهو يرى أنه لو ميزت هذه الأعداد بجمع المائة فقيل : ثلاث

مئات لقيل فى بعض المواطن : ثلاث مئات امرأة . وهنا يجتمع تأنيثان وجمع والجمع مؤنث ، فيكون هنا اجتماع ثلاثة تأنيثات فيما هو كالكلمة الواحدة أى المركب الإضافى وهم يستثقلون اجتماع الأمثال ، بخلاف ما إذا قيل : ثلاثمائة امرأة ، وتراه لم ينظر إلى تمييز الثلاث بالمئين ، وهو الجمع الآخر الوارد فى الشعر كما سبق . لأن التمييز بجمع المذكر السالم لا ينقاس كما أبانه الرضى ، ولما لم يجتمع مثل هذا فى قولك خمسة آلاف امرأة جاءوا فيه على القياس ولم يشذوا فيه .

ويرى الرضى فى شرح كافية ابن الحاجب أن المائة إذا وقعت تمييزا تخطر فى الذهن المائة الواقعة بعد التسعين ، وكأنما هى شىء واحد ، والمائة الواقعة بعد التسعين وما قبله مما هو على صورة جمع المذكر السالم لا يحسن أن تأتى بصيغة جمع المؤنث السالم أى مئات لما هنالك من التنافر بين الجمعين ، فلهذا عدل عن مئات فى هذا المقام إلى مائة .

ويرى التارى : أن تعليلى ابن الحاجب والرضى مبنيان على أن وقوع مئين فى التمييز لا ينقاس . وأنه لو كان هناك جمع تكسير للمائة كما هناك جمع تكسير للألف لما ساغ هذا الشذوذ .

من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها :

وسأل الأستاذ أيضا عن وجه تذكير العدد فى الآية الكريمة مع إضافته إلى الأمثال وواحدها مذكر ، وكان الواجب التأنيث .

ويذكر النحويون فى الجواب عن هذا أن المعدود هنا محذوف دل عليه ما قبله ، وهو الموصوف بأمثالها ، والتقدير : فله عشر حسنات أمثالها وهذا ينبنى على قاعدة فى العدد وهى أنه إذا كان المعدود صفة نائبة عن الموصوف اعتبر حال الموصوف لا حال الصفة .

ويرى أبو على الفارسى من أعلام النحاة أن الأمثال اكتسب التأنيث من المضاف إليه وهو ضمير الحسنة ، على حد قوله : ذهبت بعض أصابعه ، وكما جاء فى قراءة : تلتقطه بعض السيارة ، وهى قراءة الحسن ومجاهد وغيرهما ، وهى من شواذ القراءات .

لن الناصبة وتأبيد النفى :

ويعترض الأستاذ على قول النحاة : إن لن تفيد تأبيد النفى باعتراضين . الأول قوله تعالى : « فلن أكلم اليوم إنسيا » والثانى قوله تعالى : « ولن يتمنوه أبدا » فنفى الآية الأولى قيد النفى باليوم ، وهذا ينافى التأبيد . وفى الآية الثانية يكون قوله (أبدا) تكرارا مع ما أفاده (لن) ؛ والقرآن ينزه عن مثل هذا .

وإنى أسوق هنا آراء النحاة فى (لن) .

يقول سيبويه فى الكتاب ٢/٣٠٥ : « ولن نفى لقوله : سيفعل ، يريد أن لن تفيد نفى الحدث فى الزمن المستقبل . ويقول ابن يعيش فى الكلام على لن : « وهو نقيض سوف وذلك أن القائل إذا قال : سوف يقوم زيد فنفى هذا : لن يقوم زيد ، وترى أن سيبويه لم يزد على أنها تفيد النفى فى المستقبل ، ولم يعرض فيها لتأبيد ولا تأكيد .

وجاء الزمخشرى فذكر أن لن تفيد تأكيد النفى وتشديده . ذكر هذا فى المفصل والكشاف فهو يقول فى المفصل فى مبحث الحروف « ولن لتأكيد ما تعطيه لا من نفى المستقبل تقول : لا أبرح اليوم مكانى . فإذا وكدت وشددت : قلت . لن أبرح اليوم مكانى . قال الله تعالى . لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين» وقال : « فلن أبرح الأرض حتى يأذن لى أبى » وقال فى الكشاف عند قوله تعالى فى سورة الأعراف : لن ترانى : « فإن قلت : ما معنى لن ؟ قلت : تأكيد النفى الذى تعطيه لا . وذلك أن لن تنفى المستقبل . تقول : لا أفعل غدا ، فإذا أكدت نفيها قلت : « لن أفعل غدا » وقد تبعه ابن الحاجب والرضى .

وينسب ابن هشام فى المغنى إلى الزمخشرى أنه فى كتابه الأنموذج فى النحو يرى أن لن تفيد تأبيد النفى . وقد رجعت إلى نسختين من الأنموذج ، إحداهما مطبوعة فى مطبعة الجوائب ، والأخرى فى مطبعة المدارس الملكية فإذا فيه : « ولن نظيرة لا فى نفى المستقبل ، ولكن على التأكيد » فلعل ابن هشام وقعت له نسخة فيها : « ولكن على التأبيد » . وفى ارتشاف الضرب لأبى حيان : « ولا تدل على نفى الفعل فى جميع الزمان المستقبل ، نقل ابن مالك أن الزمخشرى خص النفى بالتأبيد » وإنى أرى أن الزمخشرى لو كان يقول بذلك لكان أخلق المواطن بذكره تفسير قوله تعالى فى سورة الأعراف لن ترانى ، إذ يكون هذا حجة لمذهب الاعتزال فى استحالة الرؤية ، وقد علمت أنه فى هذا الموطن يذكر أنها للتأكيد .

وقد أورد النحاة على القول بالتابيد الاعتراضين اللذين أوردهما السائل وأجابوا عن الآية الأولى بأن تأبيد النفى إنما هو عدم التقييد ، فأما عند التقييد كما فى الآية فلا ، إذ أن النفى قيد باليوم الحاضر . وأجابوا عن الآية الثانية بأنه لا تكرار فيها ، إذ التكرار إنما يكون بإعادة اللفظ نفسه أو إعادة مرادفه ، و (أبدا) و (لن) ليسا مترادفين ، إذ أن (لن) تفيد النفى والتأبيد ، و(أبدا) لا تفيد النفى ، وعلى فرض التكرار فهو من باب التوكيد وهو كثير فى القرآن الكريم .

(البقية على صفحة ٩٠٥)

يكفون إسرائيل عن العدوان أو يترددون فى استجابتها إلى دعواها فلا يناخا من جراء قتلهم جزاء ، ولا يحول بينها وبين المزيد من معونة السلاح والمال.

إن البعيدين عن الشرق الأوسط يعلمون ذلك فلا ينساقون إلى القول باتصار إسرائيل عن حسن نية ، ولا يقررون هذه السخافة إلا وهم يتعمدون المغالطة ويسترون الجريمة المشتركة بين حكوماتهم وعصابات الصهيونية العالمية ، فإذا بدرت تلك السخافة من مقيم فى الشرق الأوسط مطلع على الأخبار من مصادرها فهـــو فى الواقع يبتدع تلك السخافة ويعمل على ترويجها ولا يتورط فيها مضطرا إليها بعد اختراعها وترويجها .

وبيت القصيد من هذا كله ينجلى عند ختام الكتاب من الأسطر القليلة التى عقب بها المؤلف على كلامه عن النفط فى البلاد العربية وعن القوة التى تستفيدها هذه البلاد من تزاحم الأمم على آبارها وإدراكهم لخطر مراكزها فى معترك السياسة العالمية ، وهذه هى أسطر الختام منقولة بحروفها :

« . . . كلما ازدادت ثقة العرب بقوتهم وجب عليهم أن يثقوا بشعوب الغرب التى تعودوا أن يسيئوا بها الظنون منذ أيام الوصاية والانتداب ، وعلى الغربيين — من جانبهم — أن يذكروا أنه قبل قرون عديدة سبقت وصول الرجل الأبيض إلى أمريكا كان العرب سادة الدنيا وزعماء حضارتها ؟

عباس محمود العقاد

(بقية المنشور على صفحة ٨٩٨)

وابن يعيش فى شرح المفصل يرى مذهبا آخر فى التأبيد . فتأبيد النفى عنده بلن يكون على حسب الفعل المثبت قبل ورود لن فإذا قال القائل : سأسافر فقلت : لن تسافر فمعنى ذلك تأبيد نفى السفر المطلق . وإذا قال سأسافر غدا فقلت : لن تسافر غدا . فمعنى ذلك عنده تأبيد نفى السفر فى الغد أى فى جميع أوقات هذا الزمن ، وعلى ذلك قول مريم عليها السلام : فلن أكلم اليوم إنسيا معناه تأبيد نفى الكلام طول اليوم كما لو قالت : لا أكلم اليوم إنسيا أبدا أى فى جميع أوقات اليوم ، وكذلك قوله تعالى لن ترانى . لايفيد استحالة الرؤية ونفيها فى الآخرة على القول بأن لن تفيد التأبيد وأن موسى عليه الصلاة والسلام إنما سأل الرؤية فى الدنيا فقوله ، « لن ترانى » أى فى الدنيا ، فهى تفيد تأبيد نفى الرؤية فى الدنيا فأما الآخرة فلا حديث عنها .

محمد على النجار

النفقة وصلتها بقانون الوضع الجديد

للأستاذ عباس طه

منذ ثمانية عشر عاما تقريبا رأت اللجنة المنوط بها وضع مشروع قانون العقوبات بوزارة العدل ، رغبة منها فى حماية الأسر ، إضافة نص بمعاقبة كل من يلزم بالانفاق على أحد من ذوى قرباه ، ويمتنع عن أداء هذا الواجب بالحبس مدة لا تزيد على سنة ، أو بغرامة لا تزيد على مائة جنيه: غير أن القانون خرج على الناس لا يحمل هذه العقوبة مما أفضى إلى التقاعس عن الاستجابة إلى أحكام المحاكم فى موادّ النفقات .

وفى هذا البحث نفصل ضروب النفقة تنويراً للأذهان وتنويها بفضل شريعة القرآن فى بناء العمران .

نوّع التشريع الإسلامى النفقة إلى ثلاثة أنواع : نفقة واجبة على الزوج لزوجته ، ونفقة واجبة للأبناء ومن فى حكمهم على الآباء ومن فى حكمهم . ونفقة واجبة للأبوين ومن فى حكمهما على الأبناء ومن فى حكمهم .

نفرض فى باب النفقة الزوجية تلك النفقة على الزوج لزوجته ولو فى بيت أبيها ما لم يطالبها الزوج بالنقل وتمتنع بغير حق ، وفرضها كذلك فى حالة ما إذا كان الزوج موسرا وكانت لامرأته خادمة تجب عليها نفقتها بقدر ما يكفيها على حسب العرف ، بشرط أن تكون الخادمة متفرغة لخدمتها لا شغل لها غيرها . وإذا زفت إليه بخدم كثير استحقت نفقة الجميع إن كان ذا يسار ، وإذا رزق أولاداً لا يكفيهم خادم واحد يفرض عليه نفقة خادمين أو أكثر على قدر حاجة أولاده . وفى حالة ما إذا مرضت المرأة مرضا يمنع من مباشرتها بعد الزفاف والنقل إلى منزل زوجها أو قبله ثم انتقلت إليه وهى مريضة أو لم تنتقل ولم تمنع نفقتها بغير حق فلها النفقة عليه ، فلو مرضت فى بيت الزوج ثم انتقلت إلى بيت أهلها فإن طالبها الزوج بالنقل ولم يمكنها الانتقال لمخافة أو نحوها فلها النفقة .

وقد أوجب التشريع الإسلامى النفقة

للأبناء على الآباء بأنواعها الثلاثة : فأوجب للابن النفقة على الأب الحر ولو ذميا لولده الصغير الفقير ذكرا كان أو أنثى حتى يبلغ الذكر حد الكسب وحتى تزف الأنثى إلى بعلها : وأوجب على الأب النفقة لابنه الكبير الفقير العاجز عن الكسب كزمن وذى عاهة تمنعه عن الكسب ، ومن كان من أبناء الأشراف أو من فى حكمهم ، ولا يستأجره الناس فى عمل من شأنه أن يغض من سمعة بيته أو يزرى بكرامته ، وللأنثى الكبيرة الفقيرة ولو لم تكن بها زمانة أو عاهة إلا إذا تزوجت ، فإذا تبين أن الأب ليس عاجزا عن الكسب أو به عاهة تحول دون استدرار النفقة على غيره ألحق بالميت ، وتجب فى هذه الحالة النفقة على من يليه فى المرتبة مع تحقق شرائط الوجوب . ومعلوم أن النفقة تعتمد الجزئية والإرث فى وجوبها أما إذا كان الأب معسرا ولا زمانة به ولا عاهة تحول دون اكتسابه فلا تسقط عنه النفقة لمجرد إعساره لولده ، بل مفروض عليه أن يكتسب وينفق بقدر الكفاية ، فإن نفقة الأقارب معتبرة عند الفقهاء ضرورة طارئة ، وإنما تقدر الضرورة بقدر ملابستها ، فإن أبى مع قدرته على الاكتساب يجبر على ذلك ويحبس فى نفقة ولده . فان لم يف اكتسابه بحاجة الولد أو لم يكتسب لعدم تيسر الكسب أمر القريب بالانفاق على الولد بالنيابة عن أبيه ليرجع على الوالد إذا أيسر مستقبلا : والأم فى حالة إعسار الأب أولى من سائر الأقارب بالانفاق على ولدها ، فإذا كانت موسرة مع إعسار الأب أمرت بالإنفاق على ولدها ولا يشاركها الجد ، فاذا كان الأبوان معسرين ولهما أولاد يستحقون النفقة أمر بها القريب من منزلتهما كما أسلفناه . فاذا أبى الانفاق عليهم مع يسره أجبره القاضى عليها ويكون إنفاق الكبير فى هذه الحالة دينا على أبيهم المعسر يرجع به القريب عليه إذا أيسر سواء كان المنفق أما أوجدا أوغيرهما ، فإن كان الأب معسرا أو زمنا عاجزا عن الكسب فلا رجوع لأحد عليه بما أنفقه على ولده ، وإذا كان أبو الصغير الفقير معدما وله أقارب موسرون من أصوله فإن كان بعضهم وارثا وبعضهم غير وارث وتساووا فى القرب والجزئية يعتبر الأقرب جزئية ويلزم بالنفقة . فإن كان له أم وجد لأم فنفقته على الأم ، وإن كان أصوله وارثين كلهم فنفقته عليهم بقدر استحقاقهم فى الإرث ، فلو كان له أم وجد لأب فنفقته عليهما أثلاثا : على الأم الثلث وعلى الجد الثلثان . فإن كانت أقارب الطفل الفقير المعدم أبوه بعضهم أصول وبعضهم حواش فإن كان أحد الصنفين وارثا والآخر غير وارث يعتبر الأصل لا الحاشية ويلزم بالنفقة سواء كان هو الوارث أم لا .

عباس طه

البقية فى العدد القادم

ما يقال عن الإسلام

كلام عن الإسلام والعرب

في كتابين حديثين

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتابان من المطبوعات الحديثة قرأت فيهما كلاما عن الإسلام والعرب، وعن تقدير الحضارة العربية.

فتحت أحدهما فوجدت في صدره فصلا مطولا بعنوان: «إسلام القرن العشرين»، فخطر لي أن المؤلف يتكلم عن تطور الإسلام في هذا القرن ويشرح آراء المجددين المصلحين من أئمته أو عادات المسلمين المعاصرين مع المقابلة بينها وبين عادات المسلمين في القرون التي سبقت القرن العشرين.

ولكنني لم أقرأ من الفصل بضعة أسطر حتى ظهر لي أن المؤلف إنما يتكلم عن الشيوعية الماركسية ويحذر العالم الغربي من أخطارها لأنها - كما يقول - غزوة جديدة تهدده في كيانه كما هدده الإسلام في القرن السابع للميلاد..!

وإنه لتضمين من المؤلف أوضح وأبلغ من التصريح؛ لأنه يعلن رأيه ورأي قرائه المقصودين في موقفهم من الإسلام، ويبين لنا أن هناك قوما من بني جلدته يحسون أن اسم الإسلام نذير بالخطر يكفي أن يذكرهم ليدركوا أنهم مهددون بما يوقظ النائم وينبه الغافل ولا يحتاج بعده إلى نذير.

وفرغت من الفصل فلم أجد فيه وجها من وجوه المشابهة غير أن الإسلام دعوة والشيوعية دعوة، أو هي كما سماها (دين دنيوي) يقوم على عقيدة (إيمانية) تجري مع الشعور ولا تجري مع المنطق والمعرفة البرهانية وهذا كل ما هنالك من مشابهة بين النذيرين..!

وقد زعم المؤلف أن خطة ستالين في (تشييع) القارة الآسيوية أو إكراهها على قبول الشيوعية ليست إلا تكرارا لخطط القادة الآسيويين أمثال محمود الغزنوي وطغرل بك وألب أرسلان، وأن هذه الخطط جميعا تعتمد على سلاح الدولة وسلاح العقيدة وتتخذ العقيدة أحيانا وسيلة لقلب الدولة كما تتخذ الدولة أحيانا أخرى وسيلة لقلب العقيدة.

لكن ما هو وجه الشبه بين دعوة تخاطب الناس من كل طبقة وبين دعوة تلغي الإنسانية

ولا تعرف لها تاريخا أو مستقبلا غير تاريخ طبقة واحدة ؟ .

وما هو وجه الشبه بين دعوة تصحح المجتمع أو تعالج أدواءه وبين دعوة تهدم المجتمع ولا تبقى منـــه بقية تربط بين حاضره وماضيه ؟ .

وما هو وجه الشبه بين دعوة تحصى عدد الضحايا من أعدائها ومقاوميها فلا يزيد على بضعة ألوف فى مائة سنة، وبين دعوة تحصى عدد ضحاياها فى موطنها وحده فيزيد على عشرين مليونا فى بضع سنوات ؟ .

وما هو وجه الشبه بين الصديق والفاروق، وبين لينين وستالين ؟ .

إن كل شىء فى الإسلام والشيوعية يختلف أشد الاختلاف غير اسم الدعوة أو اسم العقيدة ، إن صح وصف المؤلف للشيوعية بأنها عقيدة دنيوية .

ولكن الشبه المهم الذى جمعه المؤلف تحت عنوان فصله إنما هو فى « النذير » الصريح باسم الدعوتين ، وكفى به عنوانا يغنى عند قرائه المقصودين، وعندنا نحن ، عن صفحات ومجلدات ! .

هذا الكتاب اسمه « الشيوعية من وجهة العلوم الاجتماعية والنفسية » ، واسم مؤلفه الأمريكى جـــول مونيروت ، ويقول مقرظوه : إنه ناقد ثاقب النظر يرمى بنظره إلى بعيد . ! .

° ° °

أما الكتاب الآخر فاسمه « العرب » واسم مؤلفه « هارى أليس » وهو كاتب صحفى قضى فى الشرق الأوسط حقبة غير قصيرة مشتغلا بمراقبة الأحوال ومراسلة الصحف العلمية ، وكتابه أشبه بكتب الدراسة فيما يعرض له من التاريخ القديم ، وأشبه بمقالات السياسة فيما انتهى إليه فى ختام فصله الأخير .

يبدأ المؤلف تاريخه الموجز من العصور السابقة للأديان الكتابية ، ويعتبر تاريخ العرب أصلا لتواريخ الحضارات التى عمرت طويلا بين النهرين وبين البحرين ، أى البحر الأحمر وبحر الروم .

ثم يوجز الكلام عن دعوة الإسلام فيقول ، بعد خليط من الحقائق والأوهام : إن سنة ٧٣٢ م وافقت ذكرى وفاة النبى محمد (صلوات الله عليه) فبلغت بدعوته أقصى المغرب وكادت أن تصل إلى أقصى المشرق ، ولم يكن السيف وحده قوام الدعوة بل كان كثير من أبناء البلدان المفتوحة يقبلون على الإسلام لتفضيلهم إياه على عقائدهم ، أو لأن الدخول فى الإسلام يرفع عنهم الضرائب التى تجبى من غير المسلمين ، ولكن

لايفهم من ذلك أن المسلمين الذين دخل آباؤهم فى الإسلام فراراً من الضريبة كانت عقيدتهم الإسلامية هينة عليهم ، بل كان هؤلاء المسلمون يذودون عن دينهم مستميتين مستشهدين كلما هوجمت ديارهم بعد سقوط « الامبراطورية الإسلامية » حوالى القرن الثالث عشر للميلاد .

قال : « وإن العرب الذين كانوا قبل الإسلام بدوا جفاة جلبوا إلى دولتهم الواسعة هديتين جليلتين : إحداهما الديانة التى بشر بها محمد (عليه السلام) ... والأخرى اللغة العربية ... فأصبح اللسان العربى واسطة المعاملة كما أصبح واسطة التعليم والتثقيف ، فزاد عدد الكتب التى كانت تظهر باللغة العربية بين القرن التاسع والقرن الثانى عشر للميلاد على جملة الكتب التى ظهرت يومئذ بجميع اللغات الأخرى .. »

ولم يخالف المؤلف ديدن زملائه فى خصلتين ملازمتين لأكثر الكاتبين عن الإسلام والعرب من الأوربيين ، فإنه ليستريح إلى الإقلال من عدد المتكلمين باللغة العربية فيحصيهم بنحو خمسين مليونا وهو يستطيع أن يعلم بغير حاجة إلى البحث الطويل أن خمسين مليونا يتكلمون العربية ويعيشون فى إفريقية الشمالية وحدها دون سائر الأمم الإفريقية الأخرى وراء مراكش والجزائر وتونس وليبيا ووادى النيل . ولا يقل المتكلمون باللغة العربية إلى الغرب من القارة الآسيوية عن ثلاثين مليونا بين جزيرة العرب ووادى النهرين وسائر أقطار الهلال الخصيب ، وقد يبلغ العارفون بالعربية من غير العرب عدة ملايين .

والخصلة الأخرى التى ينساق إليها المؤرخ الغربى عن سوء فهم منه للظواهر الفنية أحيانا هى التطفيف من نصيب الذوق العربى الخالص من نهضة الفنون والثقافة فى الدول الإسلامية أو « الامبراطورية » الإسلامية كما يسميها

فقد يكون المهندسون أجانب عن السلالة العربية الخالصة ، ولكن الذوق العربى بلا جدال هو الذوق الذى غلب على هندسة المعمار فى كل قطر من أقطار المشرق والمغرب ، وما من أحد ينظر إلى العمدان والأقواس التى تحمل القباب ثم يشك فى قيامها جميعا على أساس من إلهام « النخلة » بقوامها المديد النحيل وقبتها المعرشة وأقواسها المتناسقة على جهاتها الأربع ، وليس التقابل بين الأشكال الهندسية على النسق المعروف عند الإفرنج باسم (الأرابيسك) إلا تكراراً فى فن البناء للتقابل بين القوافى والأعاريض والشطور فى فن القريض .

ولا نكران لنقد الناقدين من جهابذة الفن الذين يأخذون على فن « المعمار » العربى

خلوه من صور الكائنات الحية ومن صور النبات فى أكثر الأحايين ، ولكن هؤلاء النقاد ينسون أن مذهب المعمار العربى قابل للدفاع عنه من الجانب الفنى الخالص وإن ظنوا أن الدفاع عن هذا المذهب مقصور على الجوانب الدينية ، فقد رأى الفيلسوف الكبير « عمانويل كانت » أن الفن الخالص يتمثل فى المعمار العربى وحده ، وقلما يتمثل على هذا النحو فى فنون المعمار الأخرى ، لأن جماله مستمد من جمال الأشكال الهندسية غير مستعار من الصور والأشياء التى يقاس جمالها بغير مقاييس الهندسة ومقاييس البناء ، ومن الإنصاف للذوق العربى أن نذكر أن أشكال الهندسة أقرب إلى قوام الجدار والسقف والعمود الحجرى من الصور الحيوانية أو النباتية ، فإذا حسنت التحلية بصور الأحياء أو صور النبات فأحرى أن يوكل ذلك إلى نقش الرسوم التى تعلق بألواحها على الجدران ، كأنها بعض الأثاث الجميل بين سائر المقتنيات الفنية التى تحتويها الحجرات والبيوت .

ومادام الأمر لا يرجع إلى فقدان التعاطف بين الإنسان وسائر الخلائق الحية فلا معابة فيه على الذوق ولا على الشعور ، ولكنه تقسيم لمواضع الجمال الفنى حيث ينبغى أن توضع من جدران البيوت أو مقتنيات البيوت .

أما أن تجريد المعمار العربى من الرسوم الحية لم يكن يرجع إلى فقدان التعاطف بين العربى وسائر الخلائق الحية . فهو حقيقة لا تخفى على من يروى القليل من الشعر العربى فضلا عن الكثير . فإن الشاعر الذى لا ينسى الناقة ولا الفرس ولا الربيع والمرعى قبل عصر الحضارة خليق أن يحس الحياة والأحياء تحت قبة السماء ، ولا ينتظر أن يخلق إحساسه بها تحت قباب الهياكل والقصور

* * *

وينتقل المؤلف من حديثه عن عصر الحضارة إلى حديثه عن قضايا العصر الحاضر ، فلا يفوته أيضا أن يدلى بدلوه فى تلك السخافة التى تعاهد عليها زملاؤه الصحفيون ، أو المؤرخون العصريون من أبناء الغرب كلما ذكروا قضية فلسطين . . فهى عندهم قضية كسبتها عصابات إسرائيل من الأمم العربية فى ميدان القتال وانتصرت فيها بجيشها وسلاحها على دول العرب مجتمعات ، ولم يكن أحد بعيدا عن الشرق الأوسط - يجهل أن إسرائيل كانت تحارب بسلاح الدول الغربية ومالها ، وكانت تلقى التشجيع من تلك الدول فتزحف على الأرض المحرمة ويصبح احتلالها تلك الأرض « أمرا واقعا » و« حقا مكتسبا » على حين يضطر العرب إلى الجلاء عن أماكنهم بأمر السادة المسلطين على حكوماتهم وجيوشهم ، ثم يقتل وسطاء الهيئات الدولية الذين

يكفون إسرائيل عن العدوان أو يترددون فى استجابتها إلى دعواها فلا يناخا من جراء قتلهم جزاء ، ولا يحول بينها وبين المزيد من معونة السلاح والمال.

إن البعيدين عن الشرق الأوسط يعلمون ذلك فلا ينساقون إلى القول باتصار إسرائيل عن حسن نية ، ولا يقررون هذه السخافة إلا وهم يتعمدون المغالطة ويسترون الجريمة المشتركة بين حكوماتهم وعصابات الصهيونية العالمية ، فإذا بدرت تلك السخافة من مقيم فى الشرق الأوسط مطلع على الأخبار من مصادرها فهـــو فى الواقع يبتدع تلك السخافة ويعمل على ترويجها ولا يتورط فيها مضطرا إليها بعد اختراعها وترويجها .

وبيت القصيد من هذا كله ينجلى عند ختام الكتاب من الأسطر القليلة التى عقب بها المؤلف على كلامه عن النفط فى البلاد العربية وعن القوة التى تستفيدها هذه البلاد من تزاحم الأمم على آبارها وإدراكهم لخطر مراكزها فى معترك السياسة العالمية ، وهذه هى أسطر الختام منقولة بحروفها :

« . . . كلما ازدادت ثقة العرب بقوتهم وجب عليهم أن يثقوا بشعوب الغرب التى تعودوا أن يسيئوا بها الظنون منذ أيام الوصاية والانتداب ، وعلى الغربيين — من جانبهم — أن يذكروا أنه قبل قرون عديدة سبقت وصول الرجل الأبيض إلى أمريكا كان العرب سادة الدنيا وزعماء حضارتها ؟

عباس محمود العقاد

(بقية المنشور على صفحة ٨٩٨)

وابن يعيش فى شرح المفصل يرى مذهبا آخر فى التأبيد . فتأبيد النفى عنده بلن يكون على حسب الفعل المثبت قبل ورود لن فإذا قال القائل : سأسافر فقلت : لن تسافر فمعنى ذلك تأبيد نفى السفر المطلق . وإذا قال سأسافر غدا فقلت : لن تسافر غدا . فمعنى ذلك عنده تأبيد نفى السفر فى الغد أى فى جميع أوقات هذا الزمن ، وعلى ذلك قول مريم عليها السلام : فلن أكلم اليوم إنسيا معناه تأبيد نفى الكلام طول اليوم كما لو قالت : لا أكلم اليوم إنسيا أبدا أى فى جميع أوقات اليوم ، وكذلك قوله تعالى لن ترانى . لايفيد استحالة الرؤية ونفيها فى الآخرة على القول بأن لن تفيد التأبيد وأن موسى عليه الصلاة والسلام إنما سأل الرؤية فى الدنيا فقوله ، « لن ترانى » أى فى الدنيا ، فهى تفيد تأبيد نفى الرؤية فى الدنيا فأما الآخرة فلا حديث عنها .

محمد على النجار

مختار من الشعر القديم والحديث

ذكرى الوحدة

للأستاذ محمد رجب البيومى

[روح صلاح الدين البطل الخالد يتحدث عن الوحدة الزائفة بين مصر وسوريا] .

طرتُ عن عالم العيان وحلقتْ ... مليـــاً على ضفاف الغيوبِ
أتخطى الذرى لأسبحَ فى النو ... رِ على قمـــة الفضاء الرحيب
حيثُ تأوى فى قبة الخلد أرْوا ... حُ البهاليل من بُناة الشعوب (١)
تأخذُ العينَ بالسَّنا ويفوحُ الأ ... رجُ من حولها بأذكى الطيوب (٢)
فتسمعتُ نبـــأة هفت الأسما ... عُ منها إلى بَشير حبيبِ
هَتفتْ عـــذبةٌ فلاحَ وقارٌ ... يتجلى من وجـــه شيخ مهيب
قالَ : من سُنة الطبيعة أن يَبْـ ... سِمَ وجـــه الحياة بعد القطوب
يَدْلهمُّ الدجى فتنتفض الآ ... مالُ شوقاً إلى صباح قشيبِ
فإذا النورُ راقصٌ رقصة المو ... جِ على مَسرح الخضم الرغيب (٣)
سَيعيدُ التاريخُ ما كان بالأمْـ ... سِ فتبدو ذُكاهُ بعـــد المغيب
قلتُ : أفصحْ ، فربما كانَ مثلى ... فى اكتناه اللبابِ غيرَ لبيب

* * *

قال كان الشام العزيز لعهـــدى ... مثل مصرٍ يشكو سُعارَ الخطوب
زَحف الغربُ يستحث الرزايا ... مزبدات فى موج جيش صليبي
فجّر الأرض بالدماء وفاض الد ... مع من فوقها كغيث صبيبِ !
عاصف يمحق الزروعَ ويرمى ... أهـلاتِ القصورِ بالتخريبِ

---

(١) البهاليل : السادة . (٢) الطيوب : جمع طيب . (٣) الرغيب : الواسع .

رام سحق الإسلام فى موطن الإسـ ـلام إذ شن جائحات الحروب
فشكتْ يثرب ، ومكةُ دوّتْ بالنحيب لرنان إثرَ النحيب
والمحاريبُ كالمآذن تدعـو دعـوة الضارع الشجى الحريب
عصفتْ نخوتى وفارتْ عـروقى فتقدمتُ لانتقام رهيـب
قلت لا بد أن أوحـد قومى وبهمْ أتقى بهبّ الكروب
فالتقتْ مصرُ والشآم معـا فى وحـدة ضمـدت نخين الندوب
وحشدت الصفوف حولى وداهمتُ قوى الظالمين غير هيوب
كم كمى من البواسل عندى علّم الضاريات صدق الوثوب
الصناديدُ هاجهم هائج الشر خفـوا إلى الحمى المسلوب
يغتذى من دمائهم وهجُ الحقـد وللحقد حرقة كاللهيب !
أكبر الحقد إذ يشب على باـ ـغ أثيم فى قلب شهم غضوب
إنه الثأرُ للكرامة يمحو حسرة العار بابتهاج القلوب
رُوّع الغاصبُ الدخيلُ لزحف سد فى وجهه طريق الهروب
حاول الكر واثباً فرأى الكر نذيراً بهول يوم عصيب
فانثنى ينشد الفرار وأطبقنا عليه بجاحم من شعوب (١)
فتهاوى على الدروب قتيلا دنستْ منه طاهراتُ الدروب
هكذا الوحدةُ الأبية أهدت رايةَ النصر للثرى المغلوب
قلت : من أنت ؟ قيل هذا صلا ح الدين فاهتز خافق بالوجيب
حدثتنى نفسى به إذ عرفتُ البطل الفذ من صدى الأسلوب
وجلا بسمة فلاح وقارْ يتجلى من وجه شيخ مهيب !
ثم والى الحديث : مر زمان سارت الشمس فيه نحو الغروب
فإذا الشرقُ والعروبة أربا ض تدجت بحالك غربيب (٢)
نعق البوم فى مرابعها السحم ودوت غرباتها بالنعيب (٣)
اللصوص الأوغاد عادوا إلى الشـ ـرق فساموه قسوة التعذيب
ذهبوا بالدم الصبيب نواحيه فأضحت وحشية التذهيب

(١) شعوب : الموت (٢) غربيب : أسود (٣) السحم : جمع سحماء هى الظلمة .

سلبوا خيره ليحيوا بما غا لوا من الرفاهة والرخاء الخصيب
وذووه إن اشتكوا صولة البغى تنتهم بشاعة التذهيب !
حذق الغرب كل دهياء ترثى شرها الجم حنكة التجريب (١)
فقرنسا كانجلترا تستبيحان بمصر وأختها كل حوب (٢)
فصموا وحدة العروبة كى يهووا على أهلها حداد النيوب
ثم زادوا ففجروا فى فلسطين براكين من اظىً مشبوب !!
علة أعضلت وليس سوى الو حدة فى برء دائها من طبيب
خاطر جاش فى فؤادى فغرد ت أناجيه كالخيال الحبيب
تمنيت أننى أدع الخلد بما فيه من صفاء وطيب
ثم آتى الحياة كى أجعل الحـ ـلم عياناً يزيل مض الكروب
ما أحب الحياة يحتازها الليث ببأس جلد وعزم صليب
غير أن الهتاف فى مصر دوى فتسمعته بقلب طروب :
صاح فيها « الرئيس » بالوحدة الكبرى فألق «شكرى» أعز مجيب
وضعا محكم الأساس لصرح شاهق صدّ كل ريح هبوب
أرأيت السحاب جاد على البحـ ـر بفيض من الحيا المسكوب
فعلا الموج ثائرا يقذف اللجـ ـج ويرمى بدافق شؤبوب :
ما يصادفْ من الحوائل يحطمه فينهدّ كانهيار الكثيب :
هكذا الوحدة الأبية غالت شائنيها فى زحفها المردوب
زحزحت كل عائق وترامت تستحث الخطى النصر عجيب
بزغ الصبح صبحها فتهادى الشرق زهواً فى ضوئه المحبوب
وغداً يغمر الضحى كل شعب عربى يبغى اقتياد الشعوب !
إن من سنة الطبيعة أن يبـ ـسم وجه الحياة بعد القطوب
يدلهم الدجى فتنتقض الآمال شوقاً إلى صباح قشيب
يقفر الموج من تعاشيبه الخضر فما فيه غير محل جديب
ثم يأتى الربيع مؤتلق الوجه فيكسوه كل زاه رطيب

(١) ترثى : تزيد . (٢) حوب : ذنب .

قال ما قال واستراح فراغ الخلد بيان ساحر موهوب
سل فى عصره السيوف فلما ورد الخلد سل سيف الخطيب
وتقدمت أستزيد فشعت بسمة لألأت[1] بشر خلوب
قلت : هذا تفاؤل قال بل حق أكيد يجب زيف الريوب
قلت : أين الدليل ؟ قال جلى ليس فى حاجة إلى تنقيب
ومضى فى تساؤل هفت الأر ض منه إلى بشير حبيب

* * *

قال : هل ثم أجنبى دخيل قلت : كلا ، قد بان كل غريب
قال : هل ثم ذلة وانهيار قلت : بل عزة الحسيب النسيب
قال : هل فى الصفوف بعض اختلاف قلت : إجماع معشر مستجيب
قال : ما كان موقف الغرب منكم قلت : أمسى بلوعة المنكوب
أبرم الخطة الدنيئة للغز و وولى بصفقة المغلوب
قال : حدث عن اليهود بأمر ائيل قلت ابتلوا بشر حزيب[2]
هاجهم سؤدد العروبة فارتا عوا يشقون سابغات الجيوب
أيقنوا أن وحدة ذات بأس سوف تودى برهطهم عن قريب
قال : ما تبتغون ؟ قلت سلام تتصافى لديه كل القلوب
قال : أين السبيل ؟ قلت حياد حال بين التشريق والتغريب
نحن فى شرعة المساواة أندا د فمن شذ ، باء بالتثريب[3]
قال : فيما ذكرت أقوى دليل زاد من غبطتى فيا نفس طيبى

* * *

ومضت لحظة فشطت عن العين تهاويل عالم محجوب
فأتيت الحياة أعلن ما كا ن لقومى ولم أكن بكذوب
أرصد الوحدة التى تشمل العر ب جميعاً مع الغد المرقوب[4]
آه من لى بساعة كالتى مرت سريعاً على ضفاف الغيوب

محمد رجب البيومى

(١) لألأت : أشرقت . (٢) حزيب : مهلك . (٣) التثريب : اللوم . (٤) أرصد : أرقب

بريد المجلة

إلى الأستاذ محمد زكى عبد القادر :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته . وبعد :

فإنا نعتقد أن الغيرة على الأزهر تكاد تكون طبيعة فى نفس كل مسلم بل فى نفس كل عربى ، فلا عجب - يا أخى - أن يخط قلمك ويسجل ما تراه واجباً على أمتنا نحو هذا المعهد العتيد الذى جعله الله قوة واضحة الأثر فى مجتمعنا بل فى العالم الإسلامى عامة .

ونحن إذ نحيى فيكم روحكم الغيور ، لنرجو من صميم قلوبنا أن يقتدى بكم غيركم ممن يملك سبيل النقد والتوجيه فى هذه الفترة الحاسمة على الأزهر وما يشعه من نور وهداية ومعرفة على المسلمين فى جميع البقاع .

والحق يا أخى أن الأزهر فى عهده الجديد ليس فى عزلة ، ولا هو يعرف العزلة وإنما هو وطيد الصلة بالمجتمع - مجتمعنا الأكبر الذى يتسع لرسالة محمد بن عبد الله ، ذلكم أنه ما من مشكلة دينية أو اجتماعية أو ثقافية أو توجيهية ، إلا كان له فيها رأى ولعلمائه فيها فكرة ، ولهم فيها نشاط . وأنه ما من مناسبة من المناسبات الوطنية أو العالمية إلا أسهم فيها بكل إمكانياته ومقوماته .

لقد وقف الأزهر سدا عاليا فترة حاولت فيه بعض المبادئ الهدامة أن تتدفق إلى أرضنا الطيبة فحال دون هذه المبادئ أن تجد السبيل إلى صرحنا المكين فأصدر البيانات القوية ، ونظم الدراسات التوجيهية للسادة الوعاظ ، مما كان له الأثر الطيب والنتيجة الرائعة .

إننا جادون دائما فى أن نربط بين الأزهر كشعلة مضيئة فياضة بالعلم والمعرفة وبين مقتضيات الحياة التى يراها الناس أمراً ضروريا فى حياتهم وفى اتجاهاتهم . فلأول مرة يصدر الأزهر كتابا فى الفتوى يجمع بين احتياجات المسلمين على اختلاف أجناسهم ويحقق الترابط بين ما جد من أمورهم وبين الشريعة الغراء ، ولأول مرة يصدر الأزهر مؤلفات قيمة تحيط بجميع النواحى الإسلامية المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله فى قالب أخاذ يستميل النفس والمشاعر إلى ما حقق الإسلام من عدالة وتوجيه ، معالجة بذلك مشاكل المسلمين الدينية والاجتماعية بل السياسية أيضاً . فهذا كتاب « من توجيهات الإسلام » ، « وكتاب الإسلام عقيدة وشريعة » ، « والإسلام والعلاقات الدولية » ، الخ .

إن رسالة الأزهر التى تنفذ إلى القلوب والتى تنبثق منها القوة الفعالة لا بد لها من أيد أمينة تعاون على حملها ونشرها فى العالم أجمع حتى يتم الترابط الوثيق بين حالة الأزهر

ومقتضيات الحياة على اختلاف مقاصدها وأنواعها. ومع وجود عناصر الخير وحب النهضة للأزهر كدعامة قوية من دعامات الخير في أمتنا، نجد الصحافة - وهي الأيدي الأمينة التي ينبغي أن تعاون الأزهر على أداء رسالته خير أداء. نجدها - مع تقديرنا لمهمتها الإنسانية الكريمة - لا تعطي الأزهر حقه الكامل من الاهتمام والتقدير، فهل تتخيل يا أخي أن البيانات الناهضة، والتوجيهات السامية التي يخرج بها الأزهر على الناس تضن الصحف بنشرها، وإذا ما نشرت فقد تختزل إلى حد قد لا يمكن القارئ من الوصول إلى الغرض المقصود.

إننا نعتقد أن الصحافة من أقوى الأجهزة التي تعين على نشر الوعي، وتثبيت قواعد النهضة التي نرجوها لأمتنا، والأزهر في حاجة إلى هذا الجهاز الموجه. يحتاج إلى معاونة المخلصين من أبناء الصحافة التي ينبغي أن تؤمن بالأزهر كعامل فعال من عوامل نهضتنا، وقوة روحية من قوى الخير.

إننا لنطمئنكم على هذه القوة النابعة من الأزهر، نطمئنكم على أنه اليوم أشد منه قوة بالأمس، مع بقائه حفيظا أمينا على تراث أمتنا، ومعينا يرده كل مسلم وينتهل منه كل محب للإسلام، وسيظل أبداً راعي المثل والقيم والمبادئ، فلا تستطيع المبادئ الهدامة أن تجد لها مكانا في أمتنا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته؟

عبد الحكيم سرور

مدير مكتب شيخ الجامع الأزهر

مقال الجبهان والشيعة:

لاتزال الضجة قائمة بين علماء المسلمين وعقلائهم على الكتاب الشديد الذي وجهه إبراهيم الجبهان إلى فضيلة الأستاذ الأكبر في مجلة (راية الإسلام) التي تصدر في الرياض باعتباره داعيا إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية. فقد تلقى مكتب شيخ الأزهر سيلا من البرقيات والرسائل من مختلف البلاد العربية والإسلامية يحتج فيها مرسلوها على ماجاء في هذا المقال من الطعن في مذهب الشيعة في الوقت الذي يعمل فيه زعماء المسلمين على توحيد الكلمة وتوكيد الوحدة. والمقال في ذاته لا يستحق هذا الاهتمام لأنه رأي كاتب غير مسئول أخطأ الصواب فيما كتب، ومجلة غير رسمية خانها التوفيق فيما نشرت. وليس الكاتب سعوديا فقد تبرأت السعودية من فعلته، ولا كويتيا فقد أخرجه الكويت من أرضه. والوحدة الإسلامية أقوى من أن ينال منها مثل هذا العبث، والطائفة الشيعية أوسع صدراً من أن تضيق بهذه الجرأة. وقديما افترى أهل الفتن مخدوعين أو مدفوعين فذهب الباطل وبقي الحق.

هذا وقد تلقينا صورة من الكتاب الذي رفعه جماعة من أهل العلم في النجف إلى فضيلة الأستاذ الأكبر حول هذا الموضوع هذا نصه:

فضيلة العلامة الجليل الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر سلمه الله تعالى: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد، فقد قرأنا

الكتاب الذى وجهه إلى فضيلتكم المدعو إبراهيم جبهان ونشرته مجلة راية الإسلام الصادرة فى الرياض بعددها الخامس .

وهذه المجلة كما تدل عليها مواضيعها وتبنيها لأمثال هذا الكاتب إنما هى راية نشرت على الإسلام وتسترخلفها أعداء الإسلام وخصومه من ساءهم أن ينادى المصلحون من علماء النجف الأشرف والأزهر الشريف أمثالكم إلى العمل على توحيد كلمة المسلمين والقضاء على الرواسب المفرقة التى خلفتها القرون المظلمة بوحى من الأعاجيب السياسة، وجاء المستعمرون ودعاة الكفر والإلحاد فعمقوا جذورها وأثقلوها بأرزاء باعة الضمائر ممن تسوروا على الإسلام بما استأجروه من أقلامهم وذلك حين أحسوا بخطر الدعوة الإسلامية على مصالحهم فى البلاد الإسلامية فأرادوا إلهاء المسلمين عن واقعهم وإبعادهم عن روحية مبدئهم المقدس بإثارة معارك جانبية من قبل هؤلاء المأجورين ولو قدر لها أن تستمر لكان من أولى ضحاياها الإسلام نفسه فضلا عن البلاد الإسلامية ومقدساتها .

ولاشك أنكم قرأتم ذلك الكتاب وشممتم فيه رائحة (النفط) كما شممنا منه ذلك وأدركتم مغزى صدوره فى هذا الوقت بالذات حيث تكشفت ملامح الصراع بأجلى صورها بين الكفر بمختلف واجهاته الاستعمارية والإلحادية والطبقة الواعية من المسلمين على اختلاف مذاهبهم . وإلا فبماذا تفسرون صدور مثل هذا التجنى والافتئات والدس الرخيص على أعز مقدساتنا وأغلاها من هذا المتكلم باسم الإسلام وهو أبعد ما يكون عن تمثل روحه ومبادئه بلغة لم يسبق أن انحدر إليها أحد من عملاء الكفر والإلحاد قبله . أليس معنى ذلك أن أسياده من المستعمرين بدءوا يحسون عمق ما تركته دعوتكم الإصلاحية فى كيانهم من غور وبخاصة بعد أن عززت من قبل إخوانكم علماء النجف والأزهر وقم . وتنادى لها المصلحون فى كل مكان شاعرين بجدوى مثل هذه الدعوة فى القضاء على جذور التفرقة من الأساس واعتبار المسلمين جبهة واحدة أمام مطامعهم الاستعمارية والتبشيرية فى بلادنا .

إننا يافضيلة الشيخ لم نكتب إليكم هذا الكتاب لنردوا على هذه الأفاك فإنكم أسمى من أن تهبطوا إلى مستوى أمثاله وإنما كتبنا إليكم لتنشروا على الناس بيانا يعرى أمثاله من عملاء الاستعمار ويؤكد دعوتكم الجليلة لتوحيد الكلمة ويحذر المسلمين من أن يندس فى صفوفهم أمثال هؤلاء فيلهو هم عن قضيتهم الكبرى فى مكافحة الاستعمار بمختلف واجهاته وتطهير البلاد من جراثيمه الفتاكة . أخذالله بيدكم لنصرة الإسلام والمسلمين وأبقى لكم التأييد والتسديد والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

* * *

حول تحرير العروض :

فى عدد « رجب » من مجلة الأزهر الغراء .

نشر الأستاذ الفاضل الشيخ على العمارى تعقيبا على مقالى فى العدد الأسبق من المجلة ، جاء فى الآخرة ، والذى كان عنوانه ، المصطلحات العروضية ، وقد لخص الأستاذ العمارى - مشكوراً - الأسس العامة للتخفيف من المصطلحات العروضية وهى الأسس التى ذكرتها فى مقالى . كما ذكر ملخص الفصل الخاص بذلك ، من كتاب موسيقى الشعر للدكتور ابراهيم أنيس .

وقد أشار الأستاذ العمارى إلى أن ملخص نظريتى ونظرية الدكتور أنيس منقول عن كتاب العروض والقوافى للمرحوم الشيخ عبد الفتاح بدوى .

ولقد توقعت حين ابتدأت فى قراءة مقال الأستاذ العمارى أن أجد مستنداً يثبت النقل ، أو نصاً متشابهاً ، أو فكرة متحدة . فلم أجد .

ولقد اشتبه الأمر على الأستاذ العمارى ، فظن أننا نحن الثلاثة قد اتفقنا فى الفكرة .

وعلى فرض هذا كان من المتوقع حيث لم يجد اتفاقا فى التعبير أو تحديد الفكرة ، أن يعزو هذا إلى توارد الخواطر ، ولكنه على العكس تسرع فأصدر حكمه - سامحه الله - باستبعاد فكرة توارد الخواطر .

والحقيقة التى نود إيضاحها هنا تتعلق بمسألتين : الأولى كتاب الشيخ بدوى ، والثانية نظرية التجديد فى العروض .

أما المسألة الأولى : فإننى أقرر أنه لم يقع لى كتاب المرحوم الشيخ عبد الفتاح بدوى ولم أسمع به إلا حين قرأت مقال الشيخ العمارى . والكتاب لم تنشره إحدى المكتبات . كما روى لى ذلك الشيخ العمارى نفسه ، والعهدة عليه ، فقد أوضح لى أن الشيخ بدوى - رحمه الله - طبعه لحسابه فى إحدى المطابع وتولى توزيعه بنفسه بصفة ملازم على طلابه ، وأن الشيخ العمارى أسعده الحظ باقتناء نسخة منه . وقد ذكر لى الشيخ العمارى أن بعض الأساتذة الفضلاء مثل الأستاذ « الشايب » لديه نسخة من هذا الكتاب وقد اتصلت به ، فبحث فى مكتبته والآن لم يعثر عليه ، وكذلك لم أعثر على الكتاب فى دار الكتب الأزهرية ولا فى مكتبة كلية اللغة العربية .

هذا وقد أخبرنى فضيلة الشيخ محمد سرحان الأستاذ بكلية اللغة العربية : أن الكتاب لم يكمل ، وأن لديه الملازم الأولى منه . وهى كل ما طبع من الكتاب .

وإضافة إلى ذلك فقد ذكر الشيخ على استبعاد اتصالى بالشيخ بدوى ؛ لأننى كما ذكر فى مقاله كنت مازلت طالبا بالثانوى ولكنه استبعد عدم اتصال الدكتور أنيس بالكتاب لأنه كان يقوم بتدريس العروض فى كلية اللغة العربية وقتاً ما وقد اتصلت بالدكتور أنيس فنفى ذلك نفيا باتا واستغرب أن يكون قد اطلع على كتاب ولا يذكره فى ثبت مراجعه لكتاب موسيقى الشعر . على حين أنه ذكر من بين تلك المراجع كتاب « أهدى سبيل فى علم الخليل » للأستاذ محمود مصطفى هذا وموسيقى الشعر قد ظهر منذ أكثر من عشر سنوات . وكتب عنه الدكتور شوقى ضيف فى مجلة الثقافة عام ١٩٤٩ - والأساتذة العراقيون فى مجلة

الرسالة . ولم يشر واحد منهم إلى هذه المسألة ، فلماذا لم يكتب عنه الشيخ العمارى للآن ؟ .

وأما المسألة الثانية ، وهى التى تتعلق بفكرة تجديد العروض تتلخص فى أننى أنهى قبل ، قيامى بتدريس هذا العلم فى كلية دار العلوم أخذت أبحث عن طريقة تبسط قواعده ، فراجعت كثيراً من الكتب ومن ضمنها « موسيقى الشعر » واهتديت إلى أساس يمكن أن يتخذ نقطة بدء للتبسيط . وفكرتى مغايرة لفكرة الدكتور أنيس ، وهما مغايرتان لفكرة الشيخ عبد الفتاح بدوى كما يذكرها الشيخ العمارى .

ففكرة الشيخ ـ رحمه الله ـ ترجع البحور كلها لبحر واحد . وفكرة الدكتور أنيس تختصر عدد التفعيلات . أما فكرتى المتواضعة ، فترتكز على أساس عدم الربط ، وفك الصلة بين الدوائر وبين البحور ، وكذلك عدم ربط الزحافات بالتفاعيل وذكرت بعض النتائج التى تترتب على ذلك .

فالنظريات الثلاث ـ إن ساغ لنا أن نسميها بذلك ـ تختلف بعضها عن بعض . وإن كان الهدف واحداً وهو تبسيط العروض .

وزيادة على ذلك فإنه لم يخطر ببالى مطلقا أن أدعى لنفسى السبق أو التفرد فى هذا المضمار ، بل على العكس ذكرت فى آخر مقالى : أننى استفدت من بحوث المتقدمين ومن بينها بحث الدكتور أنيس . فبحثى يعتبر مكملا له ، وإن اختلفت الزاوية التى ينظر منها كلانا للموضوع .

ثم أردفت ذلك بأن هذا مجهود مبدئى يحتاج إلى أن تعقبه مجهودات أخرى . أو بعبارة ثانية . أتوقع أن تسنح لى الظروف أو لغيرى باعتناق فكرة التيسير وحلها من زاويته الخاصة . سواء أكان ذلك الغير عربيا أم مستشرقا . فالعلم لا وطن له . وكلنا يذكر أن العلوم الأدبية عند العرب لم تكن مجهود فرد واحد ، بل كانت مجهود أفراد متعددين ، فالنحو مثلا لم يضعه سيبويه وإنما كان مجهود ثلاث طبقات قبله من النحويين .

دكتور عبد الله درويش
الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم

حول كتابة المصحف بالإملاء الحديث :

جاءنا من الأستاذ عبد المحسن سليمان المشرف على قسم القراءات بالأزهر ، رد على الأستاذ محمد رجب البيومى فيما نشره عن كتابة المصحف بالإملاء الحديث قال فيه بعد مقدمة لا تدخل فى باب المجادلة بالحسنى :

« كتب القرآن فى الصحف فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . وكتب فى عهد الخليفة أبى بكر الصديق ، وكتب فى المصاحف فى عهد الخليفة عثمان بتكليف منه لزيد بن ثابت واشترك معه الصحابة ـ ولا يخفى أنهم كانوا كتاب الوحى ـ وأقرهم الرسول وأبو بكر على ما كتب فى صحفهم ثم تمت كتابة المصحف فى عهد سيدنا عثمان على الرسم المعروف بالعثمانى بإجماع الصحابة ـــ ولهذا الإجماع أصبح الرسم العثمانى سنة متبعة لا يقف أمامها

رأى فيلسوف أو ملحد بعد ذلك . وإلى ذلك أشار العالم الشنقيطي في كتابه المسمى بكشف العمى بقوله :

رسم الكتاب سنة متبعة
كما نحا أهل المناحي الأربعة
لأنه إما بأمر المصطفى
أو باجتماع الراشدين الخلفا
وكل من بدل منه حرفا
باء بكفر أو عليه أشفى

فإذا ما كتب المصحف بالرسم الإملائي الحديث كاقتراح الكاتب فمعنى ذلك أن تكون القراءة تابعة للكتابة — إذا ماذا نفعل في مثل - كهيعص وفي (يوم يأت لا تكلم) ، والظنونا ، — لا شك أننا سنثبت الياء في (يأتي) ونحذف الألف في (الظنون) تبعا للقاعدة الإملائية ، ولاشك أن اللفظ القرآني سيتغير . إن رسم القرآن الكريم معجز كما هو معجز في معناه . . وقد كتب هكذا ليحمل الروايات الصحيحة التي نزل بها القرآن الكريم ، فمثلا (وإيتاء ذي القربى)(والعلق) وهكذا بزيادة الياء والواو إشارة إلى قراءة حمزة عند الوقف : (وملك يوم الدين) بحذف الألف إشارة إلى قراءة من حذف الألف . والألف مقدرة عند من يثبتها وحذف الياء في قراءة (ما كنا نبغ) إشارة إلى لغة هذيل — ولو أثبتناها لضاع اللفظ القرآني بهذه الرواية — وهكذا على سبيل المثال لا على سبيل الحصر .

إن الإمام مالكا رضي الله عنه حذرنا من الإقدام على مثل ما يقترحه الكاتب ، وهو تابع للتابعين - وإمام دار الهجرة وحذرنا من كتابته بالرسم الإملائي حيث يقول الإمام الشاطبي في العقيلة: (وقال مالك القرآن يكتب بالكتاب لولا مستحدثا سطرا) إننا نحسب أن يطالب الكاتب بإعادة فتح مكاتب تحفيظ القرآن في القرى وغيرها وتشجيعها كما كانت قديما . كانوا يحفظون القرآن صغارا وكبارا عن ظهر قلب — والقرآن هكذا يرسم منذ عهد الصحابة للآن لم يقف حائلا بينه وبين حفظته — فأين نحن الآن من التلامذة الذين كانوا يحفظونه في سن مبكرة - رحم الله تلك الأيام التي لو قام فيها المبتدئ وقرأ (أفلم ييأس الذين كفروا) لقامت الدنيا وقعدت - فما بال الكتاب الذين يدعون العلم اليوم وهم لا يعلمون

لقد أخطأ الكاتب ومن شايعه إلى ابن خلدون ونسي أو تناسى أن التغيير الذي حدث في عهد أبي الأسود والخليل بن أحمد لم يكن في صلب الرسم . ولكنه كان في الشكل والنقط ، وبديهي أن الشكل والنقط ليسا توقيفيين ولم تجمع عليه الصحابة ولم يكن موجودا في عهد الخلفاء ، ولا في عهد عثمان رضي الله عنه حتى يقرهم عليه كما أقرهم على الرسم . وإلى ذلك أشار الإمام الشاطبي بقوله :

(فجردوه كما يروى كتابته
ما فيه شكل ولا نقط فيحتجرا)

ومن هنا جاز الشكل والنقط لأنه لم يغير من الرسم شيئا. أما تغيير الرسم فلا فرق بينه وبين ما عزمت عليه وقامت به إسرائيل من تحريف فى طبع المصحف وتوزيعه ، بل هو فرصة لتنفيذ أغراضها فى ظل هذا الغبار المصطنع .

إن الهجاء الإملائى عرضة للتغيير والتبديل حسب ما تقتضيه العصور ، والقرآن ليس كذلك « تنزيل من حكيم حميد » لا يتبع الأهواء ، ورسمه هكذا حق مؤبد (والحق أحق أن يتبع) .

إننا ننتظر بعد ذلك أن يعلن شخص آخر أن التلاميذ الأجانب لا يعرفون القرآن بالرسم العربى ، ولذلك فإنه يقترح أيضاً أن يكتب المصحف بالرسم الانجليزى أو الألمانى وإلغاء الرسم العثمانى .

« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ، ورحم الله الإمام البيهقى إذ يقول فى كتابه شعب الإيمان : (من يكتب مصحفا فينبغى عليه أن يحافظ على الهجاء الذى كتبوا به تلك المصاحف ولا يخالفهم فيه ولا يغير مما كتبوه شيئاً ، فإنهم كانوا أكثر علما ، وأصدق قلباً ولسانا وأعظم أمانة فلا ينبغى أن نظن بأنفسنا استدراكا عليهم) انتهى بلفظه .

والأستاذ محمد رجب البيومى يقول :

حاولت أن أجد فيما نشر بالجزء الأخير من مجلة الأزهر حول مقالى عن تغيير رسم المصحف العثمانى ما يقنعنى من الرأى فلم أوفق ، إذ أن من عارض فكرتى من القراء قد سلك فى النقد مسلكا خطابيا يعوزه البرهان الدقيق ، وماذا نقول فيمن يتمسك بالرسم العثمانى ، لأن المدرسين الأوائل من عهد عثمان لم يغيروه ، ولأن نقولا كثيرة لبعض الأئمة تدعو إليه ، وتشدد فى وجوب اتخاذه ، ولأن بعض المستشارين بمجلس الدولة أيدهم فى حكمه القضائى ، أليس فى مقالى السابق ما يدحض ذلك كله ؟ فهل أكرر ما سطرت من جديد ، أو أدعو الناقدين إلى معاودة القراءة عن تؤدة وإمعان ، وإذا كانت الدهشة قد استولت عليهم حين وجدوا عالما أزهريا يدعو إلى تغيير رسم المصحف ، فماذا تصنع بهم الدهشة حين يعرفون أن عالما أزهريا جهيرا كالأستاذ حسين والى قد دعا إلى ذلك ، وهو رئيس لجنة الفتوى بالأزهر وأحد أعلام جماعة كبار العلماء وأئمة المجمع اللغوى ! ! على أننا لا نتعبد بالأسماء ولكننا نسجل على أنفسنا أننا متبعون لا مبتدعون ! !

محمد رجب البيومى

choisir l'opinion juridique la plus appopriée et de doener la préférence à l'avis le plus heureux.

L'historien El Kandi rapporte dans son ouvrage intitulé " Al Woulles Wa Al Koudates " (Les Walis et les Juges) qu'un juge, adepte de l'Ecole Chaféite, vivait au Caire au emps du grand savant Al Imam Al-Tahawi. Ce juge était connu par sont intégrité sa foi solide et sa liberté de fonder son jugemeut sur l'avis qu'il estime equitable prenant les avis de toutes les doctrines sans-se borner à l'une d'elles et il prouva; son tinte ment un jour il sollicita l'opinion du grand savant relativement à une question d'ordre juridique charéi. Le savant lui demend : " Vous sollicitez mon opinion ou celle d'Abou Hanifa ? ".

"Et pourquoi donc cette interpellation ?„ ' demande le juge'

El Tahawi réplique : "J'ai cru que vous me prenez pour un imitateur."

"Non, rèpond le juge, . Nul n'imite que le fanatique ou le sot."

Or, cette grande fortune juridique n,a été cachée aux hommes que par l'ancienne forme de rédaction. Aujourd'hui que le civilisation a évolué et que la mentalité a changé, il convient que les livres et l'enseignement aillent de pair avec les exigences du siécle.

Chers Auditeurs,

J'ai fini avec la troisiéme épreuve que traverse actuellement la langue arabe, sauf que dans celle ci l'attitude de l'Azhar doit être positive. Il doit, pour détourner cette épreuve, opposar l'action à l'action, la vigilance à l'ntrigue, et la propagande à la propagande.

Il doit se tenir toujour en èveil pour confondre ceux qui essaient, soit par passion, soit par ignorance, d'altèrer la langue de Musulman et d'affaiblir le lien qui unit les Arabe.

Les Azharistes qui ont si bien gardé le dépôt de Dieu et porté aux peuples la missive de son Prophéte durant plus de dix siécles, sont à mêmede détourner le danger de ces écoles libertaires et de cette anarchie littéraire pour protéger la langue et la religion, et, ce, en se jettant de tout cœur dans la lutte et en se souvenant qu'ils sont les soldats de Dieu qui les opposé à l'ennemi à chaque moment, en quelque lieu et sous n'importe quelle forme. Ils doivent ainsi vivre pour la mort en soldats, travailler pour la vie, comme les généraux et se détourner des biens de ce monde comme les Apôtres.

Hommes de l'Azhar, Croyants et Fidèles :

Le Très Haut a promis d'assurer à la langue arabe la vie ne son éloquence par la vie du Coran et c'est par vous, comme par nous, vos aides, que Dieu Soit Loué, a tenu sa promesse.

poétes continua à faire usage de l'arabe correct, pour tenir la corrspondance des rois, ou pour composer des livres à l'usage des classes instuites et cultivées. c'est ainsi que la laugue vulgaire domina la vie de la nation et prit le dessus dans les affaires publiques comme dans ses différents buts. car la langue populaire est libre et n'admit pas les restrictions. Elle est naturelle et rejette tout art. Elle recoit tout ce qu' on lui donne, emrpunte à toute langue et à toute forme d'expression, selon n'importe quelle régle. Pour se comprendre entre eux, les hommes préférent le facile. Ils sont de l'usité qui est à leur portee. le retard apporré par une llangue à suivre la marche du temps et à s'accorder avec la vie signifie pour elle l'inertie. Or, la fin certaine d'une langue inerte est la mort résulrant de l'avantage pris sur elle par les dialectes populaires qui finissent par prendre ses lieu et place.

L'Académie de langue Arabe s'est rendue compte de ce danger er a donné suite à une proposition que j'ai faite et qui tend à :

1) libérer l'application des règles de grammaire de façon à régir indistinctement le régulier et l'irrégulier.

2) libérer également de la restriction du temps et des lieux, les mots qui ont été introduits dans la langue par oui-dire, de façon à ce que l'on admette, comme arabes, les mots que l'on entend de nos jours des différentes classes de la société, comme les maçons, le menuisiers et autres gens de métiers ou d'arts.

3) Ouvrir aux contemporains la porte de formation et d'introduction dans la langue arabe de nouveaux mots, et ce en ayant recours, soit aux préfixes, suffixes et dérivés, soit à l'improvisation.

4) Reconnaitre en conséquence, comme arabes, les nouaeaux mots qui seraient ainsi introduits dans la langue, au même titre que les anciene.

C'est en s'inspirant de ces directions et d'autres que l'Académle a préparé son dictionnaire "Ai Wassitt' qui paraitra prochainement.

Quant à l'innovation dans la jurisprudence en matière religieuse (Al Igtihad), les portes de cette science ont été originairement ouvertes par des savants maitres qui furent à la hauteur de leur tâ che, Mais, une fois que ces sciences ont été complétées et établies à travers les siècles, sur des bases solides et sur des opinions sages à mêne de satisfaire doux les besoin sociaux, à répondre aux questious des adeptes de toutes les écoles doctrinales et à donner solution à doux probleme qui survieux les savauts, se sont passés de l'innovation ayant des richesse en abondance el leurs effarts se sont dirigés vers une autre variété de jurisprudence, celle de trier et de

La différence entre les livres de l'Azhar et les livres moqernes d'enseignement, est celle existante entre une boutique à Ghourieh et une maison de commerce à Kasr El-Nil. Il se pourrait que la vieille boutique contienne des marchandises et des objets d'art introuvables au grand magasin mais le fait de les tenir cachès dans un coin invisible et de ne pas les exposer convenablement diminue leur valeur et en détourne l'acheteur.

Or, si nous étalons les trésors de l'Azhar dans une belle exposition qui attire par ses leçons, ses conférences, ses mémoires et ses livres, nous rendons ces trésors accessibles aux étudiants qui pourront en rovfiter et en saisir les beautés, sans peines ni dur labeur.

***

La mission de l'Azhar s'asseoit, comme je viens de le dire, sur deux bases : la religion et la langue. Mais les moyens qu'il doit employer pour remplir sa double mission sont tout à fait différents. La religion est parfaite parce qu'elle est l'œuvre de Dieu, mais la langue est imparfaite étant l'œuvre de l'homme. Le perfection divine ne s'altère ni par le lieu ni avec le temps. Elle n'est hostile ni à la civilisation ni à la science. Elle est toujours neuve, toujours bonne et à jamais immuable.

Par contre, l'imparfait est sujet à la décomposition, à l'inertie et au retard comme il est l'objet de la croissance, du renouvellement et de l'évolution. C'est pourquoi, l'innovation est une nécessité que la nature exige, car la langue ne peut demeurer immuable à l'instar de la religion, ni se tenir indépendante au même titre que le vivant. Elle est constituée par un ensemble de mots par lesquels chaque peuple exprime ses besoins, et les besoins ne finissent jamais, et les idées ne s'épuisent pas non plus. Les humains ne peuvent donc pas demeurer muets alors qu'ils voient et constatent que les besoine se renouvellent, que les indées renaissent, que la civilisation leur fournit journellement une nouvelle invention et que la science leur réclame des termes nouveaux.

Rien ne justifie ce mutisme sauf que les Bédouins, qui étaient assiégés dans les limites du temps et de l'espace, n'ont, en leur temps, pu prévoir ces choses pour leur donner les dénominations adéquates. De fait de la négation du droit pour les "Mouwalladines" (Arabes créoles) d'introduire de nouveaux mots dans la langue, (ce droit ayant été excusivement réservé aux Arabes régions sisesà l'intérieur7 de l'Arabie - Al-Amssar jusqu'à la fin du 2éme siécle de l'Hégire, et, aux Bédouins du désert jusqu'à la fin du 4iém siécle il est résulté que la langne vulgaire déborda l'éloquente et que, seule la classe des savants, des lettrés et des

des livres d'Al-Azhar comme Al-Akkad, El-Rafei, Chawki et Hafez Ibrahim en Egypte Al-Boustani, Al-Yazigui 'Al-Chidiac, Moutrane et Al-Khoury au Liban — Al-Maghrabi, Al-Chéhaby, Al-Gabri, et Al-Santawi en Syrie—Maarouf Al-Rassafi, Al-Zahaoui, Kachef El-Chatta, Al-Chabibi, et Al-Assari en Iraq — et enfin Al-Nashashibi et Al-Sakakini, en Palestine.

Mes Chers Auditeurs,

Je suis un fervent partisan d'une réconciliation entre la langue arabe éloquente et le dialecte parlé. A l'Académie de Langue Arabe, j'ai demandé à inclure dans la langue pure. les mots et les expressions dont fait usage le dialecte populaire pour désigner les noms des objets et des choses que la civilisation a introduites dans la Vie publique, ce qui limitera l'étendue de la difference existant entre les deux façons de s'exprimet et finira par les amalgamer en une seule langue grâce à la presse, à la radio et à l'école et ce en emprintant, à l'arabe pur, la correction, l'élégunce, l'éloquence et la noblesse, et, au dialecte, la finesse, le naturel, la vitalité, la nouveauté et la précision.

Quant à admettre que notre langue devienne comme celle des peuplades sauvages, c'est à dire sans règles, ni beauté, ni perffection, sans aucun lien qui rattache le passé au présent et à l'avenir et à l'avenir et sans aucune unité qui nous réunit; cela constituerait une erreur grave que personne ne saurait admettre et une fausse opinion que nul sage ne pourrait y souscrire.

Par contre, si nous laissons les choses en l'état où elles se trouvent, nous aboutirons au débordement du dialecte populaire, car, l'oreille s'y étant habituée et les règles en étant naturelles, on n'aurait pas besoin pour l'apprendre d'un livre, d'un professeur ou d'une école, mais bien d'un concierge, d'un domestique ou d'une rue.

Comme je l'ai déjà expliqué, le fait par langue populaire de l'emporter sur la langue éloquente signifie le détachement des lettres de la religion et du présent du passé ainsi que l'affaiblissement des liens qui unissent les Arabes entre eux.

D'autre part, je suis persuadé que pour remédier à cet état de choses et venir en aide à notre belle langue, il nous faudra pénétrer profondément ses secrets, comprendre à fond ses règles et apprendre complètement ses lettres. Cela exige, de notre part, de l'effort et du travail. Nous devons bien préparer le maître et le sujet. Nous devons recourir à l'expèrience pour établir les méthodes et les programmes, et au goût et à la logique, pour composer les livres. Or les livres que nous avons eu en mais pour nous instruire et dont nous nous ervons encore sont des trésors des sciences auxquels manquent cependant la facilité, la mise en ordre et la beauté de la présentation.

Ils en veulent à ceux qui leur conseillent de modérer leur hâte, qui les contraignent à un dur labeur ou qui leur expliquent que nul, dans le passé comme dans le présent, n'a pu devenir écrivain, poét, romancier ou autreur, sans avoir au préalable étudié et approfondi les régles fondamentales de sa langue, règles qui permettent d'écrir et de discourir correctement.

Si, en lisant un journal ou un livre, vous n'y relevez aucune faute de nature à découvrir le secret de la fraude, c'est bien grâce à l'effort et à la science de ces soldats inconnus, ces Azharistes de mérite qui veillent jour et nuit dans les bureaux de presse et de publicité et qu'on nome les "prôtes". Ils passent leur plume à l'encre rouge sur les fautes, redressent les erreurs et éliminent les mots inusités ou étrangers et donnent de la force aux expressions faibles.

Nous ne trouvons aucune objection à ce qu'on simplifie aux étudiants et aux éléves les régles de grammaire, de syntaxe et de rhétorique; mais les mal réside dans l'étendue de ces simplifcations. Aucun mal à supprimer, des manuels destinés aux débutants, les régles des "sous-entendus", des "justifications" et de la philosophie, de la langue, ou à éliminer les diverses possibilités ou variétés d'analyses que la langue a conservées. eu égard à la diversité des dialectes des arabes de la Gahileya, dialectes qui ont bouleversé la langue arabe à tel poin qu'ils ont même servi à justifier toutes les erreurs. Mais, tout le mal consiste à dégarnir les sciences arabes de tous les attributs de la force, de la fertilité et de l'art pour en faire un squelette qui jouit de la légéreté, de la forme et de la simplicité et auquel manquent les muscles, les uerfe et l'âme.

Que resterait-il de ces sciences ainsi diminuées et aussi sujettes à l'oubli? Peu de chose bien loin de suffire à la vie d'une langue et à l'existence d'un art littéraire. Ces restes peuvent suffire à passer un examen ou à obtenir un diplome. Mais ils ne peuvent certainement pas suffire à former ceux que l'Azhar a pu former avec ses livres et ses savants cheikhs, tels que :

1) Mohamad Abdou, Saad Zaghloul, Al-Manfalouti, Al-Bichri et Taha Hussein.

2) Ceux instruits à Dar El-Ouloum, tels que Abdel-Aziz Jaouiche, Al-Mahdi, Al-Khodary, Al-Sacandri et Al-Garem.

3) Ceux qui ont fait leurs études à l'Ecole des Juges Charéis, à n'en citer qu'Ahmad Amine, Azzam, et El-Kholi.

4) Ceux qui ont été étudiants à l'Ecole Normale Supérieure "Dar Al-Mouaallimine", tels que Choukri, Al-Mazini et Abou-Hadid.

5) Ceux enfin qui ont fait usage

advint aussi que les flots de la littérature europée ne débordèrent avec leurs nouvelles écoles pleines de lutilités et de fiel et que ces écoles influenceèrnt ces jeunes qui n'ont reçu qu'une molle et insuffisante culture arabe. Epris de l'enseignement de ces écoles, ces candidats se détournèrnt ee leur prore culture et oublièrent leur histoire. Ainsi, les "Françaisés" parmi eux connaissent, Victor Hugo; mais ne connaissent pas "Al-Moutanabbi", étudient "Voltaire" mais non "Al-Jahez", lisen "Lamartine" et ne lisent pas "Al-Badie Al-Hamazani": D'où cette sujétion imposée par notre jeunesse à nos lettres, au profit des lettres de l'Occident. Les formes de leur style sont celles des Européens, leurs écoles littéraires sont celles des auteurs occidentaux, ainsi que les mesures de leur art critique.

Ils voudraient même que la langue arabe, fille du désert découvert, du soleil levant et de la nature franche et souriante, adoptât le symbolisme, fils de l'horizon nuageux, de la langue bêguaieuse et de l'âme en complexe. Ils voudraient aussi que l'existentialisme, fils des moeurs en décomposition, du goût inverse et des sens libres, soit admis par la langue arabe, de la divine missive qui a ennobli l'homme et qui l'a distingué de l'animal, en lui retraçant des limites établies par la religion et les moeurs, limites qu'il est raisonnable, ni outrepasser tant qu'il demeure croyant.

Mes Chers Auditeurs,

Entre les lettres et la science, l'espace est vaste et la différence est bien grande :

Les lettres appartiennent à lâme et la science aux hommes. Les lettres sont citoyennes d'une même patrie ; et la science n'a point de patrie. Les lettres comme lâme dans le corps et coulent comme le sang dans les veines. Elles forment la personnalité de l'être pour qu'il vive indépendant par lui-même et distinct des autres. Elles révèlent et affirment la personnalité d'un peuple qui se distingue par les hommes qui le forment. Les lettres comportent une race, une langue, un goût, un milieu, une mentalité, une croyance, une histoire et des traditions.

Tout autre chose est la science.

Il nous est naturellement permis d'emprunter aux autres une part de leur science pour parfaire notre insuffisance et compléter ce qui nous manque ; mais il n'est point permis de leur emprunter ce qui représente nos âmes et nous-mêmes, soit une part des lettres. Le perfectionnement de l'étude de la langue arabe d'aprés les méthodes vraies et productives ne coûte Pas aux candidats plus d'efforts que l'étude du français ou de l'anglais. Malheureusement ils vivent dans le siècle de la vitesse et visent le proche facile. Ils ont hâte d'acquérir la science et de produire.

assimilent leur langue, et approfondissent ses lettres et qui savent pourquoi telle expression doit-elle prendre telle forme plutôt qu'une autre. Et, si ces belles figures venaient à disparaître, auraient elles des successeurs capables de garder le dépôt de la langue et porter loin la missive des lettres ?

C'est à l'Azhar qu'ils appartient de répondre. C'est lui qui, par as nature et sa raison d'être, se trouve être le rempart, le refuge et le sauveteur de la langue arabe dans le passé comme dans le présent.

Quant aux autres écoles, tout porte au pessimisme en ce qui les concerne. Elles appliquent une méthode pratique presque vide de règles et un enseignement superficiel et insuffisant qui ne visent que le succès, aux examens, de l'étudiant ou de l'éléve, par n'importe quel moyen. On y voit les cours se résumer en précis, et les Précis en résumés sténographiés. Qu'en reste t il dans la mémoire ? Des réminiscences d'idées flottantes et nuageuses, floues et imprécises, le tout ajouté au dégoût de l'étudiant de produire un effort utile pour cultiver la langue et la plume et pour appofondire le fond et soigner la forme. Il se contente en somme du peu qui lui permette le passage d'une année à l'autre ou l'obtention d'un certificat ou d'un diplôme.

Une fois que le jeune débutant quitté ces écoles, n'emportant qu'une faible notion de sa langue, mais se sentant cependant doué par la nature, et enclin vers les letteres il rejette les trésors de l'art littéraire arabe pour se tourner vers les chefs d'œvre de l'art de l'Occident. Il s'applique à en approfondi l'étude et à en saisir les beautés. Une fois qu'il les assimble, sa mémorie en déborde et ses sens se réveillent. Il a la volonté et le désir d'écrire quelque chose d'utile et il a le sentiment d'avoir la faculté qui crée et l'image qui plaît et qui réjouit; mais il ne possède pas la langue qui exprime ni la plume qui touche. Furieux et pris d'une rage impuissante, il a l'audace de prétendre que la langue arabe serait impropre à exprimer la pensée et que l'analyse des mots serait un obstacle infranchissable. Il va jusqu'à devenir extrémiste en incitant les écrivains à se libérer absolument de toutes règles et à écrire comme bon leur semble.

Quant à l'autre espèce, le candidat ordinaire, celui-ci redevient illétré comme à l'origine s'il lit il ne lit que le facile et ne le cherche que dans un roman populaire, qui anesthésir les sens, ou dans une revue humoristique qui éveille les passions. Les romans et les revues de cette nature étant ainsi trop recherchés, les écrivains légers se mirent à offrir en abondance des brochures contenant le produit d'une basse littérature nuisible et inutile. Il en

... en former des langues distinctes, ... qu'une fois qu'ils débordaient la langue écrite, aucune compréhension ne serait plus possible entre Arabes, ce qui affaiblira le culte, rompra les liens de l'unité, dispersera la force et permettra au colonisateur d'engloutir les pays arabes, sans peines ni difficultés.

Cette propagande a été vouée à l'échec par le fait de la faiblesse de la colonisation et grâce au réveil des nations arabes.

Quant à l'ignorance, qui constitue l'autre origine du mal, elle succéda a la colonisation dans sa propagande criminelle. Par ignorance, il faut entendre le fait par les Arabes d'ignorer leur langue et de rejeter ses sciences et ses lettres. C'est ici qu'apparait le crime des écoles civiles récentes qui ont échoué, après bien d'expériences et un temps plus ou moins long, à fromer le lecteur qui comprend ce qu'il lit, l'écrivain qui sait ce qu'il écrit, et le penseur qui réfléchit. La preuve la plus palpable de cet échec est le cas de l'élève qui fréquente ces écoles. Il y passe dix années d'études à apprendre la grammaire. Une fois qu'il quitte, il se sent incapable d'écrire ou de s'exprimer correctement. S'il se sent doué par la nature, il ne trouve de mieux, que d'écrire en arabe vulgaire et d'inciter les autres à limiter et à s'affranchir des règles et des restrictions de la langue, substituant ainsi l'anarchie à l'ordre, et l'erreur à la correction.

Autrefois, l'arabe et les sciences y afférentes étaient enseignés à l'Azhar et par ses filiales "Dar El Ouloum" et l'Ecole des "Juges Charéis", ainsi que dans d'autres écoles qui appliquaient ses méthodes tant en Egypte, q'au Liban, en Syrie et au Maghreb, Cet enseignement était profond et permettait à l'étudiant doué et appliqué de comprendre ce qu'il lisait, d'approfondit ce qu'il savait, de motiver ce qu'il critiquait et d'analyser se qu'il goûtait. Si plut atrd, les thèories acquises étaient complétées par la pratique, le candidat doué se révélait prosateur de mérite, poéte de talent ou critique de valeur. Par contre, le candidas sans talents littéraires, mais doué toutefois de patience et de jugement, devenait un savant qui préparait les moyens, facilitait les sources, dirigait les talents et raffermisait les pas.

C'est à ces deux sources que le mouvement littéraire puise ses élèments vitaux qui lui permettent de se développer pour fleurir, de croître pour se propager et de s'élever pour durer. C'est à cette catégorie des adeptes des anciennes méthodes de l'Azhar qu'appartiennent les véritables hommes de lettres qui ont sauvegradé l'héritage de cette langue, qui ont renouvelé la jeunesse de l'art littéraire et qui ont jeté les bases de cett restauration littéraire récente. Heureusement, il en reste un certain nombre dans les pays arabes. Nobles figures et fins littérateurs qui

De plus, clairvoyance se révéla par l'envoi en Europe de ces étudiants choisis pour y parfaire leur éducation, tels que : Ibrahim Al-Nabarawi, Ahmad Hassan Al-Rachidi, Mohamad Aly Al-Bakli, Rifaa Al-Tahtawi et Aly Moubarak.

Ce nouveau bienfait, à enregistrer, contribua au relèvement de la langue arabe.

La langue arabe traversa donc ces deux épreuves consécutives et s'en tira indemne, grâce à l'Azhar. Ce fut pour le plus grand bien du Livre de Dieu et de sa religion.

Mais la langue arbe passe actuellement une troisième épreuve qui menace de la bouleverser, de parter atteinte au Coran, de couper la religion de sa base, détacher l'Arabe des siens, descendre l'art littéraire du Parnasse de son inspiration et du temple de ses dons où resident le sublisme, la grandeur, la noblesse, pour la jeter dans la fange du matérialisme où résident la bassesse, le dévergondage et la dépravation.

Cette épreuve est celle venant de l'école dite "libre" ou plus exactement de l'école des libertaires qui met la langue vulgaire au dessus de la langue éloquente, qui préfère les lettres populaires à celles des grands lettrés, les sujets qui excitent à ceux qui éclairent. Elle enseigne que l'écrivain et le poète sont libres d'écrire comme bon leur semble et qu'ils n'ont pas à se conformer aux règles et aux préceptes de la grammaire, de la syntaxe, de la littérature de la poésie, ni non plus aux règles de la morale.

Cette épreuve a pour origines la colonisation et l'ignorance.

La colonisation s'est rendue compte que la religion et la langue forment les deux liens qui unissent les Musulmans de tous les pays et que, tant que la nation de Mohamed demeure unie par ces liens, l'indépendace des pays arabes doit, tôt ou tard, s'accomplir. Aussi, c'est pour arrêter cette marche vers l'indépendance que la France a toujours essayé de détourner les Berbères de leur religion.

A ces fins, elle décréta Loi connue sous le nom d' "El-Zahir" et s'employa à faire la guerre à la langue arabe, en l'éliminant des écoles et des administrations de l'Etat. Toutefois, la religion de Dieu fut plus forte que "le Zahir" de la France, et la langue du Coran fut plus tranchante que celle de l'épée.

Quant à l'Angleterre, elle fut plus astucieuse et plus diplomate. Elle se contenta de propager le dialecte populaire par l'organe des orientalistes, des fonctionnaires et des missionnaires, car elle se rendait compte que ces dialectes différaient totalement les uns des autres jusqu'

Nous ne citerons que le Firozabadi, Abil-Séoud, Al-Fanari, Moulla Khesrou, Al-Gami, Al-Khiali, Khoja Zadé, Moulla Mesquine, Moulla Loutfi, Hajji Khalifa, Tachokéri Zadé, et Ibn Kamal Pacha.

Les sultans ottomans eux-mêmes étudaient l'arab et ses lettres au même titre que le Turc. Parmi eux, on compte des poétes qui composaient en langue arabe ou qui retenaient par coeur plus d'un poème.

A titre d'exemple, nous citons un beau poéme lyrique composé par le Sultan Ahman ler :

"J'ai aimé, sans pouvoir y arriver ni captiver,

une gazelle qui fait la guerre.

"Avec ses yeux armés d'épées et de son regard qui m'a blessé au fond du coeur.,,

Les savants turcs ne commencérent à négliger et à délaisser la langue arabe que sous le régne des sultans Mahmoud II et son fils Abdel-Hamid ler, et à l'époque où ces deux monarques restaurérent la langue turque en simplifiant ses regles et en rendant l'accès facile. Depuis lors, cette langue fut dénommée "langue ottomaney. Vous voyez ainsi que la langue arabe a passé six siécles entre l'agonie et la mort, dont trois sous la domination mongole et trois autres sous la domination ottomane. Durant ces six siécles, elle cessa de vivre aux Indes, au Khorassane, en Iraq, en Andalousie et dans les pays ex-Romains, pour continuer à survivre dans les pays arabe en y menant la vie d'un malade qui se débat devant la mort et dont il ne reste plus que le souffle. C'est justement ce souffle que l'Azhar a retenu a nourri, a fortifiè et lui a prodigué tous les soins salutaires.

Puis, le jour où les ténèbres de la domination ottomane se dissiperent et que Dieu voulut que le soleil de la civilisation réapparaisse dans la Vallée du Nil, la langue arabe de son inertie et de sa faiblesse. Elle se remit à vivre. C'est dans l'Azhar qu'elle avait trouvé secours et asile, et c'est à l'Azhar qu'elle doit sa vie et sa résurrection,

L'épreuve de l'occupation napoléonienne ayant passé, une nouvelle ère de prospérité s'ouvrit et un nouveau mouvent de restauration se dessina du fait de l'indépendance de l'Egypte.

Cette nouvelle ère de progrès, qui date de l'avènement de Mohamad Aly, est redevable de tout à l'Azhar, menur du peuple dans sa révolution et guide du gouvernement dans ses réformes. Il était représenté à cette époque par ses brillants savants: Khali El-Bakri, Abdallah El-Charkaoui, Mohamad El-Mahdi, Soliman El-Fayyoumi et Hassan El-Attar.

C'est par ses avantages et prérogatives que l'Azhar devint, sans conteste, le grand maître de la culture dans tous les pays arabes et musulmans pendant les 7ème, 8ème et 9éme siècle de l'Hègire et c'est ainsi qu'il a pu sauver et conserver l'existence même de la langue arabe et empêcher la décadence des lettres et des sciences. Sans l'Azhar, tout lien, entre l'ancien et le nouveau monde littéraire, aurait été incontestablement rompu.

Mais, ce n'est pas tout : une autre épreuve menaça la langue arabe du fait de l'invasion turque; et cette fois aussi c'est à l'Azhar que revient le mérite de l'avoir détournée. Au début du 10ème siècle, et plus exactement en l'an 923 de l'Hégire, le Sultan Salim conquit l'Egypte et la Syrie. et, de ce fait, le Califat devint Ottoman et non plus Abbasside. La capitale de l'Islam devint Constantinople et non plus le Caire, et la langue officielle devint ainisi le Turc. Le conquérant sejournerent huit mois en Egypte pour la dépouiller de ses plus précieux joyaux: à savoir ses livres et ses objets d'art, héritage laissé par les artistes de génie, tous anciens élèves de l'Azhar dont les oeuvres remontaint aux trois siècles précédant l'invasion turque. De plus, ces conquérants ont vite fait de substituer leur langue à la langue arabe dans les diverses administrations de l'Etat et de persécuter l'arabe dans les écoles, à tel point qu'ils faisaient enseigner, en turc les règles de la grammaire arabe, en Syrie et en Iraq. Il en est résulté qu'un flot de mots et de termes antiques et de pure arabe disparuent de la composition en vers et en prose. D'où en épais nuage de ténébres et de despotisme qui couvrit les âmes et un dédain de la part des gouvernants pour tout ce qui est science ou savoir, arrêtant ainsi tout progrès et tout mouvement littéraire ou scientifique.

Cependant, ayant sont rendu Turque en Egypte (politique, administration, armée, enseignement, ...), les envahisseurs n'osèrent toucher ni méconnaître l'Azhar, car ils furent saisis de sa majesté et de son passé glorieux. Ils vinrent, recueillis, frapper à sa porte pour solliciter aide et conseils, toutes les fois qu'ils se trouvaient en difficulté ou qu'un événement grave surgissait. Le Sultan Salim lui-même l'a visité plus d'une fois, sois pour y prier, soit pour y implorer la bénédiction divine.

Bien avant l'invasion ottomane, l'Azhar avait déjà conquis la Turquie, non par la force des armes, mais par ses livres, ses sciences et ses lettres. Plus d'un Turc y a étudié et perfectionné ses connaissances en arabe jusqu'a pouvoir y composer des vers ou écrire des livres.

6) Il a assuré et assure à ses professeurs et à ses éleéves les moyens de vivre et de s'instriure en leur fournissant le logement le couvert, l'habillement et les livres ;

7) Il a ouvert ses portes aux réfugiés qui ont fui les Mongols pour sauver leur foi, leurs sciences et leurs lettres. Cet exode des savants vers l'Egypte, de tous les pays d'orient et d'occident, contribua dans une large mesure à l'épanouis sement des sciences et des lettres. Il nous rappelle l'exode des savants du christanisme de constantoninople à Rome, ce qui contribua à la renaisseuce des sciences et des lettres en Italie ;

8) Les rois Ayoubites l'ont soutenu et encouragé matériellement et moralement, car, bien qu'ils fussent Kurdes, ces rois parlaient la langue arabe et avaient adopté les lettres et les coutumes arabes. Bon nombre d'entre eux s'est rendu célèbre en poésie, en sciences ou en histoire, tels les rois Al Moawad Emadéddine et Al Afdal Aly Ibn Salahéddine. Ce dernier roi, qui était faible et simple, fut détrôné par Adel Abou Bakr et son frère El Aziz. Il a eu alors recours à ses talents de poètes pour solliciter l'aide du Calife Abbasside. Il lui adressa en pure langue arabe un bon poème digne d'être cité.

(Citation du poéme en lengue arabe) .

De leur côté, les rois Mamelouks donnerent à l'Azhar tout leur appui car ils avaient adopté l'Egypte comme patrie, l'Islam comme religion et l'arabe comme langue. On compte parmi ces rois plus d'un excellent poete, à n'en citer que le Calife Kanse El Chouri.

Ces Mamelouke favoriserent les savants, encouragerent les hommes de lettres, les professeurs et les auteurs, aidant ainsi Al Azhar à former, sous leur égide ces grands maitres et ces auteurs de génie doués par la nature et inspirés par Dieu qui confierent à leurs oeuvres les tresors de leur sagesse et la richesse de leur savoir.

Nous n'en citons que les plus célèbres; Gamal El Dine Ibn Mansour, Gamal El Dine Ibn Hicham, Chamseddine Al Nouéri, Ibn Fadlallah Al Omary Chamseddine Al Zahali, Al Hafez Ibn Hogre Al Assalgui, Abil Abbas Al Kalakachandi, Taquiéddine Al Maqrizi, Badraddine Al-Aiyni, Séragéddine Al-Balkini, Badréddine Addamassini, Chamséddine Assakhaoui, Kamaléddine Addoumaiyri, Galaléddine Assioutti, Taquiéddine Al-Kouchaiyri, plus connu sous le nom de Ibn Dakik El-Omdah.

des dépendances de l'Empire Ottoman en l'an 925 de l'Hégire.

Vous voyez par là que les Arabes ont été ainsi contraints, pendant 500 ans, à n'avoir ni pouvoir, ni royaume et que, tant de leurs pays que leurs richesses morales et matérielles devinrent la proie des Mongols, des Turcs, des Persans, des Cherkess, et, plus tard des Espagnols. Etant tous sauvages et illétrés, ces vandales détruisirent les monuments et objets d'art et se livrèrent au viol. Mais, le coup le plus dur a été porté à la langue, à ses sciences et à ses lettres; car ces vandales incendièrent les bibliothèques, fermèrent les écoles, démolirent les observatoires et tuèrent les savants.

Il en fut de même à Boukhara et en Andalousie, où Tatares, Européens et Croisés se sont révalisés de cruauté et de vandalisme.

Si donc la langue arabe aurait disparu par les malheurs des temps, à l'instar de ses soeurs sémites, sa mort aurait été dans la nature des choses et dans la logique de l'histoire. Elle demeura pourtant la langue de la religion, des sciences, de l'Etat et de la nation, tant au Maghreb, en Egypte et en Syrie, qu'à la presqu'île arabique et dans tous les pays arabes. De plus, n'était ce le fanatisme des Persans etu l'orgueil des Turcs, elle aurait continue à être la langue de tous les Musulmans.

C'est donc grâce à l'Azhar que cette langue a continue à vivre malgré les épreuves du temps et la chute du pouvoir des mains de ses enfants. Elle a subsisté grâce à cette institution et aux prérogatives suivantes :

1) L'Azhar est de pure essence arabe par sa nature et son milieu;

2) Il est situé à égal distance entre le Proche et le Moyen Orient; ce qui fait de lui le render vous des uns comme des autres;

3) Il est prés du Hégaz et sur le chemin des pelerins et des savants explorateurs de l'Afrique et de l'Andalousie;

4) Il a formé un grand nombre de savants, maîtres, jurisconsultes et littérateurs qui ont réuni et groupé les principes épars de la langue, des sciences et de lettres en de grands volumes semblables aux encyclopedies;

5) Il occupe dans les coeurs de tous les Musulmans et de tous les hommes d'Etat un rang de sainteté, ce qui lui a permis de résoudre certaines difficultés d'ordre politique et social.;

le Judaïsme pour l'Hébreu, le Christianisme pour le Syriaque, et l'Islam pour l'Arabe, ces trois langues auraient cesser d'exister. Toutefois, la différence entre ces trois existences est celle existant entre l'âme et le souffle de l'agonie, ou entre l'être vivant et ses traces.

L'Azhar, qui est l'héritier de la prophétie, le protecteur de la foi et le propagateur du Culte ne peut qu'assoir sa noble mission sur ces deux bases : La religion et la langue. Cette missioh a été si bien remplie que le monde de l'Islam lui confia son commandement et lui décerna son auréole de gloire.

Il est vrai que d'autres écoles ou mosquées pourraient prétendre avoir pris part, avec l'Azhar, à l'évolution et à l'épanouissement des sciences relatives au Coran et à la langue, telles que les écoles et les mosquées institués par les sultans au Caire, à Damas, à Alep, à Baghdad, à Nagaf, à Cordoue, à Zaitounah et en Cyrène, et dont les plus célèbres étaient : Al-Nasriah, Al-Kamhia, Al-Salahieh, Al-Mouaidia, Al-Mansouria, Al-Chaikhounia, Al Zahiria, Al Kamiliah et Al Nizamiah,

Cependant, ces écoles, dont la plupart a cessé d'exister, ne purent, leur vie durant, et prises ensemble ou séparément, disputer à l'Azhar l'honneur insigne d'avoir assurer jusqu'à nos jours l'existence de la langue comme interprète de la science et comme lien unissant les Musulmans.

Mes chers auditeurs.

La langue du Coran a traversé deux épreuves noire qui auraient pu consommer sa perte, sans le secours divin :

La première de ces épreuves fut l'invasion des Mongols survenue au milieu du septième siècle, époque à laquelle le Royaume des Abbassides était déchiré par l'antagonisme des Persans et des Turcs et par les querelles entre Chiites et Sunnites. Ces circonstances portèrent atteinte au prestige et à la majesté du Califat et Permirent à Holaco de lui, porter le coup fatal en l'an 656.

De plus, le Royaume des Ommayades en Andalousie fut déchiré par les barbares et les esclaves affranchis qui le partagèrent entre eux en petits Etats, ce qui a permis aux Européens de l'avaler bouchée par bouchée et de l'engloutier ensuite en prois facile en l'an 898.

Ce fut ensuite le tour du Royaume des Fatimites en Egypte et en Syrie, qui tomba entre les mains des Ayoubites puis dese Mamlouks pour ensuite devenir une

Il en est de même pour la Bible et l'Evangile qui ne se lisent dans le monde de Chrétienté que traduits dans la langue du pays où on les lit. Or, ces Livres n'ont laissé qu'une faible influence sur les oeuvres littéraires des pays de Chrétienté, jusqu'au jour où ils ont été traduits en la langue latine et au vieux teuton.

Il n'en est pas de même pour le Coran : car les Muslmans ont toujours cru, et avec raison, que la langue arabe dans laquelle il a été révelé fait partie intégrale de l'essence même de l'Islam, parce qu'elle a servi d'interprète à l'inspiration divine, de langue à son saint livre de moyen à sa predàcafiou, et de mircal à son Prophète. Cette langue a été par la suite polissée par le Prophète grâce à ses discoures et à ses enseignements "Hadith", comme elle a été propagée par l'Islam et rendue éternelle par l'éternel Coran.

Le Coran n'est vraiement le Qurân qu'en cette langue et la prière n'est point la prière s'elle n'etait pas récitée en elle Aussi, s'empressent ils de l'apprendre, de la parler, de s'en servir pour écrire, d'en devenir fanatques de prendre sa défense. C'est ainsi qu'elle prit lieu et place de persan en Iraq, du Grec en Syrie de Copte en Egypte et du Berbére au Maqreb. Ainsi est elle devenue à époque Abbaside (son epoque la plus prospér) la langue de la religion celle de la science, de la politique et de l'administration dans la plus grande partie de l'ancien monde, les Musulmans, quelle que fut leur race, pouvaient se transporter dans n'importe quelle contrée de leur monde islamique comme s'ils se dèplaçaient dans leur propre patrie, ne trouvant aucune difficulté à parler à traiter une affaire.

Puis, les Musulmans s'adonnérent entiérement au Coran. Il devient leur prière dans la Mosquée, le régulateur de leur vie dans la maison, comme dans le travail, et l'organisateur de leur gouvernement. Ses préceptes s'enracinérent dans leurs âmes et ses inspirations se confondirent avec leur nature. Il imprima ses traces sur leurs langues, leurs coeurs et leurs reglements. Aucun autre livre divin n'a produit autant d'influence sur ses adeptes.

Il en est résulté que la culture musulmane se trouve assise sur deux bases ; à savoir : la religion et ses diverses sciences et la langue et ses arts connus. Ces deux bases se serrent et s'entrelacent, car, sans la langue arabe, l'Islam s'obscurcit et s'affaiblit, et, sans l'Islam, l'arabe perd son élan et sa vie.

Les langues sémitiques doivent leur subsisitance aux religions : Sans

Saint que les mots arabes sont devenus plus doux, la composition plus raffinée et l'expression plus précise. C'est dans le divin Coran que la langue a puisé la force de la logique, la variété des idées et la profondeur de la pensée. C'est le Coran qui a été à la base des sciences nouvelles jusqu'alors inconnues ; telles que les lois charitable et les préceptes littéraires dont les matières ont été conservées par les règles et les dictionnaires et dont le cercle a été élargi par les mots choisis et les termes appropriés. C'est ainsi que prirent naissance la grammaire (Al-Sarf), la syntaxe (Al-Nahou) et le "dérivé (Al-Ichtiqaq) pour empêcher que les fautes soient commises lors de la lecture du Saint Livre.

D'autres scienes virent le jour telles que les figures de style et de réthorique et des idées ('Al-Maani,' 'Al-Bayane', Al-Baddie,) et ce en vue d'arriver à comprendre et à faire ressortir les beautés divines et inimitables du Coran. C'est dans ce même but qu'on s'est mis à l'étude de la langue, des racines et de l'étymologie des mots ('Ilm Al-Lougha) et de la littérature ou art littéraire ('Al-Adab'). Quant aux sciences du "Handith" (maximes, sagesses et commandements enseignés par le Prohète), du "Oussouls" (bases organiques des sciences juridiques), du "Fikh" (esneignements des lois religieuses), et enfin du "Tafsir" (interprétation du Coran), ces sciences n'ont été créées qu'en vue d'y puiser les lois qui doivent régir le monde de l'Islam.

C'est donc le Coran qui a unifié la langue arabe, qui l'a propagée partout et qui l'a conservée pendant 14 siècles environ sans usure ni faiblesse ni alteration aucune, ainsi que le proclame Dieu Lui-Même lorsqu'Il dit : "C'est Nous Qui avons révelé le Coran et c'est Nous certainement qui Le" conservont.

Or, pour apprendre le Coran, il faut nécessairement apprendre sa langue.

De l'étude de l'histoire des religions l'on constate que nulle religion divine ou terrestre, à part l'Islam, n'a conservé la langue originaire de son Livre. Seul le Coran a porté sa langue arabe à toutes les nations de l'Orient et de l'Occident durant 1380 années; et, cette langue a conservé, à travers les siècles et les pays, son entité, sa fortce et son génie.

Les Livres des autres religions ne se lisent que traduits, sauf dans le pays où le Livre a été écrit. Seuls les servants de ces religion, ou peu d'entre eux, détiennent ou connaissent la langue d'origine. Ainsi, les livres de Bouddha ne se lisent, en Chine ou au Japon, que traduits en Chinois ou en Japonais.

triste où l'ignorance se propagea, le Califat s'affaiblit, le secours disparut et le peuple courba les échines.

L'Azhar signifie aussi la deuxième "Kibla", (le point de mire) vers laquelle les Musulmans dirigent leurs prières et leurs coeurs, dans tous les pays du monde, pour chercher, la faveur de ses lumières, le Chemin de la vérité et la voie vers Dieu.

L'Azhar signifie le refuge du peuple opprimé toutes les fois que le despotisme le secoue et que le gouverneur l'oppresse. C'est en lui que ce peuple a toujour trouvé un asile sûr et un protecfeur puissant.

L'Azhar signifie cette Université mondiale vers laquelle affluent, de tous les continents, les étudiants de toutes les races, et de toutes les couleurs pour étudier les lois et les régles de la religion et pour qu' ensuensuite, rentrés dans leur pays, ils y prêchent le bien et appelent à la vertu, ne visant par la ni fortune, ni grandeur, ni célébrité.

C'est le lieu beni et hospitalier qui abrite les pieux les ascetes, les prédicateurs, les réciteurs de Coran et les porteurs des bénédictions.

L'Azhar signifie la base spirituelle redoutée par les colonisateurs qui ont tant fait pour la réduire, mais qui désespérés de la saper pour en éviter la force et le prestige, lui, tendirent une main flatteuse pour l'attirer et en exploiter l'influence.

C'est le foyer national qui attisa toutes les révolutions contre la corruption, qui a formé les porte-étendards des guerres saintes et qui a servi de tête et de main aux mouvements libérateurs des Arabes, en leur insuflant l'âme et en leur prêtant la force. Il a fait la guerre à l'invasion français sous le commandement de six de ses savants Ulémas. Il s'est révolté contre le despostisme Turc, sous le commandement de son recteur Abdallah El-Charkaoui, contre la tyrannie du Khédive, sous le commandement de son fils azhariste Ahmad Orabi et contre l'occupaton britannique, sous la conduite de son autre fils azhariste Saad Zaghloul.

L'Azhar signifie donc tous ces faits grandioses que j'ai citès et d'autres faits aussi nobles que méritoires.

Cependant, je ne vous parlerai ce soir que de l'oeuvre bienfaisante de l'Azhar en ce qui a trait à la langue arabe.

Mes chers auditeurs.

L'ouevre bienfaisante de l'Azhar, en ce qui a trait à la langue arabe, trouve sa source dans les bienfaits du Coran. C'est grâce à ce Livre

COMMENT L'AZHAR A ETE ET DEMEURE LA FORTERESSE DE LA LANGUE ARABE

PAR

MAITRE AHMAD HASSAN AL-ZAYYAT

Mes Chers Auditeurs,

Nous voici réunis au sein de **l'Azhar.** De ce mot, "Al-Azhar", où **enfend** une illustere Université **Musulmane** où l'on enseigne les **sciences** de la religion et de la langue. Mais, pour le croyant, méditant **qui s'en** souvient ou qui y pénètre, **tenant** l'âme en éveil et muni de **dispositions** naturelles pour a se faire **des** liens. Spirituels avec son passé **lumineux** et son histoire chargé de **gloire**, le mot "Al-Azhar" évoque **des** indices, des souvenirs et des **réminiscences** qui remplissent l'âme **de recueillement**, de majesté et de **ravissement**. Oui, le mot "Al-Azhar" **est** un de ces mots géneraux qui ren**ferme** tant de signifiapions, sa pron**onciation** révéle et réveille; et son **sens** rayonne et inspire: c'est un **temps** et un espace; c'est une relig**ion**, un monde et une histoire.

L'Azhar signifie entre ses autre **sens** le phare qui s'éleva sur le chemin **du grand** appel vers Dieu, dont l'édifice est resté inébranlable au plus fort de cataclysmes et dont la lumière s'est propagée malgré les tourments des tempêtes C'est lui qui a conduit les peuples de l'Islam, dans les nuits des malheurs et dans le tourbillon des guerres, vers le salut, la dignité et l'unité. L'Azhar signifie pour nous le rempart qui a protégé et sauvegardé la culture arabe durant plus de mille ans, en veillant sur elle et en augmantant les richesses pour les distribuer aux assoiffés de la science. en Orient comme en Occident: et ce, aux jours où l'ignorance et la mécréance venaient de saper les bases de cette langue, à Baghdad et en Andalousie.

Al-Azhar signifie aussi le rempart derrière lequel s'abrita la langue arabe pour se couvrir des attaques de la "Chéoubia", et de dialect-vulgaires secte turco-persane hostile à (tout ce qui est arabe) à l'époque à laquelle la langue arabe devint étrangère et à laquelle le pouvoir passa aux mains des Turcs; époque bien

to choose the suitable judgments and rules.

Gentlemen : such jurisprudential legacy was not soundly understood because of the old style of writing. Today civilization has developed and mentality has changed and it is necessary that both education and books should be in accordance with the necessities of the present age.

Gentlemen : That is the third tribulation which Arabic is undergoing today and which is no less harmful than its two predecessors. Therefore Al Azhar should take a positive measure in this regard to foil the conspiracies, to launch a counter campaign and to be in a state of alertness against those whose ignorance and whims despoil the language of the Quran to undermine the bonds of the Arabs.

The Azharites, who carried this noble mission and conveyed the Noble Message of the Prophet for more than ten centuries, are quite prepared to defend their language and religion so long as they are sincere in their struggle and as long as they consider themselves God's soldiers by whom God defeats the hostile enemy at any time in battle. As a result they live to sacrifice their lives as soldiers, work as leaders and abandon the world lust like the prophets.

God, the almighty, has guaranteed for the Arabic the survival of its eloquence and brilliance as long as the Quran exists. By your endeavours and ours, O' sincere Azharites, God has fulfilled his promise and He is the best of Truthful.

Errata

In the last issue of Al-Azhar Magazine the para. 4, page 17 has been as follows : " It is not reasonable or customary that the consent of an individual is considered in the validity of some action".

Addenda

This paragraph should have bean read as follows : "It is not reasonable or customary that the consent of an individual is to be considered in the validity of some actions meanwhile his personal practice in connection with the same actions is disregarded".

the Editor

of religion due to the fact that language is a collection of words whereby people express their thoughts and opinions. Such thoughts and opinions do not end and the People cannot stay dumb forever while seeing the objectives and meanings reproduce and develop as a result of the new discoveries of science and civilization.

However those who had existed after the rise of Islam and were not purely Arabs, were not entitled to invent new words in the language. This previlege was confined to the trustworthy pure Arabs of the urban society tell the end of the second century after Hijra; and to the Beduins of the desert till the end of the fourth century after Hijra. This gave birth to the overwhelming prevalence of the colloquial language over the classical one and tightened the sphere of the classical in the classes of savants, literary figures, poets and writers to use it in their writings to the Kings and the elite.

This was because the people preferred in understanding the easy style and use the common and attainable. And when the language laggs behind and is no longer adaptable to the needs of time and the current daily life; it would obviously mean that it is stagnant and will face its inevitable end which is complete annihilation and will be supperseded by the colloquial dialects.

The synod of Arabic language has become aware of this danger and therefore adopted a suggestion which I offered as to open the door for the contemporary grammarians to invent words in the language according to the rules of derivation; to release the linguistic analogy from any traditional obstacle; to liberate the hearing from the fetters of time and space to comprise everything that is used by the different classes of society such as masons, carpenters and other artisans; and to legalise the invented words and make it similar to the old ones. On this basis, the Synod of Arabic Language has made its medium lexicon which will appear shortly afterwords.

The case of religion is quite different. Its doors were widly open for the well equipped and prepared savants who expressed their free opinions and views. These various opinions were abundantly expressed and made the Islamic Jurisprudence full of sound judgments and good rules which sufficed the needs of the Muslims and solved their social and legal problems. Therefore the Islamic Jurisprudence had been quite satisfactory for the needs of the Muslims and they devoted their endeavours

style and its words have no rules for guidance whatsoevr. Consequently its attainment does not require any book or school but can be achieved by any doorkeeper or servant or layman. In other words, it means the separation of literature from religion, severing the ties between the past and the present and weakening the bonds amongst the Arabs.

I am of the opinion that it cannot be effectively amended except by the old method, namely, the full comprehension of its secrets, the adequate apprehension of its grammatical rules and the wholehearted memorization of its literatures. The implementation of this requires the unflagging efforts and continual seriousness, as regards the preparation of efficient teachers, sufficient knowledge and fruitful experience as regards the curriculum, good taste and sound logic as regards the making of books.

The Azharite book which we have studied and to which we still make our references, is a treasure of knowledge but lacks the easiness, good classification and representation. The difference between such books and the modern ones is like the difference between a spice shop in Al Ghorreyah (a Popular quarter in Cairo) and a commercial house in Kasr El Nil (the centre of the city of Cairo). The old shop may have precious ornaments or trades but bad exhibition of which weakens the vogue therein and decreases its value.

Practically speaking, if we present the Azharite books in an interesting and palatable manner, they be lessons or lectures or notes or books, then this would render its fruits attainable and would facilitate the task of the students to comprehend without difficulty or hardship.

The mission of Al Azhar, as I have already mentioned, is built on two pillars, namely, religion and language. But it actually carries this mission out in a different manner. This is due to the fact that religion is perfect being the work of God while language is imperfect because it is the product of man. So long as religion is perfect and divine, it cannot be affected by the environment or by the passage of time or by civilization and science. It is ever new, ever valid, and ever solid. In contrast with this, the language being imperfect, is subject to corruption, stagnaton and backwardness. Likewise it is subject to increase, reconstruction and development.

Therefore the development of the language is a necessary and natural matter. Because the language cannot be like the established facts

Nevertheless the concise remainder of these sciences cannot afford the existence of both language and literature. It is true that modern educational institutions Provide for the graduation of a considerable number of students in the sphere of Arabic language but they are by no means similar to those graduates of prominence from Al-Azhar and savants like Mohammed Abdou, Saad Zaghloul, Al Manfalouti, Al Bishri, and Taha Hussein. Nor are they like the graduates from Darul Aloum such as Shaweesh, Al Mahdi, Al Khodari, Al-Sakandari and Al Garem; nor do they bear any semblance to the graduates of the Higher School of Islamic Jurisdiction like Ahmed Amin, Azzam and Al Khouli. Furthermore, they differ from the graduates of the Supreme School of Teachers (Al-Mullimeen) like Al Mazni, Shukri, and Abou Hadeed. They are also distinct from those who have received their education and knowledge from the books of Al-Azhar, such as Al Aqqad, Al Refei, Shawki and Hafiz in Egypt; the Bustanis, the Yazzigis, Al Sheyyak, Matran and Al Khouri in Lebanon; Al Maghrabi, Al Shehabi, Gabri and Al Tantawi in Syria; Al Rassafi, Al Zahawi, Kashif El Ghetaa, Al Shabibi and Al Athari in Iraq; Al Nashashibi and Al Sakakini in Palestine.

Gentlemen: frankly speaking, I am one of the supportetrs of the reconciliation between the classical and the colloquial Arabic. My method in the Synod of the Arabic Language is to supply the classical Arabic with the words and expressions of modern civilization which colloquial language is full of, in order to bridge the gulf between the dialects. By virtue of such a trend and through the medium of the press, brodcasting and education, these two dialects will become one integral language which comprises the characteristics of the classical Arabic of the correct style, abundance, eloquence and brilliance; and the characterisitics of the colloquial Language of adequacy, natural character, dynamism, refreshment and obviousness.

But with regard to the trend that calls for the negligence of the grammatical rules and which deprives the language of its brilliant style and makes it void of any eloquence; and consequently it cannot serve as the link between our past and the future, and is unable anymore to gather us in our general terms; it must be said that such trend cannot by any means be propagated by any serious man, and cannot be listened to by any sound individual. If we left things to continue this way, then the colloquial language would prevail because of its frequent repetition in

environment while science is universal. Literature is like the soul to the body or like the blood which flows in a human being's veins which creates the personality of the independent individual and portrays the picture of the unique people. Literature constitutes certain breed, language, taste, environment, mentality, belief, history and traditions while science is something differnt from the above-mentioned. Therefore it is permissible for us to borrow from others what might perfect our science but we are by no means allowed to borrow any type of literature to be representative of ours.

The study of Arabic in fact, after graduating from Colleges, in an authentic and productive manner does not demand much effort and time as the study of French and English. But they seek in the age of speed to easy and feasible objectives in so far as science and production are concerned. Whenever criticism is levelled against them in respect of their method of approach to studies, it is very often met with grudge and spiteful sentiments. Wise critics claim that authors who are unaware of the rules of their respective language are not considered neither in modern nor olden literature as true authors or poets or novellists.

When people read newspapers and books and do not grasp any grammatical errors which might reveal the ignorance of the author and thereby expose him to the general reading public then one must remember the unknown soldiers of the Azharites who are called correctors and who devote night and day in the Press publishing houses correcting grammatical mistakes and strengthening the style of the Arabic language.

It is no harm to facilitate the task of the students of the Arabic language in respect of the rules of Grammar, Morphology and Rhetoric but it is harmful and detrimental to exaggerate the importance of such practice. It is therefore better to mitigate the difficulties of the various interpretations an justifications through which grammarians had philosophized grammar, and to eradicate the contradictory forms of declension which are nothing but mere remainders of the different dialects of the pre-Islamic era and which convert the right to mistake and vice versa and thereby tend to confuse the minds of the general readers.

But it is detrimental by all means to deprive the sciences of Arabic of their characteristics of strength, fertility and expansion in the same manner as the skeleton which possesses a form but lacks the soul and flesh.

impassable obstacle. He resorts to the extreme when he calls for absolute liberty to the writer to express the way he likes.

This is the state of the graduate who has literary inclinations by nature. As for the common graduate, unfortunately, he continues his shallow knowledge by reading the simple works as represented in the colloquial stories which deceive common sense; or in the humourous magazines which stimulate sexual cravings. The readers are so excessively interested in this type of literature that worthless writers have indulged immensely in the production of such pornographic and base literature and which is most harmful to society. In addition to this there is also the prevalence of the Western literature with all its doctrines, trends and defects which have a great influence upon the minds of youth who have had access to this fragile and worthless literary culture.

Such half baked knowledge has made them ignorant of their own literature and their language and past history. Those adherents of French culture and literature, for instance, are fully aware of Hugo and do not know who is Al-Mutanabbi; they study Voltaire and not Al-Gahiz; and read La Martine not Al-Badee. Hence as a result of this trend and attitude, there arises the dependence of our literature on the literature of the Western writers. This dependence has affected the literature of our young writers. Therefore one could notice that their style, critical views and opinions are very often identical or else similar to these of their Western contemporaries. Even Symbolism, which is the outcome of the complexed self and the clouded horizon, has found admirers here who are endeavouring to propagate it in the Arab World which is known as the land of the barren desert, of the shining sun, and of simple nature. Similarly attempts are being made to apply the principles of Existentialism, which is the product of dissolute morality, abnormal taste and libertine instinct, to Arabic which is the language of the Divine Revelation that honoured man and made him superior to animal by virtue of certain previleges of religion and morality.

The case of literature is not the same as that of science. This is because literature relates to noble instincts and sentiments and balanced minds while science is meant for all people without any distinction. Literature is the outcome of certain

of poetry, prose and criticism. From these two categories the literary movement derived its inspiration as well as its vital factors to become flourishing, advanced, brilliant and eternal.

This old method had produced many distinguished literary figures who were responsible for the preservation of the language, gave it a new life and laid the foundations of a modern literary renaissance. There are in the Arab world still a small groud of these literary men of noble repute who are discovering the secrets of their language and deeply engrossed in their literature. But it must be remembered that their places in the literary world would fall vacant at some future date and there would arise a problem, namely, would there be successors to undertake this mission of literature and would they be entrusted with the legacy of the language ? It is Al-Azhar alone that could supply the answer to this query. It is by virtue of its characteristics the only refuge and asylum of the language in the past and in the future.

As for the other institutes, it must be frankly stated that these institutes render the impression of pessimism. This must be attributed to their poor curriculum which has but the slightest rules of grammar and to the superficial and scanty education which has no object except to make the student pass an examination. The original volumes, for instance, are summarized and the concise books are further abridged leaving nothing left in the memory of the student save vague language which makes no sense. In addition to this the distaste of the youth to look for the serious and useful studies of the language and literature which hampers them to penetrate into the original sources and attracts them only to search in the subsidiary branches which satisfies their needs just to enable them to pass an examination and obtain a certificate. When the student graduates with this poor educational background and finds himself amidst the treasures of Arabic literature, he develops a tendency to disregard such works because he lacks the qualifications which such treasures of literature demand. Instead he resorts to the cheap literature of the West to quench his thirst and takes it as an example to be followed. As soon as he finds himself capable of producing some piece of literary work, he finds that although he is possessed with the creative faculties, he connot find the correct language to express his thoughts nor can he develop a style which would impress his readers. Consequently he becomes disgusted and rebels and assumes that the rules of the language are no longer valid and that the declension of the word is an

discreet [illegible] launched a campaign against classical Arabic but encouraged and promoted the colloquial form of the language at the hands of British officials, missionaries and orientalists. This is due to the fact that the colloquial dialects varies from place to place in the Arab lands to such an extent that each dialect could be considered an indigenous and independent language. And if the classical language, which is the common language, is defeated by any dialect, then understnading would be difficult and impossible. the faith would weaken, relationships would sever, unity would be dissipated and strength would vanish. It would thus be easy for the Imperialists to devour the Arab countries one by one without experiencing any form of difficulty or resistance.

Fortunately this destructive movement has ended in utter failure as a result of the vigilance of the Arabs and this spelled the doom of the Imperialists in the East.

The second tribulation which beset the Arabic language was ignorance which followed imperialism in this criminal trend. By ignorance is meant the ignorance of the Arabs of their language and their neglect of its sciences and literature. This is the offence of the modern school which failed after passing considerable time and many experiences, to produce the reader who can understand what he reads, the writer who has a cultural backgroud and the intellect who is the real originator.

The proof of this failure is manifest from the fact that the student devotes more than ten years during the course of which he had been incessantly studying Arabic and when the time approaches for him to express his opinions, he finds himself in a difficulty to express his thoughts whether it be orally or in writing. When his literary aptitude urges him to express his ideas in writing, he resorts to the colloquial language rather than the classical and calls for the negligence of the grammatical rules to make disorder, errors and disability prevail.

The science of Arabic language has been studied in Al-Azhar, Darul Aloum and other similar educational institutions in Lebanon, Syria, Iraq and Morocco. Such studies were marked by profound characteristics which enabled the Promising and industrious students to understand, apprehend, justify and analyse well. It is this fruitful study which produced good and prolific writers, poets and critics. It also produced the professional litrary figures who had been guiding the literary men in respect

Al-H[illegible] would have it, was [illegible] able to overcome all th[illegible] and turned it God, the Al[illegible] willed this to preserve His [illegible] and His religion.

There [illegible] over another recent development which has been gradually taking proportions of much alarming magnitude that nevertheless calls for attention. This recent development which besets the Arabic language is about to perplex tongues, annul the validity of the Quran, defile the genuine sources of religion and dissolve the bonds enchaining Arabs to their legacy. It would pollute the purity, sublimity and magnitude of literature as derived from the Revelation of God and would degrade it and cause it to be relegated to the lowest standard of materialism, meanness and indecency. This distress is exemplified in the linguistic faction which propagates and prefers a vernacular to classical Arabic; which appreciates the common literary works while rejecting the sophesticated classical works of literature and which welcomes the exciting subject and not the guiding and enlightening one. This latest subversive trend in literature urges the writer when he writes and the poet when he versifies, to pay no attention and disregard the rules of grammar or morphology, rhetoric or rhyme or even the moral principles.

However this state of affairs has two underlying factors or causes, namely imperialism and ignorance. As regards imperialism, it must be mentioned that it has realized the fact that the bonds which link the Muslims all over the world, no matter how distant and different their countries may be, are fundamentally the religion and the language. The Imprialists at one stage considered the nationalist movements of the Arab and Muslim countries as mythical but now they emphatically believe that so long as the Muhammedan nation remains united and integral by virtue of the religion of Islam and the Arabic language, it will inevitably achieve its independence and will sooner or later put an end to the exploitations of imperialism.

France, therefore has continually attempted to keep and wean the Berbers in Algeria away from their religion by propagting false ideas and pretences, and persist in endeavouring to prevent the Arabs from the sources of their language by expunging it from the schools and governmental offices and organisations.

But the teachings of God have been stronger than the French trials and the language of the Quran more powerful and decisive than that of the sword. England being cunning and

but nevertheless these attempts proved futile as a hole. However, during this period the Arabic language had been removed from its firmaments of India, Khorasan, Iraq, Romiland and Andalusia. In the Arab domain it had experienced a very critical and pitiful stage and was almost on the verge of extinction and being completely forgotten and neglected. But there always remained a ray of hope that some support would be given or forthcoming from whatever source to retrieve it from the abysmal state into which it had fallen. This support which was needed at a very crucial stage ultimately came from Al-Azhar which gave immeasurable support and restored the Arabic language to its pristine state of glory and due to which assistance Arabic still survives. Hence Azhar became known as the saviour of the Arabic language to the Arabs and the Islamic world. Al-Azhar nurtured it, gave it strength, and protected it. When the shadow of the Ottomian Rule receded, God the Almighty, willed that the sun of awakening should rise again to cast its brilliant rays over the length and breadth of the Nile valley and thereafter the Arabic language rid itself of its subduing forces ; and its historic career and unique and powerful characteristic were restored. Al-Azhar has ever remained the shelter of Arabic and the principal cause of its survival and resurgence.

Since the French occupation till the reign of Muhammed Ali, Al-Azhar had been the source of inspiration to the populace in their struggle and to governments in their reformatory movements. In its guiding role and in the forefront of its activities were many illustrious and eminent Rectors such as Khalil El Bakri, Abdullah El Attar and many others of great repute.

With its vast resources of energy it has gone ahead with laudable plans and it must be noted with great pride and deep appreciation that it has led a pioneer movement in that it sent many promising students to Europe to further their intellectual advancement. The first mission was composed of the best talents such as Ibrahim El Nabarawi, Ahmed Hassan El Rashidi, Muhammed Ali El Bakli, Refaah El Tahtawi, and Ali Mubarak. This was another great characteristic of this glorious institution which had strived to preserve the Arabic language as an integral one.

Gentlemen : it is therefore quite evident and manifest to you all in the light of the aforementioned fac's stated that Arabic had been subjected to great stress and threat of extinction during two successive reigns and that

grammar through the medium of Turkey both Syria and Iraq. Consequently there was a spread of colloquial language with words interpolated profusely while the eloquence and brilliance which were ever present in the poetry and prose of the learned and erudite of the past, made a quick exit from the intellectual and cultural works in the sphere of literature. This period was plunged into persecution and darkness and the talented lights that once shone were soon extinguished and an era of gloom pervaded the whole atmosphere mainly due to the lack of enthusiasm and desire for knowledge in the rulers.

The Turks however dominated the machinery of government in Egypt in the domain of political, military, administrative and educational affairs. Their efforts to subdue Azhar ended in disaster for the reason that they were deeply impressed with its cultural and religious magnitude and glory. Hence they held it in reverence and esteem, and they sought from it whatever support that was forthcoming and looked forward to it for inspired solutions to their problems. Sultan Selim himself had visited it considerably to seek in person the divine blessings for his reign.

It should be noted that Azhar made inroads to the Turkish lands in the sphere of culture by disseminating its knowledge of literature through books and this resulted in the interest shown by Turks to study the Arabic language. In fact many Turkish individuals studied and spoke the Arabic language and even published books in Arabic. There arose eminent personalities and scholars such as Alfayrouzabadi, Abou Al Soud, Al-Fanari, Mala Khesrou, Al Gami, Khugah Zadah, Mala Meskeen, Maia Lotfi, Haji Khalifa, Tashkebri Zadah and Ibn Kamal Pascha.

The Turkish Sultans themselves had studied Arabic and Literature to the same degree and standard as Turkish literature. The Arabic language had never been weak or neglected under the Turkish rule except in the reigns of Sultan Mahmud the Second and his son Sultan Abdul Majid the First when they revived the Turkish language and accorded it a great place and even called it the Ottoman Language.

You can conclude, Gentlemen, from what you have now heard, that Arabic had undergone many attempts directed towards its extinction during the era of Moghul rule and Ottoman domination which lasted about three hundred years respectively

it and aided it because they had chosen Egypt as their home, Islam to be their religion and faith, and Arabic to be their language. They also had amongst them poets like Sultan Qansawah Al Ghuri. The Mamelukes extented their moral and material support to the religious authorities, literary figures, scholars and authors and encouraged the intellectual advancement. Under their auspices Azhar had produced eminent scholars who pooled their knowledge and propagated their ideas and published them. From amongst these scholars there were many prominent and illustrious personalities such as Gamaluddin son of Manzour, Gamaluddin son of Hisham, Shamsuddin El Zahabi, Al-Hafiz Ibn Hagar Al Asqalani, Abou El Abbas El Qautqashandi, Taqeyyuddin El Maqrizi, Badruddin El Aini, Seraguddin El Balquini, Badruddin El Damassini, Shamsuddin El Sakhawi, Kamaluddin El Domayri, Galaluddin El Syouti and Taqeyuddin Al Qushayri who is known as IBN DAQIQ EL EID. Such intellectual advancements have focussed the attention on Al Azhar and during the seventh, eighth and ninth centuries it was acknowledged by the Arab and Muslim nations as the centre of cultural and religious activity in the Islamic world and providing an unsurpassed leadership.

Throughout its ancient and historic period and to the present day, it has maintained the existence of the Arabic language, preserved the standard of literature and disseminated religious and cultural thought and had it not been in existence, the link between the ancient and modern literature would have been dissolved and disappeared.

The second tribulation which had eclipsed Arabic and from which it emerged safe and integral, thanks to the efforts of Al-Azhar, had been the Turkish invasions in the beginning of the 10th century when Sultan Selim assumed control over Egypt and Syria in 923 A. D. Then the Caliphate became Ottoman and not Abbassite and the capital of Islam shifted from Cairo to the city of Constantinopie, and the Turkish language became the official language instead of Arabic. Sultan Selim the invader, ruled supreme in Egypt for 8 months and during which period he had plundered the most precious monuments of books, ornaments and antiquities executed by the most skilful artists and brilliant authors who had graduated from Azhar and produced their works during the three centuries preceding the Turkish invasion.

The invaders propagated their own language in the schools and in the administrative machinery of the government in such haphazard manner that they taught the Arabic

It is [illegible] Al-Azhar which maintained the existence of this language [illegible] of the lost power and prestige. This is simply because God the Almighty, has previleged this Glorious Al-Azhar by certain merits which have marked characteristics in it. Some of these merits partly belong purely to the Arabic nature of the studies by virtue of its early establishment and environment, and of its situation in the center between the near and middle easts. Consequently it has become the threshold of Muslims from all parts of the world. Another merit attributed to it is its proximity to Hedjaz and thus it has become the route to Mecca for those on pilgrimage and other nomad scientists from Africa and Andalusia. Further Al-Azhar has produced many great scholars well versed in Islamic studies and Arabic literature, who had compiled the fragments of Arabic sciences and literature in great volumes which look like Encyclopaedia. Al-Azhar has also enjoyed a great status which might have reached the degree of sanctity in the hearts of all Muslims and rulers and which had played a great part in solving many political as well as social problems. It has catered to the needs of the professors and students and has extended its benevolence for the cause of humanity and has further supported or afforded financial assistance to the needy students in respect of living accomodation, clothing, board and tuition fees. It has granted asylum to those who had run away from the Moghul invasion which had swept away Khorasan and Iraq and spared their lives, religion, knowledge, literature and books. These learned immigrants both from East and West sought asylum in Cairo and achieved scientific discoveries and made great contribution to the advancement of cultural affairs. They were in many respects similar to the Christian scientists who had immigrated from Constantinople to Rome, and who had been the pioneers of the scintific as well as the cultural age.

Amongst the many reasons which contributed to the great success of Al-Azhar, it must be remembered that the AYYUBIS had to a large extent afforded both moral as well as financial support in a very effective manner. Although they had been KURDS yet they had spoken Arabic and studied its literature and from amongst them there emerged the genius poet, scholar, historian, such as King Muayyed Emaduddin Abou El Fedda and King Afdal Ali Ibn Salahuddin.

It is also worthy of note that Mameluks had taken great pains to preserve Al-Azhar. They had supported

no [illegible] exist, could not individually [illegible] effectively rival Al-Azhar in its [illegible]ting favour on the Arabic [illegible] as being the medium of science and the common link which bound all Muslims to this date.

Gentlemen: Arabic, the language of the Quran, has undergone two bitter and lethal trials. First the tribulation of Moghul invasion in the second half of the seventh century when the Abbassite Caliphate in Iraq weakened as a result of the competition between Persians and Turks, of the conflict between the Shiis and the Sunnis and of the lack of respect and prestige of the Caliphs which all together had paved the way for Holaco to destroy the abbassite Caliphate in 656. Furthermore, the deterioration of the Ommayyad dynasty in Andalusia when the Berbers and subjects took over their kingdom and divided it into statelets. such disintergration had facilitated the path for the Frankish to swallow up these statelets one by one till they absorbed them completely in 898. In addition to these catastrophes the Fatimate dynasty in Egypt and Syria collapsed and fell into the hands of the Ayyubis and then to the Mamelnks who assumed control until their power was wrested by the Ottoman Turks in 923.

You can realise, gentelmen, from these historical events that the Arabs had spent 560 years with no power or kingdom. Their legacy and homes had been subject to common piilage and exploitation by the Moghuls, Turks, Persians, Greeks and by Spanish shortly afterwards.

These non-Arab invaders had been illiterate and marauding hords who had indulged in vandalism and passions; and ultimately brought about the downfall of the language and its literature as well as its sciences. They wantonly scorched libraries, annulled schools, exterminated scientists and learned intellects. Further, there was the conquest of the Tartars and their ravages in Bokhara Baghdad, the Crusaders in Syria and th Frankish in Andalusia. Had the Arabic language been abolished and joined its two co-semitic languages, it would not have been considered out of the nature of things or an innovation in the logic of history.

Nevertheless it has survived as the language of religion and science, of the government and peoples in Morocoo, Egypt, Syria, and the Arab Peninsula. Had it not been for the arrogance of the Turks and the fanaticism of the Persians, it would have been spoken by Muslims all over the world.

to defend it, and to propagate it until it had replaced the Persian language in Iraq, the Aramaic in Syria, the Coptic in Egypt and the Barbarian in Morocco.

During the Abbassite Caliphate, the golden age of the Arabic Language, it became the language of religion, literature, science, politics, administration and civilization. The Muslims whosoever had been travelling rom one country to anothr in the Islamic world felt as if he were going from one place to another in his native land and he never faced the difficulty of being understood nor did he experience any hardship in dealing or adversity of living.

Muslims, Arabs and Persians alike, had been absolutely follwoing the teachings of the Holy Qur'an. It has been their petition and supplication in the mosques, their discipline in their homes, their way of life and their constitution. It has penetrated deeply into their souls and nature, and has affected their tongues, traditions and minds in such a manner that never had a parallel in the history of divine scriptures.

Henceforth, the Islamic culture has been based upod two basic principles: the religion and its various sciences; and the language with its different branches. The relation between these two pillars has been mutual and interacting at the highest pressure in the sense that Islam without Arabic is obscure and backward and Arabic without Islam shrinks and dies away. Therefore they are closely knit together or inter-related.

It must be stated that all Semitic Languages are chiefly indebted in their survival to religion. Judaism, Christianity and Islam have been the causes of the survival of Hebrew, Syriac, and Arabic respectively. Yet the difference between the survival of Arabic and the survival of both Hebrew and Syriac is like the difference between the body and the soul.

Al-Azhar being the heir of Prophethood, protector of the Faith, and the propagator of the Call, has established its mission on those two pillars. i.e. religion of Islam and the Arabic Language. Thanks to God's help and care, Al-Azhar has undertaken this glorious mission in such a manner that it has gained the place of leadership in the Islamic world. It might be said that its laurels in the sphere of religion and language might be shared more or less by some schools and mosques founded by the Sultans in Cairo, Damascus, Aleppo, Baghdad, Gordova, Qayrawan and Zaytounah, such as the schools of Nasseryeh, Qamheyyah, Salahyyah, Muayyad, Mansouryyah, Shaykhyyouriah, Zaherryyah, Kamellyyah and Nezamyyah. However such schools, which

also invented to illustrate the unimitatability of the Quran while the Prophetic Traditions, origins of jurisprudence, interpretations of the Quran, were introduced to explain religious injunctions.

Thanks to the Quran, the Arabic language is being spoken by all the Arabs and has been disseminated everywhere. It has been preserved for almost 14 centuries without being altered or affected or stagnant. This is in accordance with God's saying :"We have, without doubt, sent down the Quran; and We will assuredly guard it (from corruption)" (Surah. 15, V. 9). It is therefore quite clear that the preservation of the Holy Quran necessitates the preservation of its language.

If one takes a short glance at the history of the divine and secular religions, he will realize that there is no religion which has been carried from the extreme east to the extreme west by its own language except the religion of Islam and the Arabic language which has marvellously achieved this object for 1380 years while at the same time remaining strong, dynamic, integral and maintaining its own characteristics.

In contrast with this the original books of the other religions had been only read in the very land in which these religions appeared, but when they spread to other lands, they were read through translations while the original books were read by a few religious figures.

Buddhist books, for instance, are read by the followers of this sect in both China and Japan through their respective languages. Likewise, Torah and the Bible are read in the Christian world through the different languagas of every individual christian nation. Therefore they had but a slight impact upon the different literatures until they were translated into the Latin language. Then they had a strong influence on the European literatures.

However this is not so in the case of the Qur'an. This is due to the fact that the Muslims have actually believed that the language of the Qur'an is a part of of its essence and the fact that it was an expression of the Revelation of God; the language of His Book; a Miracle of His Messenger; and the language of His Call. The Messenger in turn elevated it by his Traditions; the religion diffused it and the Qur'an made it eternal.

The Qur'an is not actually called Qur'an unless it is recited in Arabic and the prayer is not perfectly performed unless it is said in Arabic. Therefore the people hastened to study it and speak it and to publish books in it, to be enthusiastic about it, to

Muslims the world about turn their hearts seeking guidance therefrom to know the way of God and along the path of truth. Al-Azhar, too, represents the asylum of the obsessed people in which they find a staunch protection when they are subject to tyranny or dispotism.

Conversely, Al-Azhar is a universal university to which students from every nation, breed and colour come to further their religious studies to Propagate the Divine Call when they return back to their countries. Al-Azhar has been the sacred place in which the worshippers, ascetics, preachers, the memorizers of the Holy Koran and the blessed people had lived.

Al-Azhar has been the spiritual base which frightened the imperialists who implicitely and explicitely attempted to bring about its downfall and destruction in order to be safe and secure. When they failed to achieve this object, they began to compromise and flatter it in order to take advantage of it.

Al-Azhar has been the national institution which fought against corruption, brought forth national leaderships and contributed effectively to the awakening of the modern Arab world and its people. It has inspired it and strengthened it. Perhaps if we look back into the pages of past history, we would find six learned Azharites who had opposed the French invasion, one resisted the Turkish tyranny, viz. Shaykh Abdullah Al Sharkawi, the legendary figure Ahmed Orabi who had opposed the Khedival oppression, and Saad Zaghlul who had fought against British Imperialism. Hence all these previously mentioned may be conceived from the word of AL-AZHAR. However tonight I shall confine my lecture to the Arabic Language in particular and not to any other subject.

Gentlemen: the care of Al-Azhar towards the Arabic language arises from the care of the Glorious Quran towards it. If we enumerate the benefits and merits bestowed by the Quran on the Arabic language, we would find that the words in it become mellifluous, its construction melodious, its meaning adequate, its logic powrful and its vocabulary rich and copious.

It has brought forth religious and literary sciences which preserved its vocabulary by virtue of gramatical rules and lexicons. The Quran has further expanded the domain of terminology and Arabic expressions. Consequently many sciences have been produced, such as, Morphology, Arabic Grammar, and philology, to prevent the Arabic tongue from grammatical mistakes. Rhetorics were

AL-AZHAR: ITS RôLE AS THE GUARDIAN OF THE ARABIC LANGUAGE

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

We are now assembling in Al-Azhar auditorium. The notion which occurs first our mind when we mention the word of Al-Azhar is that it is an Islamic university in which scinces of religion and language are being taught. But when the conscious and scrutinizing believer mentions or enters it-while at the same time being prepared by nature to contact his spiritual legacy, his shining past and his eventful history-he would undoubtedly remember the glorious memories, magnificent recollections and solemn implications. Al-Azhar is a comprehensive and meaningful word which has spiritual and moral significances. It constitutes time, place, religion, life and history.

Al-Azhar stands as the lighthouse which has been raised as a guidance through the history of the Great Call, and which has been firmly established unshaken by the tremors and earthquakes. Its light has ever shone to guide the Muslim peoples during the dark ages and under adverse circumstances to enjoy the sense of safety, dignity and unity. Al-Azhar has been the shelter which maintained the existence of Arabic culture more than thousand years past. It has been watching over it, expounding it and extending it to the seekers of knowledge, from East and West alike, who resort to it in quest of knowledge. In other words Al-Azhar has been the radiating centre of Islamic thought and culture. Meanwhile this Arabic culture had been destroyed by ignorance and blasphemy in Baghdad and Andalosia. Furthermore, Al-Azhar stands as the refuge to which the Arabic language has resorted from the inroads of sectarianism, colloquial language and Turkish when the rulers had been alien to the people, when ignorance had prevailed, the caliphate had weakened and the real possessors of land had been subject to utter humiliation.

Moreover Al-Azhar has been the second niche to which all

of religion due to the fact that language is a collection of words whereby people express their thoughts and opinions. Such thoughts and opinions do not end and the People cannot stay dumb forever while seeing the objectives and meanings reproduce and develop as a result of the new discoveries of science and civilization.

However those who had existed after the rise of Islam and were not purely Arabs, were not entitled to invent new words in the language. This previlege was confined to the trustworthy pure Arabs of the urban society tell the end of the second century after Hijra; and to the Beduins of the desert till the end of the fourth century after Hijra. This gave birth to the overwhelming prevalence of the colloquial language over the classical one and tightened the sphere of the classical in the classes of savants, literary figures, poets and writers to use it in their writings to the Kings and the elite.

This was because the people preferred in understanding the easy style and use the common and attainable. And when the language laggs behind and is no longer adaPtable to the needs of time and the current daily life; it would obviously mean that it is stagnant and will face its inevitable end which is complete annihilation and will be supperseded by the colloquial dialects.

The synod of Arabic language has become aware of this danger and therefore adopted a suggestion which I offered as to open the door for the contemporary grammarians to invent words in the language according to the rules of derivation; to release the linguistic analogy from any traditional obstacle; to liberate the hearing from the fetters of time and space to comprise everything that is used by the different classes of society such as masons, carpenters and other artisans; and to legalise the invented words and make it similar to the old ones. On this basis, the Synod of Arabic Language has made its medium lexicon which will appear shortly afterwords.

The case of religion is quite different. Its doors were widly open for the well equipped and prepared savants who expressed their free opinions and views. These various opinions were abundantly expressed and made the Islamic Jurisprudence full of sound judgments and good rules which sufficed the needs of the Muslims and solved their social and legal problems. Therefore the Islamic Jurisprudence had been quite satisfactory for the needs of the Muslims and they devoted their endeavours

style and its words have no rules for guidance whatsoevr Consequently its attainment does not require any book or school but can be achieved by any doorkeeper or servant or layman. In other words, it means the separation of literature from religion, severing the ties between the past and the present and weakening the bonds amongst the Arabs.

I am of the opinion that it cannot be effectively amended except by the old method, namely, the full comprehension of its secrets, the adequate apprehension of its grammatical rules and the wholehearted memorization of its literatures. The implementation of this requires the unflagging efforts and continual seriousness, as regards the preparation of efficient teachers, sufficient knowledge and fruitful experience as regards the curriculum, good taste and sound logic as regards the making of books.

The Azharite book which we have studied and to which we still make our references, is a treasure of knowledge but lacks the easiness, good classification and representation. The difference between such books and the modern ones is like the difference between a spice shop in Al Ghorreyah (a Popular quarter in Cairo) and a commercial house in Kasr El Nil (the centre of the city of Cairo). The old shop may have precious ornaments or trades but bad exhibition of which weakens the vogue therein and decreases its value.

Practically speaking, if we present the Azharite books in an interesting and palatable manner, they be lessons or lectures or notes or books, then this would render its fruits attainable and would facilitate the task of the students to comprehend without difficulty or hardship.

The mission of Al Azhar, as I have already mentioned, is built on two pillars, namely, religion and language. But it actually carries this mission out in a different manner. This is due to the fact that religion is perfect being the work of God while language is imperfect because it is the product of man. So long as religion is perfect and divine, it cannot be affected by the environment or by the passage of time or by civilization and science. It is ever new, ever valid, and ever solid. In contrast with this, the language being imperfect, is subject to corruption, stagnaton and backwardness. Likewise it is subject to increase, reconstruction and development.

Therefore the development of the language is a necessary and natural matter. Because the language cannot be like the established facts

Nevertheless the concise remainder of these sciences cannot afford the existence of both language and literature. It is true that modern educational institutions Provide for the graduation of a considerable number of students in the sphere of Arabic language but they are by no means similar to those graduates of prominence from Al-Azhar and savants like Mohammed Abdou, Saad Zaghloul, Al Manfalouti, Al Bishri, and Taha Hussein. Nor are they like the graduates from Darul Aloum such as Shaweesh, Al Mahdi, Al Khodari, Al-Sakandari and Al Garem, nor do they bear any semblance to the graduates of the Higher School of Islamic Jurisdiction like Ahmed Amin, Azzam and Al Khouli. Furthermore, they differ from the graduates of the Supreme School of Teachers (Al-Mullimeen) like Al Mazni, Shukri, and Abou Hadeed. They are also distinct from those who have received their education and knowledge from the books of Al-Azhar, such as Al Aqqad, Ar Refei, Shawki and Hafiz in Egypt; the Bustanis, the Yazzigis, Al Sheyyab, Matran and Al Khouri in Lebanon, Al Maghrabi, Al Shehabi, Gabri and Al Tantawi in Syria; Al Rassafi, Al Zahawi, Kashif El Gheta, Al Shabibi and Al Athari in Iraq; Al Nashashibi and Al Sakakini in Palestine.

Gentlemen: frankly speaking, I am one of the supporters of the reconciliation between the classical and the colloquial Arabic. My method in the Synod of the Arabic Language is to supply the classical Arabic with the words and expressions of modern civilization which colloquial language is full of, in order to bridge the gulf between the dialects. By virtue of such a trend and through the medium of the press, brodcasting and education, these two dialects will become one integral language which comprises the characteristics of the classical Arabic of the correct style, abundance, eloquence and brilliance; and the characterisitics of the colloquial Language of adequacy, natural character, dynamism, refreshment and obviousness.

But with regard to the trend that calls for the negligence of the grammatical rules and which deprives the language of its brilliant style and makes it void of any eloquence; and consequently it cannot serve as the link between our past and the future, and is unable anymore to gather us in our general terms; it must be said that such trend cannot by any means be propagated by any serious man, and cannot be listened to by any sound individual. If we left things to continue this way, then the colloquial language would prevail because of its frequent repetition in

environment while science is universal. Literature is like the soul to the body like the blood which flows in a human being's veins which creates the personality of the independent individual and portrays the picture of the unique people. Literature constitutes certain breed, language, taste, environment, mentality, belief, history and traditions while science is something different from the above-mentioned. Therefore it is permissible for us to borrow from others what might perfect our science but we are by no means allowed to borrow any type of literature to be representative of ours.

The study of Arabic in fact, after graduating from Colleges, in an authentic and productive manner does not demand much effort and time as the study of French and English for they seek in the age of speed to easy and feasible objectives in so far as science and production are concerned. Whenever criticism is levelled against them in respect of their method of approach to studies, it is very often met with grudge and spiteful sentiments. Wise critics claim that authors who are unaware of the rules of their respective language are not considered neither in modern nor olden literature as true authors or poets or novellists.

When people read newspapers and books and do not grasp any grammatical errors which might reveal the ignorance of the author and thereby expose him to the general reading public then one must remember the unknown soldiers of the AZHarites who are called correctors and who devote night and day in the Press publishing houses correcting grammatical mistakes and strengthening the style of the Arabic language.

It is no harm to facilitate the task of the students of the Arabic language in respect of the rules of Grammar, Morphology and Rhetoric but it is harmful and detrimental to exaggerate the importance of such practice. It is therefore better to mitigate the difficulties of the various interpretations an justifications through which grammarians had philosophized grammar, and to eradicate the contradictory forms of declension which are nothing but mere remainders of the different dialects of the pre-Islamic era and which convert the right to mistake and vice versa and thereby tend to confuse the minds of the general readers.

But it is detrimental by all means to deprive the sciences of Arabic of their characteristics of strength, fertility and expansion in the same manner as the skeleton which possesses a form but lacks the soul and flesh.

impassable obstacle. He resorts to the extreme when he calls for absolute liberty to the writer to express the way he likes.

This is the state of the graduate who has literary inclinations by nature. As for the common graduate, unfortunately, he continues his shallow knowledge by reading the simple works as represented in the colloquial stories which deceive common sense; or in the humourous magazines which stimulate sexual cravings. The readers are so excessively interested in this type of literature that worthless writers have indulged immensely in the production of such pornographic and base literature and which is most harmful to society. In addition to this there is also the prevalence of the Western literature with all its doctrines, trends and defects which have a great influence upon the minds of youth who have had access to this fragile and worthless literary culture.

Such half baked knowledge has made them ignorant of their own literature and their language and past history. Those adherents of French culture and literature, for instance, are fully aware of Hugo and do not know who is Al-Mutanabbi; they study Voltaire and not Al-Gahiz; and read La Martine not Al-Badee. Hence as a result of this trend and attitude, there arises the dependence of our literature on the literature of the Western writers. This dependence has affected the literature of our young writers. Therefore one could notice that their style, critical views and opinions are very often identical or else similar to these of their Western contemporaries. Even Symbolism, which is the outcome of the complexed self and the clouded horizon, has found admirers here who are endeavouring to propagate it in the Arab World which is known as the land of the barren desert, of the shining sun, and of simple nature. Similarly attempts are being made to apply the principles of Existentialism, which is the product of dissolute morality, abnormal taste and libertine instinct, to Arabic which is the language of the Divine Revelation that honoured man and made him superior to animal by virtue of certain previleges of religion and morality.

The case of literature is not the same as that of science. This is because literature relates to noble instincts and sentiments and balanced minds while science is meant for all people without any distinction. Literature is the outcome of certain

of poetry, prose and criticism. From these two categories the literary movement derived its inspiration as well as its vital factors to become flourishing, advanced, brilliant and eternal.

This old method had produced many distinguished literary figures who were responsible for the preservation of the language, gave it a new life and laid the foundations of a modern literary renaissance. There are in the Arab world still a small groud of these literary men of noble repute who are discovering the secrets of their language and deeply engrossed in their literature. But it must be remembered that their places in the literary world would fall vacant at some future date and there would arise a problem, namely, would there be successors to undertake this mission of literature and would they be entrusted with the legacy of the language? It is Al-Azhar alone that could supply the answer to this query. It is by virtue of its characteristics the only refuge and asylum of the language in the past and in the future.

As for the other institutes, it must be frankly stated that these insututes render the impression of pessimism. This must be attributed to their poor curriculum which has but the slightest rules of grammar and to the superficial and scanty education which has no object except to make the student pass an examination. The original volumes, for instance, are summarized and the concise books are further abridged leaving nothing left in the memory of the student save vague language which makes no sense. In addition to this the distaste of the youth to look for the serious and useful studies of the language and literature which hampers them to penetrate into the original sources and attracts them only to search in the subsidiary branches which satisfies their needs just to enable them to pass an examination and obtain a certificate. When the student graduates with this poor educational background and finds himself amidst the treasures of Arabic literature, he develops a tendency to disregard such works because he lacks the qualifications which such treasures of literature demand. Instead he resorts to the cheap literature of the West to quench his thirst and takes it as an example to be followed. As soon as he finds himself capable of producing some piece of literary work, he finds that although he is possessed with the creative faculties, he connot find the correct language to express his thoughts nor can he develop a style which would impress his readers. Consequently he becomes disgusted and rebels and assumes that the rules of the language are no longer valid and that the declension of the word is an

discreet [illegible] launched a campaign against classical Arabic but encouraged and [illegible] the colloquial forms of the language at the hands of British officials, missionaries and orientalists. This is due to the fact that the colloquial dialects varies from place to place in the Arab lands to such an extent that each dialect could be considered an indigenous and independent language. And if the classical language, which is the common language, is defeated by any dialect, then understanding would be difficult and impossible, the faith would weaken, relationships would sever, unity would be dissipated and strength would vanish. It would thus be easy for the Imperialists to devour the Arab countries one by one without experiencing any form of difficulty or resistance.

Fortunately this destructive movement has ended in utter failure as a result of the vigilance of the Arabs and thus spelled the doom of the Imperialists in the East.

The second tribulation which beset the Arabic language was ignorance which followed imperialism in this criminal trend. By ignorance is meant the ignorance of the Arabs of their language and their neglect of its sciences and literature. This is the offence of the modern school which failed after passing considerable time and many experiences, to produce the reader who can understand what he reads, the writer who has a cultural background and the intellect who is the real originator.

The proof of this failure is manifest from the fact that the student devotes more than ten years during the course of which he had been incessantly studying Arabic and when the time approaches for him to express his opinions, he finds himself in a difficulty to express his thoughts whether it be orally or in writing. When his literary aptitude urges him to express his ideas in writing, he resorts to the colloquial language rather than the classical and calls for the negligence of the grammatical rules to make disorder, errors and disability prevail.

The science of Arabic language has been studied in Al-Azhar, Darul Aloum and other similar educational institutions in Lebanon, Syria, Iraq and Morocco. Such studies were marked by profound characteristics which enabled the promising and industrious students to understand, apprehend, justify and analyse well. It is this fruitful study which produced good and prolific writers, poets and critics. It also produced the professional literary figures who had been guiding the literary men in respect

Al-H[illegible] would have it. was [illegible] to overcome all [illegible] and thus it find. the Al[illegible] united this to preserve [illegible] and this religion.

Ther[illegible] ver another recent development which has been gradually taking proportions of much alarming magnitude but nevertheless calls for attention. This recent development which besets the Arabic language is about to perplex tongues, annul the validity of the Quran, defile the genuine sources of religion and dissolve the bonds enchaining Arabs to their legacy. It would pollute the purity, sublimity and magnitude of literature as derived from the Revelation of God and would degrade it [illegible] cause it to be relegated to the lowest standard of materialistic grossness and indecency. This [illegible] exemplified in the linguistic [illegible] which propagates and [illegible] equal to classical Arabic which appreciates the common literary works while rejecting the sophisticated classical works of literature and which welcomes the exciting subject and not the guiding and enlightening one. This latest subversive [illegible] literature urges the writer when he writes and the poet when he versifies, to pay no attention and disregard the rules of grammar or prosody, rhetoric or rhyme or even the moral principles.

However this state of affairs has [illegible] underlying factors or causes, namely imperialism and ignorance. As regards imperialism, it must be mentioned that it has realized the fact that the bonds which link the Muslims all over the world, no matter how distant and different their countries may be, are fundamentally the religion and the language. The Imprialists at one stage considered the nationalist movements of the Arab and Muslim countries as mythical but now they emphatically believe that so long as the Mohammedan nation remains united and integral by virtue of the religion of Islam and the Arabic language, it will inevitably achieve its independence and will sooner or later put an end to the exploitations of imperialism.

France, therefore has continually attempted to keep and wean the Berbers in Algeria away from their religion by propogting false ideas and pretences, and persist in endeavouring to prevent the Arabs from the sources of their language by expunging it from the schools and governmental offices and organisations.

But the teachings of God have been stronger than the French trials and the language of the Quran more powerful and decisive than that of the sword. England being cunning and

but nevertheless these attempts proved futile as a hole. However, during this period the Arabic language had been removed from its firmaments of India, Khorasan, Iraq, Romiland and Andalusia. In the Arab domain it had experienced a very critical and pitiful stage and was almost on the verge of extinction and being completely forgotten and neglected. But there always remained a ray of hope that some support would be given or forthcoming from whatever source to retrieve it from the abysmal state into which it had fallen. This support which was needed at a very crucial stage ultimately came from Al-Azhar which gave immeasurable support and restored the Arabic language to its pristine state of glory and due to which assistance Arabic still survives. Hence Azhar became known as the saviour of the Arabic language to the Arabs and the Islamic world. Al-Azhar nurtured it, gave it strength, and protected it. When the shadow of the Ottomian Rule receded, God the Almighty, willed that the sun of awakening should rise again to cast its brilliant rays over the length and breadth of the Nile valley and thereafter the Arabic language rid itself of its subduing forces; and its historic career and unique and powerful characteristic were restored. Al-Azhar has ever remained the shelter of Arabic and the principal cause of its survival and resurgence.

Since the French occupation till the reign of Muhammed Ali, Al-Azhar had been the source of inspiration to the populace in their struggle and to governments in their reformatory movements. In its guiding role and in the forefront of its activities were many illustrious and eminent Rectors such as Khalil El Bakri, Abdullah El Attar and many others of great repute.

With its vast resources of energy it has gone ahead with laudable plans and it must be noted with great pride and deep appreciation that it has led a pioneer movement in that it sent many promising students to Europe to further their intellectual advancement. The first mission was composed of the best talents such as Ibrahim El Nabarawi, Ahmed Hassan El Rashidi, Muhammed Ali El Bakli, Refaah El Tahtawi, and Ali Mubarak. This was another great characteristic of this glorious institution which had strived to preserve the Arabic language as an integral one.

Gentlemen: it is therefore quite evident and manifest to you all in the light of the aforementioned facts stated that Arabic had been subjected to great stress and threat of extinction during two successive reigns and that

gram[illegible] through the medium of Turk[illegible]ish Syria and Iraq. Cons[illegible] there was a spread of colloqu[illegible]nguage with words interpol[illegible]fusely while the eloquence and brilliance which were ever present in the poetry and prose of the learned and erudite of the past, made a quick exit from the intellectual and cultural works in the sphere of literature. This period was plunged into persecution and darkness and the talented lights that once shone were soon extinguished and an era of gloom pervaded the whole atmosphere mainly due to the lack of enthusiasm and desire for knowledge in the rulers.

The Turks however dominated the [illegible] government in Egypt [illegible] domain of political, milita[illegible] and educational [illegible] their efforts to subdue Azhar ended in disaster for the reason [illegible] were deeply impressed with its cultural and religious magnitude and glory. Hence they held it in reverence and esteem, and they sought from it whatever support that was forthcoming and looked forward to it for inspired solutions to their problems. Sultan Selim himself had visited it considerably to seek [illegible] the divine blessings for his [illegible].

It should be noted that Azhar made inroads to the Turkish lands in the sphere of culture by disseminating its knowledge of literature through books and this resulted in the interest shown by Turks to study the Arabic language. In fact many Turkish individuals studied and spoke the Arabic language and even published books in Arabic. There arose eminent personalities and scholars such as Alfayrouzabadi, Abou Al Soud, Al-Fanari, Mala Khesrou, Al Gami, Khugah Zadah, Mala Meskeen, Mala Lotfi, Haji Khalifa, Tashkebri Zadah and Ibn Kamal Pascha.

The Turkish Sultans themselves had studied Arabic and Literature to the same degree and standard as Turkish literature. The Arabic language had never been weak or neglected under the Turkish rule except in the reigns of Sultan Mahmud the Second and his son Sultan Abdul Majid the First when they revived the Turkish language and accorded it a great place and even called it the Ottoman Language.

You can conclude, Gentlemen, from what you have now heard, that Arabic had undergone many attempts directed towards its extinction during the era of Moghul rule and Ottoman domination which lasted about three hundred years respectively

it and aided it because they had chosen Egypt as their home, Islam to be their religion and faith, and Arabic to be their language. They also had amongst them poets like Sultan Qansawah Al Ghuri. The Mamelukes extented their moral and material support to the religious authorities, literary figures, scholars and authors and encouraged the intellectual advancement. Under their auspices Azhar had produced eminent scholars who pooled their knowledge and propagated their ideas and published them. From amongst these scholars there were many prominent and illustrious personalities such as Gamaluddin son of Manzour, Gamaluddin son of Hisham, Shamsuddin El Zahabi, Al-Hafiz Ibn Hagar Al Asqalani, Abou El Abbas El Qalqashandi, Taqeyyuddin El Maqrizi, Badruddin El Aini, Seraguddin El Balquini, Badruddin El Damassini, Shamsuddin El Sakhawi, Kamaluddin El Domayri, Galaluddin El Syouti and Taqeyuddin Al Qushayri who is known as IBN DAQIQ EL EID. Such intellectual advancements have focussed the attention on Al Azhar and during the seventh, eighth and ninth centuries it was acknowledged by the Arab and Muslim nations as the centre of cultural and religious activity in the Islamic world and providing an unsurpassed leadership.

Throughout its ancient and historic period and to the present day, it has maintained the existence of the Arabic language, preserved the standard of literature and disseminated religious and cultural thought and had it not been in existence, the link between the ancient and modern literature would have been dissolved and disappeared.

The second tribulation which had eclipsed Arabic and from which it emerged safe and integral, thanks to the efforts of Al-Azhar, had been the Turkish invasions in the beginning of the 10th century when Sultan Selim assumed control over Egypt and Syria in 923 A. D. Then the Caliphate became Ottoman and not Abbassite and the capital of Islam shifted from Cairo to the city of Constantinople, and the Turkish language became the official language instead of Arabic. Sultan Selim the invader, ruled supreme in Egypt for 8 months and during which period he had plundered the most precious monuments of books, ornaments and antiquities executed by the most skillful artists and brilliant authors who had graduated from Azhar and produced their works during the three centuries preceding the Turkish invasion.

The invaders propagated their own language in the schools and in the administrative machinery of the government in such haphazard manner that they taught the Arabic

[illegible] Al-Azhar which maint[illegible] existence of this langu[illegible] of the lost power and p[illegible] is is simply because God the Almighty, has previleged this Glorious Al-Azhar by certain merits which have marked characteristics in it. Some of these merits partly belong purely to the Arabic nature of the studies by virtue of its early establishment and environment, and of its situation in the center between the near and middle easts. Consequently it has become the threshold of Muslims from all parts of the world. Another merit attributed to it is its proximity to Hedjaz and thus it has become the route to Mecca for those on pilgrimage and other nomad scientists from Africa and Andalusia. further Al-Azhar has produced many great scholars well versed in Islamic studies and Arabic literature, who had compiled the fragments of Arabic sciences and literature in great volumes which look like Encyclopaedia. Al-Azhar has also enjoyed a great status which might have reached the degree of sacelity in the hearts of all Muslim rulers and which had played a great part in solving many political as well as social problems. It has covered to the needs of the professors and students and has extended its benevolence for the cause of humanity and has further supported or afforded financial assistance to the needy students in respect of living accomodation, clothing, board and tuition fees. It has granted asylum to those who had run away from the Moghut invasion which had swept away Khorasan and Iraq and spared their lives, religion, knowledge, literature and books. These learned immigrants both from East and West sought asylum in Cairo and achieved scientific discoveries and made great contribution to the advancement of cultural affairs. They were in many respects similar to the Christian scientists who had immigrated from Constantinople to Rome, and who had been the pioneers of the scintific as well as the cultural age.

Amongst the many reasons which contributed to the great success of Al-Azhar, it must be remembered that the AYYUBIS had to a large extent afforded both moral as well as financial support in a very effective manner. Although they had been KURDS yet they had spoken Arabic and studied its literature and from amongst them there emerged the genius poet, scholar, historian, such as King Muayyed Emaduddin Abou El Fedda and King Afdal Ali Ibn Salahuddin.

It is also worthy of note that Mameluks had taken great pains to preserve Al-Azhar. They had supported

no ... exist, could not individually ... effectively rival Al-Azhar in its ... being because the Arabic language as being the medium of science ... the common link which bound all Muslims to this date.

Gentlemen: Arabic, the language of the Quran, has undergone two bitter and lethal trials. First the tribulation of Moghul invasion in the second half of the seventh century when the Abbassite Caliphate in Iraq weakened as a result of the competition between Persians and Turks, of the conflict between the Shiis and the Sunnis and of the lack of respect and prestige of the Caliphs which all together had paved the way for Hulacu to destroy the abbassite Caliphate in 656. Furthermore, the deterioration of the Ommayyad dynasty in Andalusia when the Berbers and subjects took over their kingdom and divided it into statelets. such disintegration had facilitated the path for the Frankish to swallow up these statelets one by one till they absorbed them completely in 898. In addition to these catastrophes the Fatimate dynasty in Egypt and Syria collapsed and fell into the hands of the Ayyubis and then to the Mamelouks who assumed control until their power was wrested by the Ottoman Turk in 923.

You can realise, gentelmen, from these historical events that the Arabs had spent 560 years with no power or kingdom. Their legacy and homes had been subject to common pillage and exploitation by the Moghuls, Turks, Persians, Greeks and by Spanish shortly afterwards.

These non-Arab invaders had been illiterate and marauding hords who had indulged in vandalism and passions; and ultimately brought about the downfall of the language and its literature as well as its sciences. They wantonly scorched libraries, annulled schools, exterminated scientists and learned intellects. Further, there was the conquest of the Tartars and their ravages in Bokhara Baghdad, the Crusaders in Syria and th Frankish in Andalusia. Had the Arabic language been abolished and joined its two co-semitic languages, it would not have been considered out of the nature of things or an innovation in the logic of history.

Nevertheless it has survived as the language of religion and science, of the government and peoples in Morocco, Egypt, Syria, and the Arab Peninsula. Had it not been for the arrogance of the Turks and the fanaticism of the Persians, it would have been spoken by Muslims all over the world.

to defend it and to propagate it until it had [illegible] like Persian language in Iraq, Aramaic in Syria, the Coptic in Egypt and the Barbarian in Morocco.

During the Abbassite Caliphate, the golden age of the Arabic Language, it became the language of religion, literature, science, politics, administration and civilization. The Muslims whosoever had been travelling from one country to anothr in the Islamic world felt as if he were going from one place to another in his native land and he never faced the difficulty of being understood nor did he experience any hardship in dealing or adversity of living.

Muslims, Arabs and Persians alike, had been absolutely follwoing the teachings of the Holy Qur'an. It has been their petition and supplication in the mosques, their discipline in their homes, their way of life and their constitution. It has penetrated deeply into their souls and nature, and has affected their tongues, traditions and minds in such a manner that never had a parallel in the history of divine scriptures.

Henceforth, the Islamic culture has been based upod two basic principles: the religion and its various sciences; and the language with its different branches. The relation between these two pillars has been mutual and interacting at the highest pressure in the sense that Islam without Arabic is obscure and backward and Arabic without Islam shrinks and dies away. Therefore they are closely knit together or inter-related.

It must be stated that all Semitic Languages are chiefly indebted in their survival to religion. Judaism, Christianity and Islam have been the causes of the survival of Hebrew, Syriac, and Arabic respectively. Yet the difference between the survival of Arabic and the survival of both Hebrew and Syriac is like the difference between the body and the soul.

Al-Azhar being the heir of Prophethood, protector of the Faith, and the propagator of the Call, has established its mission on those two pillars, i.e. religion of Islam and the Arabic Language. Thanks to God's help and care, Al-Azhar has undertaken this glorious mission in such a manner that it has gained the place of leadership in the Islamic world. It might be said that its laurels in the sphere of religion and language might be shared more or less by some schools and mosques founded by the Sultans in Cairo, Damascus, Aleppo, Baghdad, Gordova, Qayrawan and Zaytounah, such as the schools of Nasseryeh, Qamheyyah, Salahyyah, Muayyad, Mansouryyah, Shaykhyyouriah, Zaherryyah, Kamelyyah and Nezamyyah. However such schools, which

also invoked to illustrate the unimitatability of the Quran while the Prophetic Traditions, origins of jurisprudence, interpretations of the Quran, were introduced to explain religious injunctions.

Thanks to the Quran, the Arabic language is being spoken by all the Arabs and has been disseminated everywhere. It has been preserved for almost 14 centuries without being altered or affected or stagnant. This is in accordance with God's saying: "We have, without doubt, sent down the Quran; and We will assuredly guard it (from corruption)" (Surah. 15, V. 9). It is therefore quite clear that the preservation of the Holy Quran necessitates the preservation of its language.

If one takes a short glance at the history of the divine and secular religions, he will realize that there is no religion which has been carried from the extreme east to the extreme west by its own language except the religion of Islam and the Arabic language which has marvellously achieved this object for 1380 years while at the same time remaining strong, dynamic, integral and maintaining its own characteristics.

In contrast with this the original books of the other religions had been only read in the very land in which these religions appeared, but when they spread to other lands, they were read through translations while the original books were read by a few religious figures.

Buddhist books, for instance, are read by the followers of this sect in both China and Japan through their respective languages. Likewise, Torah and the Bible are read in the Christian world through the different languagas of every individual christian nation. Therefore they had but a slight impact upon the different literatures until they were translated into the Latin language. Then they had a strong influence on the European literatures.

However this is not so in the case of the Qur'an. This is due to the fact that the Muslims have actually believed that the language of the Qur'an is a part of of its essence and the fact that it was an expression of the Revelation of God; the language of His Book; a Miracle of His Messenger; and the language of His Call. The Messenger in turn elevated it by his Traditions; the religion diffused it and the Qur'an made it eternal.

The Qur'an is not actually called Qur'an unless it is recited in Arabic and the prayer is not perfectly performed unless it is said in Arabic. Therefore the people hastened to study it and speak it and to publish books in it, to be enthusiastic about it, to

Muslims [illegible] about the world turn their hearts [illegible] guidance therefrom to [illegible] way of God and along [illegible] of truth. Al-Azhar, too, represents the asylum of the obsessed people in which they find a staunch protection when they are subject to tyranny or dispotism.

Conversely, Al-Azhar is a universal university to which students from every nation, breed and colour come to further their religious studies to Propagate the Divine Call when they return back to their countries. Al-Azhar has been the sacred place in which the worshippers, ascetics, preachers, the memorizers of the Holy Koran and the blessed people had lived.

Al-Azhar has been the spiritual base which frightened the imperialists who implicitely and explicitely attempted to bring about its downfall and destruction in order to be safe and secure. When they failed to achieve this object, they began to compromise and flatter it in order to take advantage of it.

Al-Azhar has been the national institution which fought against corruption, brought forth national leaders[illegible] and contributed effectively to the awakening of the modern Arab world and its people. It has inspired it and strengthened it. Perhaps if we look back into the pages of past history, we would find six learned Azharites who had opposed the French invasion, once resisted the Turkish tyranny, viz. Shaykh Abdullah Al Sharkawi, the legendary figure Ahmed Orabi who had opposed the Khedival oppression, and Saad Zaghlul who had fought against British Imperialism. Hence all these previously mentioned may be conceived from the word of AL-AZHAR. However tonight I shall confine my lecture to the Arabic Language in particular and not to any other subject.

Gentlemen: the care of Al-Azhar towards the Arabic language arises from the care of the Glorious Quran towards it. If we enumerate the benefits and merits bestowed by the Quran on the Arabic language, we would find that the words in it become mellifluous, its construction melodious, its meaning adequate, its logic powrful and its vocabulary rich and copious.

It has brought forth religious and literary sciences which preserved its vocabulary by virtue of gramatical rules and lexicons. The Quran has further expanded the domain of terminology and Arabic expressions. Consequently many sciences have been produced, such as. Morphology, Arabic Grammar, and philology, to prevent the Arabic tongue from grammatical mistakes. Rhetorics were